بسم الله الرحمن الرحيم

النجف الاشرف
رجال وافكار ومواقف } الجزء الاول

تأليف

كاظم محمد علي شكر

النجف الأشرف.

١ - } بدايته في ٥/ تموز/ ١٩٧٥م ٢٥ جمادى الآخرة/ ١٣٩٥هـ
نهايته في ٢٧/ كانون/ اول/ ١٩٧٥م - ٢٤ ذي الحجة/ ١٣٩٥هـ
وهذا هو القسم المنشور في صحيفة العدل النجفية الاسبوعية.

٢ - } اما القسم الذي لم ينشر فبدايته في ١٥/ صفر/ ١٤١٠هـ -
٥/ ٩/ ايلول/ ١٩٩٠م.
ونهايته في ٢٥/ ١١/ ١٩٩٠م.

محتويات الكتاب – الجزء الاول

١– الاهداء ص ١
٢ – المقدمة ٢
٣ – العاطفة في الرثاء عند النجفي ٤
٤ – الشيخ محسن الخضري ٩
٥ – السيد محمد سعيد الحبوبي ١٧
٦ – الشيخ محمد جواد الشبيبي ٢٩
٧ – الشيخ علي الشرقي ٢٧
٨ – الدكتور عبد الرزاق محي الدين ٤٧
٩ – الاستاذ محمد مهدي الجواهري ٦٦
١٠ – السيد احمد الصافي النجفي ٧٧
١١ – الشيخ صالح الجعفري آل كاشف الغطاء ٨٧
١٢ – الدكتور ابراهيم الوائلي ١٠٠
١٣ – الشيخ عبد المنعم الفرطوسي ١١٠

المصادر والمراجع

القرآن الكريم
١ - ماضي النجف وحاضرها - للشيخ جعفر آل محبوبة - المطبعة العلمية ١٣٧٤هـ ١٩٥٥م
٢ - ديوان الشيخ محسن الخضري - اصدار جمعية التحرير الثقافي / المطبعة العلمية ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م جمع وتعليق الشيخ عبد الغني الخضري.
٣ - ديوان السيد محمد سعيد الحبوبي - الجمهورية العراقية - وزارة الثقافة والاعلام - اعداد عبد الغفار الحبوبي - دار الرشيد ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
٤ - معارف الرجال - للشيخ محمد حرز الدين
٥ - الشبيبي الكبير - للاستاذ محمود الحاردي
٦ - الشيخ علي الشرقي حياته وأدبه - للاستاذ عبد الحسين مهدي عوّاد
٧ - ديوان علي الشرقي - وزارة الثقافة والفنون - ابراهيم الوائلي / موسى الكرباسي
٨ - هكذا عرفتهم - للاستاذ جعفر الخليلي
٩ - الكاظمي والعاطل - الدكتور عبد الرزاق محي الدين
١٠ - ديوان الجواهري - وزارة الاعلام - مديرية الثقافة العامة
١١ - الجواهري شاعر العربية - للاستاذ عبد الكريم الدجيلي م ١/٢ د
١٢ - أنساب العشائر العربية في النجف - ناجي وداعة الشريس
١٣ - ديوان الجعفري
١٤ - ديوان الوائلي
١٥ - ديوان الفرطوسي
١٦ - قبيلة الفصول اللامة - كاظم محمد علي شكر

الاهداء:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى سيد العالم وهداتي محمد الرسول، إلى زوج الطهر البتول، إلى هارون أمة محمد، إلى صفية الله على الأرض إلى إمام الثقلين ووالد الحسنين، إلى من حبه رمز الإيمان، وبغضه كفر ونفاق، إلى من أذهب الله عنه الرجس وطهره تطهيراً، إلى سيدي ومولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، إلى مجندل الشرك أمير المؤمنين ويعسوب الدين علي بن أبي طالب صلوات الله على نفسه محمد رسول الله وعلى آلهما الطاهرين. إلى شطري النفس الواحدة محمد وعلي أهدي هذا الجهد المتواضع.

العبد الاشرف — كاظم محمد علي شكر

المقدمة

النجف الاشرف هي المدينة التي ولدت فيها انا وولد فيها ابي وجدي وابوه وجده ولغاية الظهر الثامن عصورًا . وللنجف علي حقوق وواجبات لا احصيها ولا اعدها ، وخصوصًا في التربية والنشأة والاعداد ، فاي جانب من جوانبها استطيع ان اوفيه حقه؟ ورحم الله من قال «من علمني حرفًا صرت له عبدًا» فاذا كان هذا وفاء تعليم الحرف الواحد فما عسى ان يكون وفاء تعليم جاوز الستين سنة مما يعدون ، وفتحت امامي المدارس الابتدائية والمتوسطة والاعدادية فأهلتني الى معاهد بغداد وجامعاتها وبعد ان تخرجت من جامعة المستنصرية عام ١٩٦٧/١٩٦٨ ما زال والدي يرشدني الى النجف الاشرف ومعالمها العلمية والادبية والاجتماعية لانه لم يرها يقل شأنًا عن بغداد بني العباس قبلة العالم في العلم والادب . فهنا تشدني النجف المحلات الاربع الحويش والمشراق والبراق والعمارة الاتراب والاحباب والعلم والجوال بالاضافة الى مجالس العلم ومنتديات الأدب ومواعيد المطارحات والمناظرات والمجالس الشعبية والجوامع المعدة للعلم والتعليم والدرس والتدريس ، فهنا ملتقى العراقيين اجمع وملتقى العرب وسورية ولبنان والحجاز ونجد واليمن وامارات الخليج ، فهنا تبادل الاراء والمعرفة فهنا التحاضر وشديدة للتنافس ، فهنا الرجل الذي يجرب نفسه وفروسيته في ميادين العلم والادب فاذا ما سجل له التاريخ موقعًا ما كان حظه كبيرًا جدًا في اية حاضرة عربية او اسلامية - هكذا كان والد صاحب هذه المقدمة شاخصًا الى مدينة النجف الاشرف ، واقسم بالله ان ما حصلت عليه من مجالس النجف فقط يفوق ما حصلت عليه من قسم اللغة العربية في الجامعة المستنصرية طيلة اربع سنين كاملة . وان ما حصلت عليه من مكتبات النجف يربو على ما حصلت عليه ودرسته من الكتب المنهجية الرسمية .

ولولا النجف وحضارتها الأدبية لما تمكن صاحب هذه العجالة من اعداد كتاب واحد وهو اليوم بحمد الله عز وجل له عدة مؤلفات ألفتها العقلية النجفية . الى هنا احداً امسك بالقلم لانه لا يسترسل في هذا المضمار وتذهب به الاهواء الى ما لا تبغيه ولا ترضيه .

والخلاصة انا ملزم ان أقوم بواجب الوفاء الى نجف باب مدينة علم الرسول الامام علي بن ابي طالب صلوات الله عليه وعلى آل بيته الطاهرين

لأعوام أن أكتب تحت عنوان « النجف الأشرف رجال وأفكار ومواقف »
وما مضى الأمر وما مدّ الله في عوني وساعدني ، لذا بدأت بالحديث
عن العاطفة في الشعر النجفي عند ستة من فحول وأساطين الشعر
الذين طبقت شهرتهم الآفاق فتجاوزت النجف إلى العالمين
العربي والإسلامي .

هذا وقد نشرت قسماً من تلك البحوث في صحيفة العدل النجفية الأسبوعية
لأنها أول من نشر تلك البحوث من سواها ، ثم انقطعت عن النشر لظروف
طارئة ، ثم عزمت على تكملة البحوث لتطبع كتاباً ربما ينتفع به
القراء ويأخذ مكانه في المكتبة العربية وتسجل لي حسنة نافعة
من ثواب عند الله عز وجل ووفاء من المحافظة الإسلامية المقدسة
التي ضمت جسد أشرف وأفضل وأقدس رجل عرفه التاريخ وولدته
البشرية فاطمة بنت أسد بعد ابن عمه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله الأطياب
ذلكم هو الإمام الهمام حجة الله على الخلق علي بن أبي طالب سلام
الله عليه .

هذا وإليك سيدي القارئ تلك البحوث مجتمعة في كتاب سواء
ما نشر منها وما لم ينشر والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله
الطاهرين .

النجف الأشرف — كاظم محمد علي شكر
الجمعة / ٢١ / ٩ / ١٩٩٠ .

العاطفة في الرثاء النجفي

قبل ان نخوض تفاصيل البحث في العاطفة في الرثاء في الشعر النجفي ، لابد لنا من ايراد نبذة من مفاهيم الادباء والمفكرين والنقاد التي تمخضت عنها تجاربهم ودراساتهم للعواطف عامة والعاطفة الادبية خاصة.

قالوا : ان العاطفة هي الانفعال الذي يسيطر جزئيا او كليا على مشاعر الفرد فيميل به نحو أمر يملك عليه حواسه ، فهو لا يستطيع التخلص منه ولا التخلي عنه خصوصا اذا اتخذ ذلك الانفعال طريقه الى عقل الانسان ، وعند ذلك يعتقد - ذلك الانسان - ان ميله نحو ذلك الشيء انما هو ميل عقلي ومنطقي .

اما مسببات العاطفة فقد لخصوها بانها تنشأ عن الحنان الذي يسود علاقات الوالد بولده ، والمودة التي ترتبط بها الافئدة مع ابناء وطنه او بيئته وبين ابناء قومه او جلدته او قبيلته .

وقد تنشأ العاطفة عن بذور الحب بين الزوج وزوجته ، وهذا هو الانفعال الاعظم الذي يستولي على مشاعر الناس ويدفعهم الى اسمى درجات الحب وارق انواعه شريطة التعقل .

والعاطفة مهمة جدا للادباء بصورة عامة والشعراء منهم بصورة خاصة ، لانها تمدهم بشتات من الافكار وتدفعهم الى ابتكار المعاني ، وتنويع الصور واختلاق الاغراض ، وابتداع المقاصد ، فالشاعر عندما تأخذ العاطفة مأخذها منه يضفي عليها ما يراه ثم يفرغها في قالب او قوالب من الالفاظ ، ويجانس مع المعاني المختارة لتصبح قصيدة لها اكبر الاثر في نفس من يطلع عليها شغفا او رقة ، ونحن لا نذيع سرا ، ولا نقول جديدا اذا قلنا ان الشعر المجرد عن العاطفة مثله كمثل الارض القاحلة التي لا تزرع حبا ولا تنتج وبالعكس نجد الشعر الناتج عن العاطفة يتدفق بالمعاني العذاب والصور الخلابة والالفاظ النبيلة والانفعالات الفائقة ، فيستحوذ على سامعه او قارئه ويملك مشاعرهم واحاسيسهم .

ان للعاطفة دوافع كثيرة ومجالات واسعة ، وان العاطفة تتفاوت رقيا وانحطاطا بحسب تلك الدوافع ، فان كان الدافع

للعاطفة شريف المقصد نبيل المآرب انبثقت تلك العاطفة وارتقت
وان كان الداعي لها خبيث الغرض وضيع المقصد انحطت تلك العاطفة
وسقطت في متاهاته وضاعت .
والشعر العاطفي اذا احتوى على جمال الالفاظ وصدق الكلام وشرف
الهدف تداولته الالسن وخلد في قلوب الناس . والقلب هو مجمع
الاضداد يكمن فيه الرضا كما يستقر فيه الغضب ، ويستحوذ عليه
الكره ، كما يسيطر عليه الحب . والقلب بالاضافة الى ما تقدم هو
المستودع فيه الرجاء واليأس والقوة والضعف والشجاعة والجبن
والكرم والبخل ، وفيه نزوات ونزوات يطول تعدادها واحصاؤها .
ومما تقدم يتضح لنا ان العاطفة لا تختص بواحدة من تلك
الصفات ، وقد تكون في قضايا الحب والبغض اقوى منها في القضايا
الاخرى . وقد توجد العاطفة في الشكوى وقد توجد في العتاب
او الاعتذار وفي غير ذلك مما هو في مستوى الانفعالات الوجدانية
وقد ادرج بعض النقاد العواطف الادبية في اربعة مواطن وهي :
الرغبة ، والرهبة ، والطرب ، والغضب . وهذا لا يعني ان
العواطف لا تتعدى هذا الحد ، فالعواطف كثيرة ولكن تلك
المواطن الاربعة هي الغالبة ، ومن الامكان اندراج بقية الامور
العاطفية تحت مضامينها . فمع الرغبة يكون المدح والثناء والشكر
والتقدير والامتنان ، ومع الرهبة يكون الاعتذار والاستعطاف
والخوف والقلق ، ومع الطرب يكون الشوق ، ورقة النسيب
والالفة والحب والمودة . ومع الغضب يكون الهجاء والتوعد
والعتاب والسب والقذف ، ومما يروى عن الشاعر الخالد الذكر
«دعبل الخزاعي» انه قال : في كتاب له في الشعر : من اراد المدح
فبالرغبة ، ومن اراد الهجاء فبالبغضاء ، ومن اراد التشبيب
فبالشوق والعشق ومن اراد المعاتبة فبالاستعطاف .(٢)
تلك طائفة من المفاهيم التي قيلت في العاطفة فضلنا ابرازها مقدمة
هذا البحث ليطلع عليها القارئ الكريم نثراً قبل ان يطلع عليها
نظماً في الخرائد النجفية التي تجسدت فيها العاطفة في ابهى حللها
فالشاعر النجفي شأنه شأن الشعراء الآخرين الذين تحدثت في

مشاعرهم العواطف وسيطرت على احاسيسهم انفعالاتها، حتى وقد
تمايز الشعراء النجفيين في هذا المضمار فمنهم من ارتفع الى ارقى الدرجات
ومنهم من كان دون ذلك ممن يصل الامر الى درجة الانحطاط.

لقد تجسدت العاطفة في الوان شتى من الشعر النجفي ومن اصولها شعر الرثاء
ولعلنا لا نأتي بجديد اذا قلنا: ان شعراء النجف الاشرف لم يسبقهم
سابقه ولم يلحقهم لاحقه في مضمار عواطف الرثاء وفي اعتقادي
ان السبب واضح بين خصوصاً لدى ارباب صناعة الحرف. فالنجف من
الحواضر التي خصصت شعراءها - شأنهم في ذلك شأن مؤرخيها وكاتبيها
ومفسري خطبائها ونحوهم - قسماً كبيراً من جهدهم فناً وعملاً وفكراً
فاصبحوا لابراز مظلومية آل البيت النبوي الشريف (ص) بصورة عامة
ومظلومية الحسين بن علي عليهما السلام بصورة خاصة، وقد رافقت
تلك المظلومية احزان وآلام ومصائب وكروب وقتل وتشريد
وابعاد، ومن هنا كانت منطلق العواطف التي تفجرت حمماً وبراكين.
ومن هنا كان منار الرثاء الذي طبع عشرات الآلاف من صور مآسي
وويلات دعاة الانسانية والدين الحق والعدالة الاجتماعية...
صوراً ما انفكت ترسلها كامرة العواطف من الرثاء منذ ان حدثت
تلك المظلومية والى يومنا هذا يعكس بكل فخر ودقة واعتزاز
مظلومية بيت منقذ العرب والانسانية من براثن الجهل والعبودية.
والى جانب ذلك كانت صور عواطف الرثاء تحمل في ثناياها مشاعل
الحرية لتنير الدرب امام رسل الانسانية وتلقنهم دروس التضحية
والفداء والشجاعة والاقدام. هذا من جهة ومن جهة اخرى فان
تلك المشاعل تنذر اعداء الشعوب ومبغضي الانسانية ومناهضي
شرعة الحق، تنذرهم بان مصيرهم الى هلاك ونعيمهم الى زوال و
مآلهم الى فناء. ومن هنا استطاعة المرء ان يقول بان المراثي
اصبحت بمرور الزمن جزءاً لا يتجزأ من عقيدة شعب مؤمن بها الشعب
وشاب مضحياً من اجلها الكثير. فالرثاء عندهم اصبح وسيلة
زلفة تقربهم الى غاية أشرف. ومنذ ما يزيد على الف عام
تقريباً وحتى اليوم خرجت النجف آلاف الشعراء ضاقت باسمائهم
مجلدات معجم شعراء الطريحي وكتب تراجم الرجال ومجاميع المتتبع

لاشعار هذا الجيش الجرار من الشعراء يجده طافحاً بعواطف الرثاء الذي لا يبارى وقد صيغ بأسلوب عالي الجناب وفصاحة دونها فصاحة الاقطاب وبلاغة تباري في الثناء علية الاعداء والاحباب. هذا وجدير بالذكر ان هذه العواطف في تلك المراثي ما كانت على هذه الدرجة من الرفعة والشموخ إلا لكونها وجدت ارضاً خصبة وماء عذباً ومناخاً طيباً ولولا ذلك لما استطاعت ان ترتفع قيد انملة على الاطلاق، والذي اوداه اقوله: ان في رثاء النجف وفي رثاء آل البيت النبوي الشريف لا يمكن لاية عاطفة في اية مرتبة ان ترقى الى المستوى الذي ارتقت إليه عواطف الرثاء في الشعر النجفي، هذا وعندما عزمت ان اختار نماذج من صور العاطفة في الرثاء من الشعر النجفي، توقف القلم اندهاشاً لايدري اية عاطفة من اية مرثية من اي شاعر ينتقي، وهم ما شاء الله لا عدد النجوم والحصى والتراب)) واخيراً استقربي المطاف فاخترت من الشعراء الذين وفدوا على رب كريم اربعة وهم ١- الشيخ محسن الخضري ٢- السيد محمد سعيد الحبوبي ٣- الشيخ جواد الشبيبي ٤- الشيخ علي الشرقي. ومن الشعراء الذين ما زالوا على قيد الحياة توقف قلبي ايضاً وبان شعوره يومئ الى اختيار الشاعرين الكبيرين الدكتور عبد الرزاق محي الدين والاستاذ الشيخ محمد مهدي الجواهري.

ان هذا السداسي المختار هو بحق من اكابر شعراء النجف خاصة والوطن العربي عامة. فهم قادة الادب بلا غلو وفرسان التلاعب بالالفاظ بلا منازع وجهابذة استنفاق المعاني بلا منافس وعمالقة ابتداع الصور الخلابة بلا مناظر. اصطفتهم صفاتهم البيئة العائلية التي لا تشتغل الا في العلم والادب، وخرجتهم كباراً جامعة النجف الاشرف، وناهيك بها من دوحة تجاوز عمرها الالف سنة مما يعدون، وهي تناطح السماء في سمو علوها وعلو سمو مداركها وشامخ المعطيات في سعة معارفها وفلسفاتها. هذا ونحن في هذه العجالة لا نستعرض العاطفة اينما وردت في اشعار من اخترناهم من الشعراء النجفيين، فذاك ما يحتاج الى ابحاث ودراسات قد لا يتسع لها مجلد او اكثر. ولذا سوف نختار من اشعار كل علم قصيدة واحدة تكون موضوعاً وهدفاً ومناسبة مطابقة لموضوع وهدف ومناسبة اختارها القلم الذي تفرح به اركان العاطفة

لاهله لدى كل منهم مماثل للعلم الذي اندلعت منه العاطفة لرثائه
لدى الآخرين.
هذا ما كان بخصوص العاطفة وقد عرضنا اشهر ما قاله المفكرون فيها.
اما الرثاء الذي نحن بصدده فهو البكاء على الميت وعد محاسنه والنظم
فيه شعراً ونحن لا نقصد الرثاء بصورة عامة بل نقصد ذلك الرثاء
الذي انطلق مصحوباً بالعاطفة فاستحق ان يسمى رثاء العاطفة ان
قصدت الرثاء او عاطفة الرثاء إن اردت العاطفة.
بهذا القدر اليسير نكتفي من عرض ابسط مفهوم للرثاء لاننا لم نقصد
استغراق مفاهيمه، والذي نريده هو التعرف على ابسط معاني
الرثاء اي بقدر ما يتعلق الامر بالموضوع الذي نحن بصدده.
بعد تلك المقدمة التي كان لا بد منها اراني اقترب من ولوج باب العاطفة،
وقبل ان اتعمق فيه تدعوني الموضوعية ان اقوم باختصار عن
ترجمة كل شاعر اخترنا له مرثية عاطفية، وان ننوه كذلك عن ترجمة
العلم الذي نظمت من اجله المرثية وبذلك يكون القارئ الكريم
ملماً بجميع جوانب الموضوع آخذاً عنه صورة واضحة.
الى هنا نحيل القلم الى ترجمة اول شاعر مختار وهو الشيخ محسن الخضري
تغمده الله برحمته ورضوانه.

١ - الشيخ محسن الخضري

هو الشيخ محسن بن الشيخ محمد بن الشيخ موسى بن الشيخ عيسى بن الشيخ حسين بن الشيخ خضر ولد سنة ١٢٥٢هـ وتوفي سنة ١٣٠٢هـ حسب رواية الشيخ جعفر آل محبوبة في ج٢ ص٤١٢ من كتابه ماضي النجف وحاضرها. اما جامع ديوان الخضري وهو حفيده الشيخ عبد الغني الخضري فقد نص في مقدمة الديوان انه ولد في سنة ١٢٤٥هـ وتوفي في سنة ١٣٠٢هـ اي ان الاختلاف وقع في تاريخ الولادة فقط، وبين التاريخين مدة قدرها ثمان سنوات وهي ليست بالقليلة شيئاً.

هذا والشيخ محسن الخضري هو بحق من اشهر شعراء النجف بل العراق الذين يمتون بأسلوبهم الى القديم ولكن في ثنايا اشعارهم تلمس بذور التطور فناً وغرضاً الى ما يقارب الاساليب الحديثة في ابسط صورها.

لقد قيل عنه انه العلم الذي غنت بشعره الركبان وترنمت بقيثارة قوافيه الحسان وشدت بعذوبة الفاظه بلابل القضبان.

لقد قرأت له ترجمة في عدة كتب منها ماضي النجف وحاضرها للشيخ جعفر آل محبوبة او معارف الرجال للشيخ محمد حرز الدين، واعيان الشيعة للسيد محسن الامين، وغيرها.

ان مجال التأليف في هذا البحث لا يتسع لنقل ما قاله العلماء والمؤرخون في هذا العلم العلم، ولكننا سوف ننقل مقالة واحدة من افذاذهم لنطلع القارئ الكريم على الصورة المطبوعة في مخيلة العلماء والشعراء عن شاعرنا الخضري.

قال الشاعر الكبير والعبقري الشهير السيد حيدر الحلي (١٢٤٦ - ١٣٠٤هـ) وهو من ابرز معاصريه وكان في مقدمة مادحيه، قال: «بديع هذا الزمان ونابغة بني الدنيا لا بني ذبيان الذي تشهد ابكار القوافي انه ابو عذرها والمعلي الى الغاية في حلبات نظمها ونثرها، ولعمري لقد سرى متقدماً في ناحية هذه الناشئة مستصحباً شعلة من فكرته الثاقبة، فالتقطت من رثاء ابي العفاف هذه البنات التي لم تلتقطها فكرة ناظم، ذلك فريدها الاوحد الالمعي الشيخ محسن بن الشيخ محمد آل الشيخ خضر..»(١)

---

١ - مقدمة ديوان الشيخ محسن الخضري

إن شاعرنا الخرعبي ولد في النجف الأشرف وترعرع ونمى طفلاً فشاباً فكهلاً في بيئة عربية وبيت علم وأدب وزعامة دينية ودنيوية، ومن هنا كانت تربيته ونشأته تربية عربية، فهو ابن حسب ونسب وسليل مجد وشرف.

وكان في رثائه شريف المقصد نبيل الغرض وقد رثا الكثير من أبناء العلم والأدب، وقد اخترنا مرثيته في العلامة الشيخ محمد رضا بن الشيخ موسى ابن الشيخ جعفر (صاحب كشف الغطاء) بن الشيخ خضر بن الشيخ يحيى المالكي. فهو ابن عمه ويلتقي وإياه في النسب بالشيخ خضر بن الشيخ يحيى.

وقبل الخوض في خضم مرثية الخرعبي لابد لنا أن نتعرف بإيجاز على شخصية المرثى له. فهو علم يشار إليه بالبنان، احتضنته دور العلم واحتضنته مرابع الأدب وترعرعته دواوين البحث والدرس. ومن بيته تعاقبت الزعامة الدينية إلى جنب الزعامة الدنيوية زهاء أكثر من قرن ونصف وما زالت أغصان تلك الدوحة تتدلى على مناكب رواد العلم وأرباب المعرفة تغذيهم بثمارها الشهية جيلاً بعد جيل، قال عنه صاحب كتاب ماضي النجف وحاضرها في المجلد الثاني ص[illegible]: «أحد أعلام هذه الأسرة - يعني آل كاشف الغطاء - ومن مشاهير رجالها ومحور العلماء البارزين، انتهت إليه زعامة الأسرة وجلس في مسند أبيه موسى بن جعفر، وبعد ابن عمه الشيخ جعفر الصغير، وصار يقيم الجماعة بالصحن الشريف ويدرس في دار آبائه الشهيرة، وحضر عنده جماعة من الأعلام كالشيخ جواد محي الدين والشيخ أحمد المشهدي والشيخ عبد الرضا السهلاني وغيرهم. وكان على غاية من الورع والتعفف عن قبض الحقوق والأموال. وكان محبباً عند الجميع، وبلغ غاية الدقة والفطانة، حسن السيرة، وكان قد هجر النجف وسكن كربلاء مدة سنتين متباعداً عما كان فيها من تشتت الشمل و[illegible]... الخ» (1)

تلك نبذة مختصرة عن ترجمة شاعرنا الخرعبي وترجمة العلم الذي رثاه، فضلنا إيراد تفاصيل الخوض في تفاصيل المرثية إتماماً للفائدة، وهذه هي المرثية.

1- ج2 ماضي النجف وحاضرها - الشيخ جعفر آل محبوبة.

فقدتك من احدى الكبائر ... بمقلة كدر الاكابر
سوداء لا يجلو الشهاب ... سمارها ان جن عاكر
ومروعة تبكي وحق ... نفثاتها كالنار ثائر
ولولا الهول مصابها ... روح تردد في الحناجر
والى المقابر تمشي ... فتثير افئدة المقابر
وتصك جبهتها اسى ... بصفيح اسطح الدوائر
بغريب المراثي شجوها ... والشجو ما يغري المرائر
ولها سوافح عبرة ... كالجمر من حرق المحاجر
والدمع يطفئ الجوى ... فيسيل منه الجمر مائر
تنعى ابن موسى لا السليم ... بل بن جعفر والمفاخر (١)

في هذا المقطع يصور لنا الشاعر المصاب الجلل الذي خلفته وفاة المرحوم الشيخ محمد رضا آل كاشف الغطاء في نفوس الناس عامة وعارفي فضله وعلمه خاصة، فالمصاب فادح وهو من الكبائر التي قرنها الاكابر ويصيبهم بها آباء الفقيد واجداده، ولشدة فداحة المصاب فإنه اصاب مقلة العين فاسودت فيها «العين» الذي لا يجلوه ضياء النجوم او الاصباح لليل، اما المروعة الثكلى فقد تصاعدت نفثات قلبها من فرط لوعته نارا تأكلها وبكاؤها يتعالى فيتموج نيران فؤادها، ولهول المصاب فإن روح هذه الثكلى هي الاخرى تصاعدت حتى جاوزت الحلقوم الى الحنجرة وعندما اشتد بها الوجد هرعت الى المقابر تثير افئدتها طوراً وتصك جبينها في صفحات أسطحها طوراً آخر، فنرى شجوها من فداحته يغري مرارتها، ودموعها تجري كالمرائر وكأنها الجمر من حرقة المحاجر. هذا وليس الحيف على تلك الثكلى ان تفعل ما فعلته لانها لا تندب رجلا من سائر الرجال بل تنعى ابن موسى بن جعفر زعيم الامة وابن شيخ الطائفة، صنو المفاخر ووليد المكارم وربيب العلم والادب. ويستمر الشاعر في تراكيبه الفخمة قائلا:

فلتلق من شمائلها ... صيد القياصر والاكاسر
أمنيع ضيم الجار كيف ... علتك صرف الدهر جائر
أضناك عتب المجد بعدك ... طرفه اقذاه عائر
فإذا بكاك فإنما ... انسانها تبكي النواظر

١- ص٧ ديوان الشيخ محسن الخضري

وتقاعس عنك اذ كانت   تذل له الجبابر
لو كان غير الله ما أخضعت   خديك طوقه آمر
لكنما حتم القضا   او حان ترحال المسافر
رعيا لشرعك باسما   لمعت كاشعة الزواهر
وحماه بدرك طالعا   والشيء يذكر بالنظائر
سقيا لحفظ عهوده   نعمات يسلوهن ذاكر
تنسى بواكره النفائس   ام نفاسة الجواهر (١)

في هذا المقطع يوجه الشاعر خطابه الى الفقيد الذي سوف يلحق بتيجان قياصرة الروم واكاسرة الفرس لانه عظيم امته كما انهم عظماء امهم، يخاطبه بلغة الاستفهام، كيف جار عليك صرف الدهر، وانت المنيع لطمع الجبابرة وعلا المجد الشامخ، وانت ضياء عينه لقد انقض بعدك ملاذه وقد اوحشته الآلام والمحنة الاوجاع، ولذا فان هذا الطرف ان ابكاك فانما صروف التي تبكي اسائرها، ثم يقسم الشاعر بمعالي الفقيد التي كانت تذل لها الجبابرة ان الفقيد ما كان له ان ينصاع لكل من صرها يلبس الفوق والرفعة، ولكنه امر الله الذي لا يد له خاضع حتم القضاء، وان شاءت فقد بدأ رحلة المسافر، ثم يصف الشاعر فقيده بقوله رعيا لوجهك الذي ما فارقه البسمة التي لمعت كاشعة الزواهر على شرعه لانه اشرقت المعرفة عن فناء البدر المنير، والاشياء تعرف بالنظائر، وسقيا لحفظ عهودك التي لا يسلوهن ذاكر قط، فبواكره النفائس لا تنسى ونفاسة الجواهر لا تجحد.

ويستمر الشاعر في تلاعبه بالالفاظ مقدما صورا من صفات الفقيد. فيقول

وبكلت ثمت من يليه   هل قامت عثرة كل عاثر
اني لمنام الحصى   من سوء هاتيك الجوائر
حذرا من العز الكرام   لها نا في السوم عاذر
وعن لسر احجمت   والله اعلم بالسرائر
فاسلم ابا الهادي مستقل   النواهي والاوامر
وانهض لعز الدين منتصرا   سر بك خير ناصر
كالليث يقدم كاسرا   وينقل عنك الليث كاسر
انت ابن حيدر ما انتهت   سراج مشكاة المفاخر

١- ص ٧١، ص ٧٢ ديوان الشيخ محي الخطي

أنت المقيم عمادها … ولكل كسر أنت جابر
أنت الشفاء لدائها … ولكل جرح أنت سابر
أحمد أهلية الأكابر … صبرًا أجلست أجول كابر
فأبى الحبيب أشاره لأسيائه … إذ تطوى الخناصر
ومن المدارس نالت البشرى … وأعواد المنابر
فيهش العماد أقارط … جم المناقب والمآثر
كالبحر إلا أنه … عذب الموارد والمصادر
وإذا تعرف مشكل … يرتد عنه الطرف حاسر
فاكشف بصدر العرفان … سراره إن حب عاكر
وانظر إليه بذيلك النقية … تتكشف السرائر (١)

في هذا المقطع نجد الشاعر الفحل يعتذر للطفل الذي لم يدع للفقيد حرمة ويقيل عثرته ويعد لأنه صاح يمس الحصى نازلًا تنتهي الجواهر، والشاعر لا يدري لماذا أعرض عن ذلك فعسى أن يكون هنالك سر والله أعلم بالسرائر، بعد هذا الاعتذار يتوجه الشاعر بخطابه إلى أبي المهدي لاعتقاده الرجل المرشح للزعامة بعد الفقيد الراحل، فأعطاه وبأنه يمثل الأوامر والنواهي - أي الشريعة الإسلامية - وهل هي غير أوامر الله ونواهيه؟. ويطلب منه أن ينهض للعوادي الذي به سيتقصى فهو كالليث أكام ومدم كاسر. لا يليق عنه الليث حزمًا ومقوة.

ويستمر يعدد مكارم أبي مهدي فهو للشريعة الإسلامية إنما يجدرها وهو سراج مشكاة المفاخر، وهو الذي مقيم عمادها ويضمد الجروح ويجبر الكسور وهو الذي يشفي الدواء، إنه عميد الأهل وزعيم الأسرة وقد حدثت الإشارة إليه من خناصر الأحبار وجاهي مدارس العلم ومعاهد الأدب فهو صهر متميزة أمام منابر الخطابة شرعه تحظى به زعيمًا وخطيبًا لا يشق له غبار، وهكذا يوالي الشاعر عرض سلسلة من صور صفات الزعيم المرشح بعد أن أدرج عرضًا أمثالًا كانت صور خلال الزعيم الراحل، وختم باعتذار قائلًا إنه كان يسوم الحصى دون الجواهر. ولحد الآن لا ندري كيف سينتهي هذا الفصل الذي ما زال مخصصًا إلى أبي مهدي جم المناقب والمآثر فهو البحر عذب الموارد والمصادر وهو الناشق لسرار أي مشكل يرتد عنه الطرف حاسر. بعد هذا الشرح الموجز يجدر بنا أن نعود إلى

---

١ - ص ٤٧٦ - ٥٧٥ ديوان الشيخ محيي الخطي

فقد قال شاعر تستمع إليه وهو يلقي المقطع الأخير منها:-

أبا علي دار الزكي ... إليها قصد النواظر
وإذا شُدِّيت بني الرضا ... للفخر حين زها المفاخر
الفتى الفصحى مقدس طاهر ... حل بالحقيقة كل ساحر
وسما على طائر ... بالفخر عدوك منه طائر
بها السمراء أبي الحسن ... غدا الحسن قمر ناظر
ما تلقه منهم تلقه ... ملأ المسامع والمناظر
من باهر للعقل ... كل لمثله لو قيل باهر
يا تربة الرحم التي ... ضمنت من الطيب اللطائف
ما انتشت إلا المسك ... لولا نشية لدم البعاثر
ولأنت أذكى تربة ... طهرت بأعظم الزواهر
فعلى الأفاضل منهم ... أسنى التحية والأواخر
ما هب معتل النسيم ... وهاج فقد الألف طائر (١)

يسبق للشاعر أن طلب من الزعيم المرشح أن ينظر إلى المشاكل العملية بجماعته بذينك العينين (ويبدو أنه يقصد بهما أبا علي والزكي) وهم من أعلام الأصاحب تتضح الفعال تحقيقًا. ثم يقول وإن تحديث بني الرضا (وهم بني المرثي له) للفخر، فإن المفاخر لا شك بجملتك زهوًا وحبورًا. ويستمر الشاعر كعادته في سرد صفاتهم وتبيان محامدهم ثم يخاطب التربة التي ضمنت جثمان الفقيد فهي عنده المسك على الرغم من نشية المسك إلى دم البعاثر وهي عنده أذكى تربة وقد طهرت لأنها احتوت عظماء زواهر، فعلى الأفاضل منهم أسنى التحية، والأواخر كلما هب عليل النسيم وهيج فقدانه الألف صنو طائر.

وهكذا ينهي الخطيب قصيدته العصماء، ونحن ما أوردنا بعد أن أظهر الخطيب ما عنده أن تأتي بما عندنا أحسن ما قال وأبان ورثى وناح، وعايشنا التماس العاطفة ونحس موضوع النعوت كل الحلل الغنية التي كساها بها الخطيب، ونحن لا نستطيع أن نصل إلى ذلك قبل أن نستعرض أغراض القصيدة، ونقف على كل زوايا الخطيب من خلالها وبعد تتبع القصيدة لخصنا أغراضها بما يأتي:

١- بيان فداحة الخطب وعظم المصاب.

١- ص ٧٥ ديوان الشيخ محي الخطيب

٢ - بيان آثار الحزن والأسى لدى أهل الفقيد وعارفي فضله ومنزلته.

٣ - ذكر الصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة التي يتحلى بها الراحل.

٤ - التمجيد بما كان عليه الراحل من عزة ومنعة وسؤدد.

٥ - الإطراء والاستشهاد بالأعمال الخيرية التي قام بها الفقيد أيام حياته.

٦ - إشارة وترشيح لمن سيخلف الراحل ويسد مسده.

٧ - إظهار صفات المرشح الحميدة وبيان حليته العلمية والأدبية.

٨ - تعزية حارة إلى أسرة الفقيد وتوصية بالصبر والسلوان.

٩ - تعداد مفاخر الأسرة وبيان ما لها من فضل ومجد.

تلك هي الأغراض التي قصدها شاعرنا الخزرجي في قصيدته آنفة الذكر، فهي لا تختلف عن أغراض أسلافه من الشعراء إلا قليلا. ففي مطلع القصيدة كان همه بيان فداحة الخطب وعظم المصاب ثم أخذ يتنقل بين أغراض قصيدته. فوصف الآثار التي تركها الزعيم بفقدانه، ثم راح يجسم لنا صورا من فضائل الراحل مختلفة الألوان، متعددة الأغراض ومتشعبة الجوانب. ثم أشار إلى من سيخلفه في تدبير الأمور وتدوين الشؤون. ووجد أن هذا الأمر يستدعي إظهار ما يعززه ويسنده، فراح الشاعر بنفس الحكيم وذات القوة وكثير الأسلوب يعدد مفاخر المرشح لمسند الزعامة وتحمل المسؤولية. فهو من هو علما وأدبا وفضلا ومنزلة. وقبل أن يختم الشاعر قصيدته لا بد له من تعزية آل الفقيد وإسداء النصح لهم بوجوب الصبر والتسلي وهذه هي الأيام وتلك سنة الحياة ولا بد لقضاء الله أن ينفذ وبعد هذا نجد الشاعر الشهم يعرج على تعداد مفاخر الأسرة وما لها من شأن وجاه وينهي أغراضه المتشابكة ومقاصده المتداخلة بتوجيه التحية والسلام لأماثلهم وأواخرهم ما هب عليل النسيم.

هذا ولما كان هدفنا من استخراج الأغراض هو تلمس العاطفة الأدبية في الرثاء، يجدر بنا أن نقول أن شاعرنا الخزرجي استغل الأغراض التي تعارف عليها عصره عن أمانة عواطفه في ألفاظ لفقته وصياغة تعابيره ورسم صوره.

فالقصيدة أصلا ما أحدث لغرض عاطفي بقدر ما أحدث لبيان الأغراض التي أسلفنا ذكرها. ويبدو لي أن الشاعر لم يكن متأثرا

بعلاقاته الشخصية مع المقعد سواء ما كان منها في عهد الطفولة او في غيرها ، وذلك على الرغم من انحدارهما من دوحة واحدة ، وربما كان ذلك بسبب احساسه بعدم التعاطف في السنة المتقدمة من العمر . أو ان ذلك لم يكن عندهم راقيا الى مرتبة الاغراض التي تضمنتها القصيدة ، فالعاطفة وكما يبدو ليست من الاغراض التي كان يعنى بها الشعراء ، وهذا ما سنجده على العكس اذا ما تقدم بنا الزمن الى عصر الشرقي والجواهري ومحيي الدين .

---

٧ ـ السيد محمد سعيد الحبوبي

هو السيد محمد سعيد بن السيد محمود بن السيد قاسم بن السيد كاظم بن السيد حسين بن السيد حمزة بن السيد مصطفى بن السيد جمال الدين بن السيد رضا الدين بن السيد سيف الدين بن رميثة بن السيد رضا الدين بن السيد محمد علي بن السيد عطيفة ابن السيد رضا الدين بن السيد علاء الدين ابن السيد مرتضى بن السيد محمد ابن حميضة بن أبي نمي نجم الدين محمد، بن أبي محمد الحسن، ابن السيد علي بن المرتضى قتادة النابغة أبي عزيز، بن ادريس، بن مطاعن، بن عبد الكريم، بن عيسى، بن الحسين، بن سليمان، بن أبي عبد الله، بن علي، بن أبي محمد عبد الله، بن أبي جعفر المعروف بثعلب، بن عبد الله الأكبر، بن أبي محمد الأكبر الثائر بمكة، بن أبي الحسن موسى الثاني الأمير بن الشيخ الصالح أبي محمد عبد الله الرضا، بن أبي الحسن موسى الجون، ابن أبي محمد عبد الله المحض، بن الحسن المثنى، ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب عليه وعلى أبنائه أفضل الصلاة والسلام. (١)

تلك الدوحة المطهرة الشريفة التي انحدر منها سيدنا وشاعرنا وفقيهنا وزعيمنا وقائدنا السيد محمد سعيد الحبوبي تغمده الله في فسيح جنانه.

لقد ولد الحبوبي في محلة الحويش في مدينة النجف الأشرف عام ١٢٦٦هـ وتوفي رحمه الله تعالى في عام ١٣٣٣هـ ودفن في النجف الأشرف في المقبرة المشهورة باسمه في الصحن العلوي الشريف (٢)

وأرخ الشيخ جواد الشبيبي وفاته بقوله:

فقيد المسلمين غداة أودى ... حسبت الدين بينهم فقيدا
لئن وجدوه للداعي مجيبا ... لقد فقدوه قرآنا مجيدا
وإن شهدته أعينهم سعيدا ... فقد حملته أرؤسهم شهيدا
تقدم للجهاد أمير دين ... وساق المسلمين له جنودا
ومذ لاقى المنية أرخوه ... (سعيد) في الجهاد قضى سعيدا (٢)

الحبوبي استوى نار على علم، جمع الى جانب الأدب الجم علوم المعقول والمنقول فهو بحق فخر الإسلام والمسلمين، وإمام أرباب العلم والمجتهدين وزعيمهم بالإضافة الى ذلك قائد جحافل المجاهدين في ساحات المعارك، ورئيس المتطلعين الى مقارعة الاستعمار. توفي رحمه الله قبل أن يحقق

---

١ ـ كتاب ديوان الحبوبي محمد سعيد، مثلا معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام
٢ ـ صفحة ... ديوان الحبوبي
٣ ـ صفحة ... رجال الحبوبي

صدقة وشهدت الجماهير ويعقد النصر للواء الحسيني في مدينة الناصرية في طريق عودته من الجهاد الذي لم يكتب له النصر لأسباب لسنا في مجال التورط في سرد تفاصيلها.

لقد طغت شاعرية سيدنا الحبوبي على سائر الحلي التي كونت شخصيته الفذة، هذا وقد تعددت ضروب الشعر التي صاغ فيها الغزل العفيف ورثاء ... وقد برع في الرثاء فأودعه كنوز بلاغته وفصاحته وتفنن صياغة المعاني وإيراد ثمار الاشتقاقات، فالفاظه الحية تشكل الاعاطفه الصادقة ومواهبه الفذة واشاعيته العالية وورعه وزهده ودينه، وتكشف ينابيع حسه وشعوريته الطاهر الرقيق.

لقد جرى الحبوبي في عواطفه رثائه في حلبة واحدة تنزع بها الى القديم من الأساليب والمحسنات اللفظية والجناس والطباق. وقد اخترنا مرثيته التي خص بها السيد جعفر القزويني او قد نشرت في ديوان الحبوبي المطبوع في بيروت وقد اعتمدنا على طبعتها ونشرنا هذه الدراسة في أعداد جريدة العدل النجفية(1) وبعد صدور ديوان الحبوبي السيد محمد سعيد المحقق والمصحح والمضبوط والمبوب والمفهرس والمراجع والموثق بدقة من قبل الشاعر الفحل والثقة الحجة الاستاذ السيد عبد الغفار الحبوبي وهو من أعلام النجف وسادات آل الحبوبي الشرفاء وشاعرنا الموهوب ذلك الديوان الذي اصدرته وزارة الثقافة والاعلام / سلسلة ديوان الشعر العربي الحديث في عام ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م، بعد ذلك راجعنا الدراسة المنشورة في العدل فصححنا بعض الاخطاء في القصيدة وتخريجها وهنا أصبح الدراسة في هذا الكتاب معتمدة على الديوان الذي اصدره الحبوبي عبد الغفار والحمد لله رب العالمين.

تلك ترجمة موجزة للسيد محمد سعيد الحبوبي اوردناها جريًا مع منهجية البحث. اما السيد جعفر القزويني الحلي وهو العلم الذي رثاه شاعرنا الحبوبي فقد لخصنا ترجمته بهذه الاسطر :-

هو السيد جعفر بن السيد مهدي القزويني الحلي (١٢٥٢ - ١٢٩٨)هـ - (١٨٣٧ - ١٨٨٠)م، عرف بالفضل والوجاهة، كما عرف بالفقه والأدب، له مراث في شهداء الطف بكربلاء.(2) وهو نجل السيد جعفر بن السيد احمد الحسيني الحلي النجفي (١٢١٥ - ١٢٧٧)هـ (١٨٦٠ - ١٨٩٨)م (3) الذي توهمنا انه المقصود بالرثاء وذكرنا ذلك في صحيفة العدل العدد

1- لاحظ الاعداد ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٤٢، ٤٢، ٤٢، من جريدة العدل النجفية لعام / ١٩٧٥
2- ص٥٩٠ ديوان الحبوبي
3- ص٥٩٠ نفس المصدر السابق

(٢٨) في ٩/٨/١٩٧٥ وفقلنا ترجمته حسب رواية الشيخ محمد عزيز الربيعي(١)

هذا وقد وردت ترجمة مفصلة للسيد جعفر المقصود بالرثاء في كتاب معارف الرجال ايضًا، فقال: «السيد جعفر بن السيد مهدي بن السيد علي بن السيد احمد بن السيد محمد بن الامير قاسم الحسيني الحلي القزويني، ولد في الحلة سنة (١٢٥٢) من كريمة الشيخ علي نجل الشيخ جعفر كاشف الغطاء النجفي، كان من العلماء ووجوه اهل الفضل، وكان والده كثيرًا يثني عليه في المجالس العلمية والادبية لغزارة علمه وادبه. وفي حياة والده كان يتولى حسم الدعاوى بين الناس والامور الاصلاحية، وصار رئيسًا مطاعًا في العرفيات في الحلة الفيحاء، هاجر الى النجف وتعلم العلوم الدينية بعدما اكمل مقدماته على والده في الحلة المزيدية...»(٢)

ان السيد المذكور كان واحدًا من الاعلام الذين يشار اليهم بالبنان علمًا وادبًا وحسبًا ونسبًا، ومن هنا نجد القريحة وقوافي الشعر تتسابق جموعها للانتظام في خريدة رثائه بكل فخر واعتزاز، فاسمع سيدي القارئ شذرات تلك الحروف واوتار تلك القوافي الحبوبية الشعرية المحرقة تشد للدنيا ملحا:

ثم عثرت من بعد (قريش) صقيلا	وطويتك فذًا بل طويتك قبيلا
فجعت بفقدك واحدًا فكأنما	فجعت (بآل النصر) جيلًا جيلا
وتذكرت في يوم فقدك فقدها	(مضرًا) فاوصلت العويل عويلا
وغدت تطوف خلال نعشك ولهًا	واتت على اعواده تقبيلا
بكر النعي لها بأشرف اهلها	فلتبك يومك بكرة واصيلا
الكبرياء العز اكثر محامدًا	تبقى، فخرًا بأن تعيش قليلا
صفت عليك مدامعًا لو لم تكن	حمرًا، لخيلت البطاح (النيلا)
حرت فلنت الترب من ادراعها	وضعت لظل لم تجده ظليلا.
يا سيفها وسنانها غادرتها	ظهرًا أجب، وساعدًا مشلولا
ولأنت صارمها اصاب فلولا	ولأنت صارمها اصاب فلولا
لسلتك (البطحاء) عن اشياعها	ان أنت اكرم من نحوه سليلا.(٣)

في هذا المقطع يصور لنا الحبوبي السيد جعفر القزويني بانه صارم قريش البتار وقد سقط من يدها القديرة، ثم طوي في التراب، وكأن قريشًا كلها طويت بلحده، وتجد في هذا البيت اشارة الى نسب السيد الفقيد

١ - ص ١٧١ / ج / معارف الرجال - حرز الدين
٢ - ص ١٠٩ / ج نفس المصدر
٣ - ص ٢٢٤ ديوان الحبوبي

وكانت الباقية عند قريش ، وبالتي اللاتي تقيّد عند صدور قريش ولم
يتجاوزها الى بني النضر كلهم جيلاً بعد جيل ، وقد تذكرت فقدها السيد
فقدها منذ الجمل ، ومن هنا فقد واصلت العويل عويلا . وبالتي قريش
وبني النضر هم جماهير هذي الشعب بذلك الصارخ والعويل ، فإنا هي تعوّد
حول نعش الفقيد تقبّل أعواده ، ومن حقها ان تفعل ذلك لأن النبي
بكر لها سواشي احلالا ، ومن هنا كان الواجب عليها ان تبكي يوم السيد بكراً
واصيلا . وكيف لا تفقد الحيا وتنهار الأعصاب وقد فقدت كل سبل الكرى
الى مدى الباقية وقد اصبح من العزيز ان يبقى الا ولو لقليل من الوقت
هنا ويمضي السيد الحبوبي واصفاً فداحة المصاب الذي شمل قومه شاعراً
فيقول : ان الدموع المتدفقة عليك (والخطاب الى الفقيد) لو لم تكن
حمراء لصبغتها بلون النيل (ويعني اللون الاسود) حتى تصير المودة ان
(الصارخ) كلها سوداء ، اشارة الى غزارة الدموع – وكيف لا يكون الامر
بهذه الجسامة ، وانت لقريش درع السرد ، وبفقدك أضحت حاسرة
وقد صمتت لظل لم يكن تخليك ، الامر الذي سيعرضها للاخطار كبيرة
لانك سيفها الذي به تصول ، وتاركها الذي به تفتخر ، وقد غادرتها
مكسورة الظهر ، مشلولة الساعد ، لانك معقلها وقد تصدع وصارمها
وقد نكس ، لقد حوى كل هذا عليك ولانه قليل بحقك ، فانت سليل
مشايخ البطحاء ، واكرم من ضمه من اصفادهم :
ويمضي الحبوبي فيما بعد عارضاً لنا صوراً من المأساة التي تجاوزت البشر
الى الارض وما عليها من مقامات مقدسة وبنايات معظمة ، فاسمعه
يقول :

مقام ابراهيم يعلو صارخا ... حزناً عليك وحجر اسماعيلا
ومهاد ابي موسى فبانت والعلى ... وبك السلامة في ضمان رحيلا
يا ايها الجبل المنيع ركنه ... هول لعمرك ان نراك مهيلا
تلد الاقامة ان تقيم ولم تقم ... فينا فتنيل جزيلة وجزيلا
ومن الردى انلا نساموك الردى ... ومن الطليل بان نبيل غليلا
ملأت محاسنك البلاد فضيقة ... حتى لشخصك لم يدع مقيلا
لو قمت ما بين النداء والردى ... جهنا تقي الخطب الجليل جليلا
حتى تغيط عاشاً ابيك ظفرها ... اذ لم تجد بك للانام سبيلا

أودى (المحسن) الردى فكوكب   يا شمس ما ردي عليه أفولا
المحسن الآمال غادر نعشه   راجي الجدا لا يعرف التأميلا
وعليه عولت الورى وأظنها   فقدت بفادح خطبه التعويلا
كان (المحرم) محرمًا فأريتنا   يا (جعفر) فيه (الحسين) قتيلا
فكأن جسمك جسمه لكنه   كان العفير وكنت أنت غسيلا
وكأن رأسك رأسه لو لم يكن   عن منكبيه مميزًا مفصولا
وجبينك الوضاح مثل جبينه   بالجاه وليس كمثله تجديلا
وحملت أنت مشرفًا أيدي الورى   وشوى بنعش لم يكن محمولا
إن تمس أعناقًا حملن كريمة   فلهن (سجاد) ترك (عليلا) (١)

وفي هذا المقطع يخاطب الحبوبي الفقيد الراحل قائلًا له: مهلًا أيها الراحل وجدت لفقدك دموع العلى وأخرجت السلامة على الرحيل أيضًا، فكيف لا يكون الهول كبيرًا، وأنت الجبل المنيع وقد وجدناه مهيلًا، ومن تلك الأمانة أن تبقى مقيمًا فينا، وعطاياك تهطل جزيلة نافعة. ومن الحيف أن يكون الردى من نصيب الفقيد وحده بينما يقضي الانصاف أن يشاطره الردى وبعد هذه الأمنيات يوجه الشاعر خطابه الى الفقيد مرة أخرى قائلًا لقد تكاثرت محاسنك حتى ضاقت بها البلاد بحيث لم تترك حتى لشخصك مقيلًا. لقد اعتادت النوائب شخصك الكريم فما هو خطبها يهون عليك عاثرًا بك بعد التخطيط إذ لم يجد طريقًا الى تجرك من الناس، إن محبيك لو أرادوا إقامة حصن ما بين الردى والنوائب لما تمكنوا من منع الخطب الجليل الذي داهمك. وما هو الردى يقصد على (أبي موسى) ما ينبغي للشمس أن تتكور وأعتقد أنه يقصد جميع نورها في اطارها دون أن يتسرب الى خارجها. أما قوله: وما ردي عليه أفولا فيقصد به أن تلبس الشمس رداء ثوب الظلام حزنًا عليه. وهذا من الحق أن يجري كل ذلك، لأن هذا السيد مغني الآمال، قد غادرنا قاصدًا هدفه الأخير، دون تأمل أو انتظار. وعامة الناس التي عولت عليه اكثر الخيرات قد فقدت بفقده ذلك التعويل وذلك الأمل، وهذا شهر محرم الحرام الذي فقدنا فيه السيد جعفر يذكرنا بفقد الحسين (ع) فكيف لا يكون الأمر كذلك، وهناك نوع من التطابق الجزئي بين الحسين بن علي عليهما السلام وبين السيد جعفر القزويني الحلي

(١- ص٤٢٤) ديوان الحبوبي

وهو بالطبع أصدق بيانه، وهنا يخاطب الشاعر الفقيد قائلاً بأنك
فقدت، فقد أبى الشهداء رام جسمك جسمه لولا أنه عفير وأنت غسيل، ورأسك رأسه، إلا أنه مفصول عن المنكبين، ورأسك قائم عليهما، وجبينك جبينه إلا أنك سليم وهو جديل،
وفي مجال مراسيم الجنازة، فقد حملت أنت مشرفاً بأيادي من حملوه ولكن جدك الحسين سلام الله عليه بقي جسمه الطاهر في ملحودته بلا محمول ولم تجر عليه مراسيم الجنازة. هذا إذا عزمت أن ترحل عنا كرحيل جدك السبط الأسير، فلربما تركت بيننا لا سجاياك عليك)، كسجاده صلوات الله عليه.

بهذا التقابل الوصفي ينهي الشاعر هذا المقطع الذي عرض لنا فيه نماذج من صور الفقيد ومآثر فقده، ومدى الحزن عليه، ثم يعرج علينا بمقطع آخر من خريدته العصماء موجهاً إلى والد الفقيد:

ولقد مررت بجعفر مورث ... من جعفر في فقد إسماعيلا
يا أيها المهدي يا علم الهدى ... أعيا التصبر من سواك فعيلا
أيقنت حتى نعي إليك مصدقاً ... وتخال أنك قلته تخييلا
هو حيث من جلد القناة وإنما ... صدقي النبي قد اجتباك خليلا
أنت الذي ترقى بما يرضي به ... بارئ البرية هيناً وجليلا
أأقول فيك الآن وفيك أن لم ... جزعاً وفيك لا يزال جميلا
بك تهتدي لسبيل كل فضيلة ... وعلى منالك تجتدي تعويلا
ولئن وجدت لمن فقدت تماثلا ... ما كل عن كل يثوب بديلا
إن لم يماثل من ولدت مماثل ... فلقد رعى هذا لذاك مثيلا
تلك الجواهر كلها من معدن ... ما حال عن حالاتها تبديلا
شققت من ذاك الوشيج ذوابلا ... وصقلت من ذاك الفرند صقيلا (١)

وفي هذا المقطع نرى سيدنا الحبوبي معنياً بإبراز بعض الصور لوالد الفقيد، فهو قد فقد ولده جعفراً، كما أن جعفراً سبقه أن فقد إسماعيل – المعصوم الإمام جعفر بن محمد الصادق وفاة ابنه إسماعيل سلام الله عليهما – وهو علم الهدى الذي أعيى التصبر من سواه وهو الذي صدق نعي أبيه ولكنا نعتقد أنه سيظنه تخييلاً، وهذا لا يعني أنك جلد قاسٍ، وإنما ذلك صدق النبي الذي اختارك خليلاً، لأنك ترضى بما يرضي

١ – ص ديوان الحبوبي

يجاري عند الرفقة، سواء كان الأمر هيّناً أو كان جليلاً. وهكذا نرى صوتنا الحبوبي يصطحب جوانب شخصية ولد العقيد، يطلب منه الصبر بلهجة المشفق الرافق للصبر، بينما زال صبر ولد العقيد جميلاً. ولذا نرى الشاعر يخاطبه قائلاً: إنه يهتدي به لسبيل كل فضيلة، وإنه يسير على منواله، فقدم حديثه الشمائل التي فقدها بفقد أبيه وكل منها ينوب عن الآخر بديلاً. ثم يختتم الشاعر هذا المقطع ناعتاً نجل الفقيد وآباءه باسم الجواهر المصنوعة من معدن واحد، وليس لها أي تبديل.

ومن ذلك العيش تصف نجل الفقيد ومن ذلك الطرف قد صقل سيفاً صقيلاً.

هذا ونجد الشاعر الذي عرف من بين أقرانه بحسن وصفه للناقة العربية الأصيلة، وجودة انتقائه لضروب سيرها، وأكثر الأمور المتعلقة بها نجده قد اختار أفضلها مركباً ومنظراً وسيراً، وطلب من رسوله أن يعتلي ظهرها قاصداً المحلة الفيحاء.

يا قاصد الفيحاء من نفاحة ... ذيافة تصل الوجيف ذميلا
عنس كثيب القاع أرسل مائداً ... أو كالظليم مذ عراه أجفلا
كومارما بين الهضاب كهضبة ... شاء الإله لنقلها تحويلا
أنشئت إذ أبصر الرعاة مشكلا ... فكأنما يقطر (تدفّقاً) و(جديلا)
لم تكتحل عين امرئ ردفها ... إلا وجاوزت النواظر ميلا
فكأنها بين الشنائف (آصف) ... في عرش (بلقيس) يرى محمولا
لا يهتدي (نعمى) لبارع وصفها ... فيما تخشى مقصراً ومطيلا
أنثى الناقة (لصالح) هو (صالح) ... من قبل أوحى ناقة وفصيلا
واعقل بديلاً في مرابع معقل ... للوفد يحسبه النزيل نزيلا (١)

في هذا المقطع الذي خصصه سيدنا الحبوبي لرسوله وناقته، نراه يتفنن ويتلاعب بالألفاظ واصفاً الناقة، فهي نفاحة، ذيافة، وعنس، كأنها كثيب القاع وقد أرسل شروداً، أو هي الظليم الجافل المذعور، وهي لضخامتها كأنها ما بين الهضاب واحدة منها، ولكنها جعلت متنقلة متحولة من مكان لآخر. وإذا ما رآها رعاة الإبل، فإنهم يحسبونها تحملا ساقية «تدفقاً» و«جديلاً» وهما فحلان كانا للنعمان ابن المنذر ملك الحيرة، أما سيرها الناقة فهو متعدد الضروب متفاوت الحالات، فهي تصل الوجيف بالذميل. والعين إذا ما اكتحلت

١ - ديوان الحبوبي

حوى روضها حتى ما تجاوزت تلك النواظر فما طمعت في الارض حبيبة

مثل ما فيه تحير بين التشابه أصفاه فقد من عجوك في عرش بلقيس، ان هذه الآية العظمى لا يهتدي لوصفها كيف على الرغم من كونه امير الشعراء في وصف الابل مقصرا كان او مطيلا.

وبعد خلو السيد من هذا الغرض طلب من رسوله ان ينيخ الناقة لصالح الذي هو كصالح النبي أوتي ناقة وفصيلا كما طلب منه أن يعقل بديلها في مرابع معقل الوفد الذي يحبه التنزيل تنزيلا. وهنا لم يبرح الحبوبي بالغرض الذي ارسل من اجله ذلك الرسول الا في نهاية المقطع الذي أعدّه لعرض نماذج من صور السيد صالح، فهو:

المترف الجفنات في غسق الدجى ... والقائد الصعب الحرون ذلولا
المحتبي بالدست تحسب أنه ... أسد تصدر بالشرى الغيلا
المحتبي بالدست تحسب وجهه ... قمر السماء وتاجه الاكليلا
المحتبي بالدست تحسب خلقه ... روضا يباكره النسيم عليلا
المحتبي بالدست تحسب لفظه ... درا يفصل نظمه تفصيلا
المحتبي بالدست تحسب شخصه ... شخص (النبي) وقوله (التنزيلا)
ان اطرقت استولى الانام مهابة ... فاذا تبسم لاح وجه العلا
تعنو لطلعته الصيوف اذا بدا ... كالسيف أرهقه القيون صقيلا
يتشوفون اذا رأوه كأنه ... برق سما للمعتلين مخيلا
ما البلح جيد المقل وان تكن ... فخرت - فكان لك الجمال طويلا
ولو استطعت نظمت في ابياتها ... آي (الكتاب) مرتلا ترتيلا (١).

هذا هو المقطع الاخير من خريدة سيد الشعراء الحبوبي وقد عرض فيه جانبا من صفات وحلى السيد (صالح) وهو شقيق المرثي، فهو مترف الجفنات في غسق الدجى، وهو ان تولى الازمات ذلل صعوبتها. ولذا فقد شبهه بالقائد، وشبه الازمات بالناقة الصعبة الحرون - وهي التي تدور حول نفسها لا تغادر مكانها - والذلول سهلة الانقياد - والسيد صالح بالاضافة الى ما تقدم هو المحتبي بالدست وكأنه الأسد تصدر الشرى - الغيل - مقدما - وهكذا يمضي الحبوبي في سرد تلك الصفات الحميدة التي يتصف بها السيد صالح، فهو قمر السماء وجها وتاجه الاكليل، وشعوره رقة في اخلاقه، وقد باكرها النسيم العليل وهو كوهر

---
(١) ص ٢٢٦، ص ٢٢٧ ديوان الحبوبي

في لفظه وقد فصل تفصيلا، فتاوا الناظر اليه يحسب شوهه شخص «النبي» وكلامه و «الفركان» المنزل، فإن اطرق اطرق الناس رؤوسهم خجلا منه، وان سمع طارحه الناس القيل والقال. ولكأنما الصيون تسمو لطلعته ان بدى فهو كالسيف او صفحة الجدار صقلا". فالناس تباشر بركاته وكأنه البرق الذي يتباشر به المعلون.

بعد هذه النعوت وتلك الخلال يكشف السيد الحبوبي عرضه الذي ارسل رسوله من اهله الى الفيحاء على ظهر تلك الناقة التي اطنب في اوصافها فيقول: فاسكلط ويعني هذه القصيدة - جهد المقل وان تكن فصرت وكان بيك الحال طويلا. وانه لو استطاع لنظم في ابيانها آي الكتاب الكريم وكأنه رتلا ترتيلا.

بهذا المقطع ينهي الحبوبي خريدته العصماء التي رثى بها السيد جعفر القزويني الحلي رحمه الله، ولغرض الوصول الى هدفنا الموضوعي وهو التعرف على العاطفة في الرثاء الايك لناظر الموقف على اغراض سيدنا الحبوبي من قصيدته آنفة الذكر:

١ - تصوير فداحة الخطب الذي اصاب قبيلة بني النفر وقومها بفقد السيد.
٢ - تصوير فداحة الخطب الذي اصاب الفيحاء ومقام ابراهيم وحجر اسماعيل
٣ - بيان ما للفقيد من اثر نفسي ومعنوي في نفوس الناس.
٤ - بيان نماذج من فضائل الفقيد وحليه العلمية والادبية والاجتماعية.
٥ - بيان نوع من المواساة والفداء وما تتمناه الناس لدفع الرزء عن الفقيد.
٦ - مقارنة بين الحسين بن علي (ع) والسيد الفقيد.
٧ - اعطاء صورة عن والد الفقيد تظهر فيها صفاته وخلاله وحليه العلمية والادبية.
٨ - وصف للناقة التي ارسلها الحبوبي وتحمل رسوله حاملا القصيدة موضوعة البحث الى السيد صالح في الحلة الفيحاء وهو شقيق المرثي
٩ - اعتذار من كون القصيدة قاصرة عن بلوغ شأو الفقيد.

تلك اغراض السيد الحبوبي التي توخاها من نظم قصيدته الرثائية وقد وجدناه سالكا درب الشعراء الاقدمين اسلوبا وتركيبا ونقلا وغرضا ومعنا وديباجة.

ان اغراض سيدنا الحبوبي لا تختلف عن اغراض معاصريه وسابقيه
كثيراً، فليس في أغراض عاطفي محض يتعلق بعلاقات شخصية او عائلية او صداقات او حب، وربما اضافة الى ذلك لا نجد في اغراض القصيدة ما يشير الى آثار الفقيد العلمية او الادبية التي تركها، فالعاطفة ليس لها في تلك القصيدة محل بارز ان غرض محدود واحسب ان انعدام الرحم هو الدافع لهذه الظاهرة.

فنراه سيدنا الحبوبي في غرضه الاول كان مهتماً بتصوير فداحة الخطب و تعرض تهويله راح يقطع الزمن الى الوراء عبر مسيرة طولها الف وثلاثمائة عام يندب قريشاً ومضراً فغادر السيف الاشرف الى ارض قمة مكة وحارات المدينة ناعياً السيد جعفر القزويني الحلي، وكان اهتمامه لا يخص البيئة التي ولد فيها ونشأ وترعرع وعاش، ولا يخص دور العلم ومعاهد الادب التي فارقها وفارقته، بل كأن الامر لا يخص إلا قريشاً ومن النضر ومضر. من هنا نستطيع القول بان الحبوبي كان يعيش في اجواء العصر الجاهلي ومفاهيم صدر الاسلام او بعبارة اخرى نستطيع ان نشعر الشاعر انه لم يكن مهتماً بعصره الذي يعيشه ولا الارض التي يقف عليها بقدر اهتمامه بمضر ترمت عليه ثلاثة عشر قرناً من السنين وارض تبعد عنه مسقط رأسه ومكمن آبائه واجداده آلاف الاميال. فقريش عند سيدنا الحبوبي ما زالت يابالاغوار حلة الاسناد والسيف، ومضر ما زالت بقبتها الحمراء وربيعة ما زالت بفرسها الابلق. فنراه في الغرض الثاني يأخذنا السيد الحبوبي الى البطحاء، فمقام ابراهيم وحجر اسماعيل ليرينا عن ازمكانيتها بعد الفقيد الراحل.

وفي الغرض الثالث، يعرض لنا صوراً من الآثار النفسية والمعنوية التي اصابت المجتمع بفقد الراحل.

وفي الغرض الرابع. نجد سيدنا الحبوبي مهتماً بعرض نماذج من فضائل الراحل وصوراً من حليته العلمية والادبية والاجتماعية

اما في الغرض الخامس فاهتمام الشاعر كان منصباً على السلو من العواطف في اطار الفداء والمواساة والتمني بدفع الردى عن الفقيد لو كان ذلك مما يدخل في اطار المستطاع.

وبذا وقف السيد الحبوبي في عرضه الرثائي عاقداً مقارنة بين الحسين بن علي سلام الله عليهما والسيد جعفر القزويني الحلي، مقارنة بين تعظيمهما وتجميدهما ورأى سموهما وسجاياهما. والذي احسبه ان وفاة السيد جعفر القزويني الحلي كانت في شهر محرم الحرام الذي استشهد في العاشر منه سيد الشهداء الحسين بن علي صلوات الله عليهما. وفي المحرم كانت وفاة السيد جعفر وهنا اندفع الشاعر الى هذا الغرض.

اما الغرض السابع فقد خصصه الشاعر الى تعداد صفات والد الفقيد وبيان ماله من كرم وادب واخلاق.

وفي غرضه الثامن أسهب في وصف الناقة التي ارسلها الى الحلة الفيحاء تحمل كوماً وهي مطية وهي نفاحة زيافة سيرها الوجيف تارة والذميل اخرى، تسابق فحلي النعمان بن المنذر شدقماً وجديلاً، وهكذا يستمر السيد في هذا الغرض حتى يبلغ رسوله بناقته في مرابع السيد صالح ليستقبل السيد جعفر «الغر الجفنات» في عقد الدجى والمجتبى بالدست وكأنه الأسد تصدر بالذيب الغيلا، وهذا هو غرضه التاسع والاخير. وكان همه من الغرضين الثامن والتاسع ايصال تلك القصيدة الى السيد صالح مع اعتذاره لأن القصيدة كانت دون المستوى المطلوب.

ان اغراض سيدنا الحبوبي طريقته العلماء وهي كما درسناها لم تتضمن العاطفة في اطارها الخاص الناتج عن التعايش الشخصي او العلاقات العائلية، فالقصيدة تتضمن العاطفة في اطارها العام نحو المرثي فالشاعر كان منصرفاً لتحقيق اغراض قصيدته التي اسلفنا ذكرها وكان جل همه إخراج اغراضه في معانيه وتراكيبه والفاظه بعيداً عن اخراج عواطفه وما يكتنفها او يحيط بها. فالعاطفة لم تكن محوراً من اغراض الحبوبي في هذه المرثية واعتقد ان الاطار الذي حدد اغراض ومهمات الشيخ محسن الخضري هو نفسه الذي حدد اغراض ومهمات الحبوبي مع وجود بعض الفوارق.

فالحبوبي اكثر تشوقاً الى القديم والخضري أقرب اسلوباً الى الحديث، وذلك على الرغم من اختلاف الزمن نسبياً. وبمرور السنين وتطور الاوضاع سوف تدرك ان الشيخ الكبير بفقه

ومكاناً ملائماً بين جيلين مختلفين ومع تقليدين متباينين تاريخياً وجوهره.
استطاع شعراء البعث الأخرى الا قلائل منهم ولذلك الاطار التقليدي
في قصائد السيّاب ولكن لدى الأقلاء النظاميين الذين نجده عند
الشيخ علي الشرقي والاستاذ محمد مهدي الجواهري فبعضهم ما زال
واضعاً في الركاب رجلاً وفي الأرض أخرى أي انه يجمع
احياناً من الاطار القديم واخرى من الجديد ومن هؤلاء الدكتور
عبد الرزاق محي الدين وله في ذلك فلسفة ومغزى.

٢ ـ الشيخ محمد جواد الشبيبي

وهو الشيخ جواد بن الشيخ محمد بن الشيخ شبيب بن الشيخ راضي بن الشيخ ابراهيم ابن صقر بن دليهم ، من عشيرة « المواجد » من قبيلة « بني اسد » ذات العراقة في القدم والوضوح في النسب والشهرة والحسب والاصالة عند العرب.
ولد في بغداد سنة ١٢٨١ هـ وتوفي سنة ١٣٦٣ هـ ودفن في النجف الأشرف. ادركت اواخر ايامه عندما كنت شاباً ، وكنت اشاهد وجوه النجف وادبائها وعلمائها وشعرائها وقوافلها بين خارج وداخل من والى مجلسهم العامر بالآداب في دارهم العامرة الواقعة في محلة البراق والتي مازالت ماثلة للعيان حتى كتابة هذه السطور.
فعندما رحت اتذكر الاحتفال التأبيني الكبير الذي اقيم في مدرسة الصدر الاعظم في النجف الاشرف بمناسبة مرور اربعين يوماً على وفاة الشيخ جواد الشبيبي رحمه الله. وكان اول احتفال من نوعه يقام في النجف ويحضره رجال الدولة والاعيان والنواب والعلماء والقادة ورجال الفكر والادب ، سواء من كان منهم على مستوى العراق او البلاد العربية الاخرى ، وكان له صدى واسعاً بعيد الاثر في كافة الاوساط الشعبية والرسمية والعلمية.
اما اسرة آل الشبيبي فقد ذكرهم الشيخ جعفر محبوبة في كتابه ماضي النجف وحاضرها وترجم لهم في حديث طويل استغرق صفحة كاملة ، ما خلا تراجم اعلامهم ومن بعض ما قال عنها : ـ انها من اسر الادب المعروفة الفنية عن الاطراء ، اشتهرت بالانتساب الى جدها « شبيب بن الشيخ راضي بن الشيخ ابراهيم بن صقر بن دليهم » ، هاجر منهم الشيخ محمد بن شبيب الى النجف في اواسط القرن الثالث عشر الهجري لطلب العلم ، فحط رحله بدار العلم واكب على تحصيل العلوم الدينية ، وهم من بني اسد القبيلة العربية الصميمة في العروبة ، القديمة في العراق ، من فخذ يقال لهم « المواجد » . وقال آل شبيب اسرة شريفة تتحلى فيهم غر الخلال ، ويتحلون بمكارم الافعال ، يحملون الشمم والحمية ، وهم المثل السامي في الأباء والعفة والقناعة . تقدموا في النثر والنظم ، فهم من حملة الاقلام وصاليت الكلام ، لهم في الادب النجفي بل الادب العراقي سمعة وشهرة

وحديث الى الحديث، ما يلائم العصر ويوافقه فيقاد لهم
في العهد القديم نظم كثير يشتمل على وصف القدم والخدم والجمال والعذار
وبكاء الطلول، والرسوم، ولايزال محفوظا لدينا، ولما انقلب
مجرى النظم وتغيرت مشاربه، انقلبوا سالكوا في النظم منهجا
لائقا وطريقا سهلا لم يكن قبل معروفا ولا مألوفا، فهم اول من تجدد
في نظمه وتطور على ما يقتضيه العصر الحاضر، فهم المجددون في
الادب النجفي، "(١)

وقال عن الشاعر الذي نحن بصدده "ولد في بغداد سنة ١٢٨١هـ حيث توفي
ابوه بعد ايام قليلة من ولادته وكان مقيما فيها الى ان تعلم بعض شيوخ
الكشفك، فغادرت والدته بغداد بعد اشهر الى النجف، وبقي اثر ذلك
طائفة من اهله وذويه مقيمين للتحصيل، وهو شيخ الادباء وعلم النظم
وناسقة النثر مجيد في نظمه ونثره وشعره بالغ حد القوة والمتانة
يحوم حول المعاني البكر يصوغها بالفاظ رقيقة وتراكيب رصينة
حسن المحاضرة، سريع الخاطر، مستحضر الجواب، بليغ الخطاب، اتسمت
نفسه الرقيقة لاستماع الشعر وحضور نواديه، ولا يمنعه كبر
السن عن ذلك، وله في الادب النجفي بل العراقي صيت وسمعة،
ترجمه معاصروه منهم شارح ديوان السيد جعفر الحلي فقال: هو
الشاعر الشهير والناشر المتضلع الوحيد الذي لو كنت احدث
احدا عنه قول الخوارزمي

اذا اقترحوا على ورقة انامله ... اقر بالرق كتاب الانام له.

لما عدوته وشاهدي على ذلك مجموعة مراسلاته وكتبه التي جمعها بنفسه
فجاءت مجموعا كبيرا يخلب الالباب، ويتلاعب بالعقول ويدهش
الناظر لما فيه من براعة، اما هو في الشعر فحدث ولا حرج، فانه من الطبقة
العليا والطراز الاول وهو اليوم في العراق بغير مبالغة ولا مغالاة
يتيمة البلد وشاعرها الوحيد على الاطلاق، لا يشتطر شاعر في سلكه
ولا يبيع ما هو في لجه، وهو الجواد الذي لا يجاريه سابق في رهانه
...... الى ان قال: انه الغاية في عزة النفس والاباء وكرم الطبع
والسخاء والصدق والوفاء والاريحية والسلامة والظرف و
النزاهة وحسن الادب والمحاضرة، نجيب عشيرته فمن ابن حسينية

١- ص٢٦٦/ج ماضي النجف وحاضرها، س١٠١، ص١٠١، ص١٠٩، ص١١٥ الشيخ اكبر – حمود الحمادي

نفس تلك الانفس شاعر ،،(١)

ان المؤرخين الذين ترجموا ودرسوا هذا العيلم الفحل تناسوا في الثناء عليه او رثاء علمائها علاقاً متماً، واذا اراد المرء ان يورد ما جاء من مقالاتهم في حق شاعرنا الشبيبي الكبير فانه لاشك يحتاج الى مجلدات لغرض ايفاء الموضوع حقه. ولذا نكتفي بما قدمناه ومن اراد المزيد فليراجع كتب الرجال والتراجم والشعراء ليقف على حقيقة الامر. هذا وقد وردت له تراجم في كتاب معارف الرجال للشيخ محمد حرز الدين ج ٢ ص ٢٦ وورد له ذكر في ج ١ ص ٥٧ من كتاب «هكذا عرفتهم» للاستاذ جعفر الخليلي واعد عنه الاستاذ محمود الحمادي دراسة كاملة في كتاب ساعدت جامعة بغداد على طبعه وقد اسماه «الشبيبي الكبير» الى غير ذلك مما لا نستحضره من الكتب التي تناولت شيخ الشعراء بحثاً ودراسة وتمحيصاً.

تلك لمحة موجزة عن ترجمة شاعرنا الاكبر كان لابد منها عرضنا ليقف القارئ الكريم على معالم شخصية هذا الشاعر الذي انتهى به دور من حياة الشعر في العراق، وابتدأ به دور آخر، وكان يحق القول انه طليعة سواء في الشعر القديم الذي جاراه او الاسلوب الحديث الذي اقبل عليه، فهو بحق مدرسة جديدة من بين اقرانه، كان لها اكبر الاثر في الشعر العراقي المعاصر.

لقد طرق الشبيبي في شعره اكثر ابواب اغراضه وولج في مسلكه العديد من فنونه، وكان في جميع مقاصده وتراكيبه وتعابيره واشاراته فارساً لا يجارى وسابقاً لا يبارى، ومن بين الاغراض التي تناولها نظماً «الرثاء» وقد اخترنا من قصائد رثائه واحدة من اشهر ما قاله في هذا الضرب وسوف نعرضها للقراء الكرام فيما بعد، ونتدارسها لنرى ما فيها من عواطف وتجديد، بالقياس الى من سبقه من معاصريه من الشعراء. هذا وبعدما وقفنا على لمحة من ترجمة هذا العلم الفحل لابد لنا من التعرف على شخصية الرجل الذي رثاه وبكاه لتكتمل عندنا الصورة قبل الولوج في عالم عواطف الرثاء.

لقد اخترنا من مرثيات الشبيبي الكبير خريدته في رثاء السيد محمد سعيد الحبوبي، وحيث اننا سبق أن اوردنا ترجمة موجزة لسيدنا الحبوبي فان الحاجة لا تدعونا الى تكرار ما ذكرناه عن ترجمته، ولهذا فنحن نكتفي

١ـ ص ٢٧١ ، ص ٢٧١ / ج ماضي النجف وحاضرها ـ جعفر محبوبة

على ابواب معقول طريقة الشبيبي التي يقول فيها :

لواء الدين لف فلا جهاد   وباب العلم سد فلا اجتهاد
تحاربت المعاول والمواضي   فليس لها جدال او جلاد
يكلت معسكر الاسلام لما   أبيح عميده وهو العماد
كأن لم تركز الخرصان فيه   وتصهل في معاركه الجياد
تزاحمت الخطوب فهل سديد   وارجفت الثغور فهل سداد
اما نكد جحفل التوحيد من لا   يعدل صفه وبه متاد
تصيدت العدى في الجو نسرًا   وبشر الشهب فيهم لا يصاد
وارهبهم جناح منك اضحت   تقلب من قوادمه العباد
اذا وصفوا كنائبه استكانت   لحزمليكه الدول البعاد
مليك يجمع ان العلم تاج   له من فوقه مفرقه انعقاد
ومصلح امة لو لم يحطها   بهمته لاقعدها الفساد

فيما نعرف ميه لا امتلاك – مما استشعرت منه لا اتحاد (١)

في هذا المقطع نجد شاعرنا الشبيبي ينعى الشاعر الكبير بل القائد الاكبر دنيا وجهادا، فبموته سدت ابواب العلم ولف لواء الجهاد ووضعت الحرب اوزارها، ولذا فقد تحاربت المعاول وسكتت تقارع الصوارم وتعطل الجهاد. ان هذه الامور وفداحة النكبة هي التي هزت عواطف الشبيبي ودعته ان يبكي معسكر الاسلام الذي فقد عميده، ذلك للعسكر الذي اصبح مكانه لم يكن شيئا، فالرماح اصبحت صليلا، والجهاد انعدم صهيلا، وتزاحمت الخطوب ولا من سديد، وارجفت الثغور ولا من سداد.

بعد هذا التصوير الذي تحمله بانه افكار الشاعر نراه يوجه خطابا الى السيد الحبوبي قائد الجيش الثائر، فيقول له : من بعدك لصفوف الكتائب يعدل معوجها ويقود زحفها، لقد تصيدك العدى في الجو نسرا، ومن العجب ان يصاد النسر في الجو. وان حدث ذلك فما هو الا خوفا ورهبة من جناحك الذي تصول بقوادمه الكماة، ويقول له: ان كتائبك تستكين لوصفها عز ملك الدول الاجنبية. فحقا انت مليك وتاجك العلم معقود فوقه مفرقك. وانت مصلح امة ولولا اعمال نهضتك اقعدها الفساد. امة لولاك ما استقلت ولا تباعدت عن الازمة

---

١ – ص٩٨ الشبيبي الكبير – محمد الحمادي

~~والتناصر والولاء لما اشتمل على الوئام والاتحاد~~

اما في المقطع الثاني فان شاعرنا الشبيبي يسمعنا من بحته العاطفة الفاظاً احلى من العسل واصفى من السلسبيل وهو لما يزل يخرج لنا صوراً اخرى لسيد الشعراء الحبوبي :

وساق الجيش مطلعه " سعيد " ... وفي مجرى طلائعه السداد
بجمهور لا يعد وليس يأتي ... على احصائه ما تكره العداد
يسير المسلمون على سناه ... وفي الفلوات منه بلا اتقاد
كأن الخيل يرسلها سرايا ... كواكب في السماء لها طراد
كأن السمر آجام ولكن ... على عذباتها تجري البحار
كأن عداك في الهيجاء زرع ... دنى منه بمنصلك الحصاد
كأن البر لجّ من حديد ... تسيل به الاباطح والوهاد
كأنك يا نجاشهم سفين ... تسايرها الهداية والرشاد
أراد النصر يفتح بابه اين ... واهل الله يعقم ما أرادوا
ورد نفيرهم لم يلو جيد ... الى العقبى وعقباها ارتداد
تحايدت القبائل عنك لما ... رأت ان الحياة هي الجهاد (١)

في هذا المقطع يرينا الشبيبي صورة للجيوش التي ساقها الحبوبي الى ساحات المعارك والجهاد وكان مطلع هذه الجيوش لا سعيداً ، وفي الكلمة تورية لا تخفى على القارئ الكريم ، فهذا الشبيبي ما زال موجهاً كلامه الى سيدنا الحبوبي الذي اصبح مطلع الجيش به سعيداً لانه سعيد وسديد لانه سديد . والحبوبي في هذا المقطع يجمهر الناس بلا عد واحصاء ، كما ان العد والاحصاء لا يبلغان احصاء ذلك القائد النحرير الذي على هداه وسناه سار المسلمون في الفلوات ، وكأن سرايا خيله كواكب تطارد في السماء دون الارض . وكأن رماح هذه السرايا غابات وآجام ، وكأن اعداء قائد المسلمين زرع دنا قطفه ، وسوف يحصده منصله الصارم . هذا وقد تراصّ الحديد في ذلك البر الواسع وكأنه السيل العرم سد الاباطح واعتلى الوهاد .

هذا وبعد ايراد تلك الصور الرائعة لجيش المسلمين وقائده الحبوبي ، يواصل الشبيبي تصويره لخلال الحبوبي الاخرى ، فهو سفين النجاة تسيره الهداية ويحدوه الرشاد ، ثم ان النصر عندما عزم ان يكون

---
١ - ص ٢٩٩ نفس المصدر السابق

عليك الحبوبي ، وتاج رفعته اعقبه امر الله الذي لا أمر فوقه ،
ثم يخاطبه قائلاً فيعجبنا عليك المنية ، بعد ذلك ارتد النفير و
ليس للعتاب عنده جواب ولا للعواقب شأن ، واعلنت القبائل صيادها
عنك ، وكان حياتك بالجهاد ، فما اشبه يومك بأيام بني عمومتك وامثال
الحسين بن علي ومسلم بن عقيل ورشيد بن علي وغيرهم .
هكذا يُنهي شيخ الشعراء الشبيبي قصيدته التي رثا الحبوبي وبعد
ان فصلنا فيها القول يجدر بنا ان نحدد اغراض تلك القصيدة لنقف
على المدى الذي بلغته في عاطفة الرثاء .
١ – تصوير فجيعة الصدمة التي اصابت الحوزة العلمية والدينية بفقد الحبوبي
٢ – تصوير فجوة النكبة التي اصابت رجالات السياسة والجهاد .
٣ – ابراز صور الأسى والاسف على تفكك الجبهة الحربية التي
قادها الحبوبي لمحاربة الاستعمار البريطاني .
٤ – اظهار صفات الحبوبي وطلبه العلمية والدينية والادبية و
الاجتماعية والمؤهلات التي اجتمعت حوله وتزعمه القبائل المتحدة .
٥ – تمكنه من حلول الوئام والألفة في الاوساط المقاتلة محل
التباعد والتخاصم .
٦ – موافقة جميع الاطراف المعنية على زعامته لها وقد كانت
مختلفة بسبب هذه الزعامة .
٧ – اظهار لجوء الناس بعد وفاة الحبوبي الى الحياد بين الدولتين
المتحاربتين العثمانية والبريطانية ، واعتبار الحياد حياة لها .
هذه هي الاغراض التي في اعتقادنا ان الشبيبي كان متوخاها
من قصيدته وعلينا ان ننا قش لنلمس عواطف الرثاء الكامنة في ثناياها .
وقبل تفصيل القول في اغراض الشبيبي نلمس بوضوح بذور التطور
في صور الرثاء عامة وعواطفه خاصة ، ومن هنا نستطيع القول
ان الشبيبي محمد الجواد يشكل حداً فاصلاً بين القديم والحديث في هذا
اللون من الادب ، ان لم نقل في اكثر الوانه او جميعها . لقد ابتعدت
بك مخيلة الشبيبي صور التوقد والتوادب والهرولة الى مسافات
بعيدة في الارض او في التاريخ . فالشبيبي لم يطلب من الاموات
ان ينفضوا التراب من على اجسامهم و يستعطوا الاكفان بسبب وفاة

علم من الاعلام، بل تركهم راقدين في قبورهم بعيدين عن مجريات الاحداث
التي تدور في الكواكب التي غادروها، والشبيبي لم يطلب من البيوت
والمقامات والمساجد ان تتساقط احجارها جزعة على فقيد ما،
وقد فعل كل هذا اسلافه، الحبوبي والخطرعي وغيرهما. ولسنا
من بيان تلك المفارقة ونطيل المقارنة بينما ورد من اغراض
في قصيدة كل من الحبوبي وسابقه الخطرعي وبين اغراض الشبيبي،
فذلك واضح بين لا يحتاج الى شرح واظهار. فالشبيبي في الغرض
الاول كان همه ان يصور لمجتمعه عظم الصدمة التي اصابت الدوحة
العلمية بفقد سيد الفقهاء (الحبوبي) ومن هنا نجد الشبيبي يصف
الفقيد بانه (لواء الدين وكذلك...)
وفي الغرض الثاني كان هم الشبيبي تصوير الفدح الكبير الذي
جلل رجالات الادب والسياسة والجهاد، ومن هنا قال: (لا انخابت
المقاول والمواضي فليس (لا اجدال او جلاد...) وقال: (نكبت معشر
الاسلام ... الخ).
اما في الغرض الثالث كان الاسى والحزن قد خيم على شعر الشبيبي
بسبب تفكك الجبهة التي قادها الفقيد لمحاربة الاستعمار الانكليزي
ومن هنا قال: (تخاذلت القبائل عنك لما ... الخ).
وفي الغرض الرابع اخذ الشبيبي يظهر لنا بعض صفات الفقيد وحليه
العلمية والادبية، وماله من شعبية واسعة النطاق وتبادل محبة
وود مع الجماهير العربية ومن هنا قال: (ومصلح امة لولم يصلح...)
وقال: (يجمهم لا يعيد وليس يأتي ... الخ) وقال: (اليس المسلمون على
شفاه ... فلبك تجباء العلم تاج ... الخ).
وفي الغرض الخامس اظهر مميزاته الاصلاحية وخلاله الاخلاقية
التي ساعدت على التلاؤم والوفاق بين القبائل العربية محل الفرقة
والتباعد ومن هنا قال:

فما نفرت وفيه لها ائتلاف ... وما اشتجرت وفيه لها اتحاد

وفي الغرض السادس اظهر الشبيبي جدارة الفقيد الى الزعامة واستحقاقه
الكلمة على مكانته وسمو قدره والطاعة لزعامته ولذا قال:

لا وساق الجيش مطلعه سعيد ... وفي مجرى ملاشعه السداد

اما الغرض السابع والاخير فكان نعي الشبيبي منصبًا على تفرقة الناس بعد وفاة السيد الحبوبي الفقيد، ولعله قصد بذلك عدم توفر الزعامة المدركة لقيادة الناس بعد الحادث الجلل، وخلو الساحة من وجود الشخص الذي تتوفر فيه صفات الزعامة الدينية والدنيوية التي توفرت في السيد الحبوبي.

ان الملاحظ لاغراض الشبيبي يجدها جديدة للغاية على عصره فهي والحق يقال لاول مرة تظهر في عالم الادب ولاول مرة تبتعد عن التقليد الجامد في عالم الرثاء عامة والعواطف خاصة.

فالشاعر لم يخرج عن الاطار الذي عاشه فقيده ولم يربط رثاءه بموضوع لا علاقة للراحل به على الاطلاق، بل ان جميع الاغراض التي قصدها الشبيبي كانت ذات علاقة مباشرة بالفقيد، فالدين والجهاد والزعامة والاصلاح والشتات الناسي حول الفقيد وبكائهم عليه واسفهم على فقده وهجرها، كل هذه الامور كانت من صميم صفات السيد الحبوبي ام من صميم الاعمال التي كان يقوم بها حقًا. وبكلمة موجزة ان الشبيبي لم يقحم امورًا لا علاقة لها بالحبوبي فقيده على الاطلاق في موضوع رثائه، وهذا ما كان مخالفًا للاساليب والاغراض التي انتهجها اسلاف الاول معاصري الشبيبي من الشعراء والادباء ومنهم الخطيب وقد مرت مناظرته والحبوبي نفسه وقد اسهبنا القول في مرثيته فيما مضى. هذا والعاطفة في قصيدة الشبيبي تلك لم تكن الصورة واضحة بارزة، بل كانت صورًا عاتمة ان لم تكن معدومة.

ولعل الاغراض التي استهدفها الشبيبي هي التي طغت على غرض العاطفة الذي لم تجعله فرصته في هذه القصيدة. هذا بالاضافة الى كون العاطفة تستلزم قبل كل شيء صلة ما رحم او مودة وتعايش، واعتقد ان انعدام هذين الامرين كان له دخل في ابتعاد غرض العاطفة في قصيدة الشيخ الشاعر تلك، ومن هنا نستطيع القول: ان الرثاء عامة بعضه يتضمن اغراضًا عاطفية يكون للرحم والمودة والتعايش دخل كبير في ابرازها اما الآخر فنجده خاليًا من الاغراض العاطفية وذلك لانعدام السبب الذي اسلفنا ذكره.

---

٤ ـ الشيخ علي الشرقي

هو الشيخ علي بن الشيخ جعفر بن الشيخ محمد حسن بن الشيخ موسى بن الشيخ حسن ابن راشد بن نعمة بن حسن . زعيم عشيرة « الفراغنة » وهي احدى عشائر قبيلة « بني خاقان » القبيلة المعروفة . لقد ذكرنا هذه السلسلة النسبية نقلاً عن كتاب ماضي النجف وحاضرها (١) وهذا يتفق وعمود النسب الذي ذكره الشيخ جعفر آل محبوبة في كتابه المذكور مع عمود النسب الذي ذكره الاستاذ عبد الحسين مهدي عواد في كتابه « الشيخ علي الشرقي » (٢) ما عدا اسم « الشيخ احمد » ويقع بين الشيخ محمد حسن والشيخ موسى ، لم يذكره الشيخ جعفر محبوبة . اما عمود النسب المذكور في ديوان الشرقي (٣) فليس فيه « حسن » ما بين « موسى » و « راشد » وعندي ان عمود النسب الذي ذكره الشيخ محبوبة هو العمود الصحيح لانه كتاب محبوبة طبع في زمن الشرقي وهو قطعاً كان من المطلعين عليه .

هذا وقد قال الشيخ جعفر آل محبوبة آنف الذكر ان آل الشرقي من بيوت العلم والادب علوا بالعلم والفضل فكانوا مناهل العبقرية وروّاد الفضيلة وعشاق الكمال ..... وقال عن الشيخ علي نفسه : ولد في النجف سنة ١٣٠٨ هـ من مشاهير ادباء النجف ومن طليعة الكتاب وهو احد الجماعة الذين رفضوا طريقة النظم القديمة ونهجوا منهجاً جديداً لم يكن مألوفاً في بيئتهم ولا كان معروفاً في عصرهم . واثروا في النفوس وقلبوا الافكار وحرروا مجاري النظم ، فقلدهم فيه جمهرة من هواة التجدد وعشاق الحضارة والادب العربي وله شعر كثير ونثر فائق وشهرته تغني عن نعته وله مقالات مفصلة في الأدب والتاريخ والمواضيع العلمية في المجلات ، نشأ في النجف يتيماً فكفله خاله العلامة الكبير الشيخ عبد الحسين الجواهري فتغذى من لبان ادبه وكرع من مناهل فضله ، درس العلوم الادبية على اساتذة بارزين وحضر في الفقه والاصول على العلامة صاحب الكفاية وغيره من علماء عصره ، وبعد تشكيل الحكومة العربية ، دخل في زمرة رجال الموظفين ثم انتقل الى بغداد عضواً في مجلس التمييز الجعفري ، ثم [illegible] عضواً في مجلس الاعيان ووزيراً بلا وزارة ثم عاد الى

١ ـ ص٢٩٥ ـ ص٢٩٦ ج٢ ماضي النجف وحاضرها ـ جعفر محبوبة .
٢ ـ ص٧ علي الشرقي حياته وادبه ـ عبد الحسين [illegible]
٣ ـ ص١ ديوان علي الشرقي

مجلس الاعيان، ومن آثاره «وكرى السعدون» و«نكبت القلم» و«الالواح التاريخية» و«الاحلام» و«الاندية العراقية» و«الطبقات العراقية» و«قيد النوادر» و«ديوان شعره» «الطمى» «عواطف وعواصف»، (١).

هذا وفي كتاب «هكذا عرفتهم» للاديب الكبير الاستاذ جعفر الخليلي ترجمة وافية للشاعر المجدد الشيخ علي الشرقي بدأها الخليلي بحوالي عشرين صفحة من المجلد الثاني من كتابه المذكور ولغرض اطلاع القارئ الكريم على نماذج اخرى من الصور الادبية التي التقطت لعبقرية الشرقي ونموه في عالم الادب عامة والشعر خاصة، نقتطف من بيان الخليلي التي خص بها الشرقي زهرات وثمار وذلك اتمامًا للفائدة وزيادة في تعريف شاعرنا العيلم الذي هو والحق يقال غني عن التعريف حيا وميتا.

يقول الخليلي: «لا اعرف يبدأ ت ادرك وانا صبي – كانت هناك في مدينة النجف الاشرف عزلة من الشبان الذين تفتحوا اذهانهم اشعار شيوخ الادب، فاوغلوا في اذهان الجميع – ما كتبوا ونظموا ونثروا – انهم سيكونون شيوخ الادب وزعماءه في المستقبل. وكان الشيخ محمد رضا الشبيبي والشيخ علي الشرقي في طليعة اولئك النفر، من ادباء الشباب ما تطلعوا الى العالم الخارجي وتتبعوا حركة الثقافة وعرفوا اخباره،

فيوم غرقت الباخرة «لاتيتانيك» سنة ١٩١٢م على اثر اصطدامها بجبل الثلج في المحيط الاطلنطي، كان الشبيبي والشرقي من اوائل شعراء العرب ان لم يكونا اول شاعرين خصا بهذه النكبة، فحلقا في اجواء يصوران في الشعر تصويرا غاية في الروعة ويعرضان للهلع والفجيعة الواقعة تستفز الشاعر وتدفقه بالصفات والامثال،... قال الشرقي:

فيا جبل الجليد ولست ارسي — فكيف وكيف في جبل الحديد

وما اصطدمت جبوش في جبوش — بل اصطدمت جدود في جدود

ويقول الخليلي: والحق يقال: ان هذا النفر من الشباب هم الذي نقل الشعر الكلاسيكي والوعي السياسي والاراء الحديثة الى النجف ان لم يكن الى العراق كله. اذ لم يسبق لجماعة كبيرة في اية مدينة من مدن العراق التي تجاوبت مع الحضارة الحديثة والافكار الجديدة مثل هذا التجاوب

١ – ص٢٩٦، ٢٩٧ / في ماضي النجف وحاضرها – محبوبة، علي الشرقي حياته وادبه – عبد الحسين مهدي، ديوان علي الشرقي – اصدار وزارة الثقافة، جمع وتحقيق ابراهيم الوائلي وموسى الكرباسي – للاطلاع على تفاصيل حياته وادب... الخ.

في مثل تلك الأيام العصيبة التي أنا في الاستعمار العثماني بكلكله على العراق فما يجده من فهم نفسه ومفهوم معنى الحرية ومفاهيم الثقافة.
ويقول الخليلي: ان الشرقي وليد أبوين لهما شأن في تحليل فيما اورثاه ابنهما هذا من ملكات حسية وشعرية، فأبوه الشيخ جعفر الشرقي عالم اديب وشاعر، وامه من آل الجواهري وهي اخت الشيخ عبد الحسين الجواهري والد الشيخ عبد العزيز الجواهري، ام محمد مهدي الجواهري الشاعر الكبير وطالب عبد الهادي الجواهري.
ويقول: وخطا الشرقي في السن والادب وادرك الحرية خطوات جعلته من اوائل المعتنقين لفكرة استقلال العرب والدعوة الى العروبة، فقد كان العثمانيون احتلوا استغلال الدعوة الاسلامية وايهام جميع الاقوام المسلمة، وايهام جميع المسلمين بان الدولة الوحيدة التي تذب عن الاسلام وتحمي حوزته آنا هي الدولة العثمانية، لذلك كان من الامور غير اليسيرة ان يفهم المرء ان الخروج من ربقة العثمانيين لا يعني الخروج من الاسلام، فكان عدد المدركين لهذا قليلين في ذلك اليوم، وكان الشرقي من هذا القليل. ثم خطا الشرقي في الادب خطوات جريئة، اذ اصبح شعره على جانب كبير من التوهج بالشعارات والتقاليد والنقد والاستهجان ... وعرف الشرقي بطرائف نظمه وصيده المعاني وطريقة الشعر بلونه من اوائل المجددين في الشعر، الا انه لم يكن قد سبقه شاعر في شعر الفكرة على ذلك النمط الذي حبب للادباء والمتذوقين وكرهه للمجتمع الذي حارب تقاليده، والاسيما رجال الدين كثيراً ما استعمل في رباعياته وخزا واستهانة بتقاليدهم ...
ومن هذه الرباعيات المبتكرة المجددة قوله وهو يخاطب الزعيم الروحاني المرائي الذي يتظاهر بما ليس فيه ولا يهدي بما امر الله به يقول:

انظر الى سبحته	تر الذي اقول لك
شيطانه كخيطها	بين الثقوب قد سلك
يا ذرة من نفختنا	قد ارتقت الى الفلك
ما اسودت السوءة	إلا لترينا عملك (1)

بهذا القدر اكتفي مما عرضت بعض الصور الادبية والالواح المسلكية التي ذكرها الخليلي لشاعر الجيل الجديد العلامة الشيخ علي الشرقي.

1 - ص 207 - هكذا عرفتهم - جعفر الخليلي

وهي كثيرة ومتنوعة تلفت اليها انظار من اراد المزيد للاطلاع عليها.
وقبل ان الج ابواب عواطف الرثاء في شعر الشرقي من خلال قصيدته المعروفة بـ « شمعة العرس » لابد لي ان أذكر السبب الداعي الى نظم تلك الخريدة الفريدة في نوعها التي اعتبرها في شعوره العالية في مصورات الشبيبة من عواطفها ، وقد احتضنتها اندية النجف الادبية وحفظتها الالسن وغنت بها الركبان .
ويقول الخليلي : « وحدث للشرقي حادث جعل - الجميع - من كان قد سمع به ومن لم يسمع باسمه ، ومن كان قد عرف الشعر ومن لم يعرفه ، ان يسأل عن الشيخ علي الشرقي وعن بيته ومسكنه ومزاجه ومشاعرته الغياضة فلقد استقل الشرقي في بيته وبدأت معالم استقلاله هذا تظهر في مجلسه واحاديثه وشخصيته ، واقدم على الزواج ، وللشرقي كثرة من الاصدقاء ، ومما حمل الشاعر في ذلك اليوم على الشعراء ان يترنموا له التهاني بالقصائد كما ان يعدوا له سمرا يشارك فيه الادباء بشعرهم .
وهكذا كان ، وكانت مقدمات العرس بمثابة ثورة في عالم الشعر والادب ولاسيما الفصل كان ربيعا ، والنفوس تبتهج في الربيع ، ووقت العرس وما كادت تدخل الحفلة حتى شكت ، لقد شكت من حادث مفاجئ ، قالت : اني احس باني أحترق ، احترق بعد اقل من لحظات اسلمت الروح بارئها فكانت فجيعة كبيرة دوت صداها في البلد ، بان عروسا تسلم الروح في ليلة زفافها . فمن تكون العروس ؟ ومن هي صاحبتها ؟ وكيف حدثت هذه الفاجعة ؟ وبقيت عشية وضحاها يتردد اسم الشرقي على كل فم يصفه الزوج المفجوع ، ثم لا يلبث ان تنتشر قصيدته الرائعة « شمعة العرس » التي بعثت بها اللوعة ، فتناقلتها الالسن فما عن فم ، قبل ان تنشر على صفحات الجرائد ، وفي مقدمتها مجلة « العرفان » فيما بعد ، فلم يبق في النجف من المتأدبين والادباء من لم يستظهر « شمعة العرس » التي يقول فيها :(١) . اورد الخليلي من قصيدة « شمعة العرس » اربعة ابيات للاستشهاد . وها نحن نوردها باجمعها لان عليها مدار بحثنا وهو العاطفة في شعر الرثاء عند الشيخ علي الشرقي .
هذا وقد نظمت تلك القصيدة بعد الفاجعة المفاجأة سنة ١٩٢١ م ، ويقول محقق ديوان الشرقي الدكتور ابراهيم الوائلي والاستاذ موسى الكرباسي

١ - هكذا - ملحق ٢ هكذا عرفتهم - جعفر الخليلي

ايضاً من القصيدة بخط الشاعر وقد كتبها في سنة ١٩٢٧م وهي ضمن
مجموعة قصائد في مكتبة الحاج صبيح السهروردي في بغداد. (١)

شمعة العرس ما اجدت التأسي   انتِ موقودة ويطفأ عرسي
انتِ مثلي مشبوبة القلب لكن   من سناك المشؤوم ظلمة نفسي
يارعى الله للزفاف شموعًا   يتراقصن حول نعشي وعرسي
علمت حظها الليالي فذابت   فجلا تسقط الدموع بهمس
هكذا ذاب باحتراق مواكب   هكذا اسورة الدموع براسي
حلوة ام مناحة لنجوم   بيننا شرن بين سعد ونحس
كان عرسي تذكو الاماني شموعًا   والليالي خبين ظني وحدسي
الرجا كان شمعة فتلاشى   وانطفا صارم الرجاء بيأس (٢)

في هذا المقطع يصور لنا الشرقي عظيم حزنه وشديد اسفه وبالغ كآبته من جراء فقده عروسه ليلة زفافها، ان عبقريته الفذة تتلاعب بالالفاظ وتتصرف بالمعاني، تلاعب وتصرف القادر المتمكن، وفي الطارفتين اللتين استطاعة شعرية فائقة جعلت على ابتكار التراكيب وخلق المعاني البكر وبسهولة عجيبة لا يكتنفها تكلف، وشمعة العرس على الرغم من قلة المعاني التي تكتنفها وتحيط بها، فقد استطاع الشرقي ان يمتد فيها صوت فريدته التي هزت اندية النجف الادبية وتجاوزتها الى ارجاء العراق فالبلاد العربية الاخرى.

فشمعة عرس الشرقي لم تحسن التأسي اذ كان عليها ان تبادر الى اخماد نورها اسوة بنور عروسه الذي تلاشى تحت التراب. ان تلك الشمعة بعد المنية ابقت مشبوبة النيران، وكان عرسه امام الناس على قيد الحياة امام في قمة العرس.

هذه هي اعتقادي انطباعة الشرقي في البيت الاول من قصيدته عن شمعة العرس. ولكنه في البيت الثاني من القصيدة اعطانا انطباعاً جديداً عن شمعة العرس، ولعله ادرك انه قد ظلمها في البيت الاول فخاطبها مجدداً ومعترفاً بانها مشبوبة القلب تماماً كقلبه هو، بيد ان الفرق بين العريس وشمعته ان نفس الاول مظلمة ونفس الثاني منيرة، ومن نورها استمد تلك الظلمة.

وفي البيت الثالث يصور لنا الشرقي تراقص الاصحاب والاخوان على

---

١ - ص١٢٧ ديوان علي الشرقي - وزارة الثقافة والاعلام - تحقيق الاستاذ الكرباسي
٢ - ص١٢٧ - ص١٢٨ نفس المصدر اعلاه

نعش العروس وعلى الرمس الذي احدو الابدلامن زوافتها عليه قية
العرس حسبما جرت عليه العادة .
ان شمعة العرس تلك منحوسة منكودة فاكنت الليالي حظها ، ولذا
فقد ذابت خجلاً ، وارسلت الدموع سخينة
تشبيه غاية في الروعة ، دموع الشمعة هذه القطرات المتساقطة منها
بفعل النار المشبوبة في فتيلها ، فالشمعة تبكي عروس المفقودة
حزناً وجزعاً عليها - اما فؤاد العريس فهو الآخر سريع بالذوبان
تماماً كدموع الشمعة الذائبة وهكذا كانت صورة دموع عيني العريس .
وبعد هذه التراكيب الفياضة بالعبقرية والعواطف يتساءل الشاعر
المجدد ، أهي حلوة ؟ ام مالحة ؟ فاقطفت من أجلها دموعه كالنجوم
بين سعد ونحس ، ثم يقول هذا الشاعر المنكوب بعرسه انه كان يعتقد
ان امانيه سوف تذكو شموعها في ليلة عرسه ، ولكن هذا الحدس وذلك
الاعتقاد قد خيبتها الليالي ، فرجاؤه كان قبله العمر وقد تلاشى كما
تلاشت الشمعة ، وقد انطفأ نور ذلك الرجاء العارم بيأس العريس .
ويستمر الشاعر الفحل رائد التطور والتجديد في اختراع الصور وابتداع المعاني
من شمعة عرسه قائلاً :-

أجملت دمعة المهاب الغواني   تتعالى من سنور الدمقس
تتبارى بجمعة وانصداع   تطأ الارض بارتباك وحبس
كنجوم تكدرت فتهاوت   من سماء الى حظيرة قدس
نوجيت بالبكاء ومد جهد الد   مع تبالمين باحمرار ولمس
ابدلوها عن المنصة نعشاً   طالما ضم رب عرش وكرسي
وترى نعشها كباقة ورد   تتهادى الاكف فيها بحبس
رقدت رقدة التنعيم بجنب الد   كأس في ساعة ارتياح وأنس
وبحضن الربيع أغفت فماتت   ميتة الورد في ذبول ويبس
رقرقت حولها البلابل حزناً   وبكاها فنوح الحقول بجرس
حزن وادي شبابك الآ   ينبت الورد فيه من كل جنس
اسفاً يخرج الربيع الرياحين   من الترب وهي في الترب تمسي
وكلي في ذا التراب رياحين   تعطلن عن نبات وغرس (١)

فبهذا المقطع يخرج لنا الشرقي صورة اخرى لمأساة عرسه بعد ان مات

١ - ص١٢٨ ، ١٢٩ نفس المصدر السابق

الموضوع حققه مع خشمة عروسه لانهن الأمنات الطوافي اصبحن
كأنهن الرجيم الجافل من هول المصاب، اوهن عظم وهشتهن تطالعن
من ستور الدهش ليقفن على جلية الامر، فهن يشاركن وقد
عزهن الانصداع ولفتهن الدهشة وقد فقدن التوازن في المشي،
ولذا تجدهن يطأن الارض بارتباك وهيبة، ان تلك الطوافي المذعورات
يشبه حالهن النجوم وقد تكدرت تتساقط من السماء الى حظيرة قدس،
هذا وقد فوجئت بالعويل والبكاء اما هن فقد جمد دمعهن ولذا
تراهن يتباكين باصوات وجلة،
وبعدان يعرض لنا الشاعر تلك المشاهد الحزينة يعرج على عروسه التي صعدت
روحها الى بارئها فيقول: لقد ابدلت منصة عرسها ولم تحمل لتجلس على تلك
المنصة بل حملت على النعش الى مثواها الاخير، والنعش هو البديل لمنصة
العرس لمنصة العرس والنعش هو عقيق أو عرش وكل كرسي، ثم يخرج
لنا الشرقي مشهداً لنعش عروسه فيصفه بباقة الورد من كثرة، فصور
الربيع التي غطته، وهذه اكف الرجال تتناقله افذاذا وعطاء بلمسة وهدوء،
ثم يصور لنا الشرقي رقود عروسه في رمسها فيقول: انها رقدت هناك
وكأنها حية لم تمت وان رقدتها كرقدة النديم بجانب كأسه وهو في ساعة
أنس وارتياح، اما الكيفية التي ماتت عليها عروسه. فقد نعتها لنا بأجمل
ما يلوي النعت، لقد اغمضت عيناها وهي في احضان الربيع، ومثلما تموت
الورد في الذبول كانت مبتسمة، ولذا فقد جزعت حزناً عليها البلابل،
فرفرفت حولها طرباً، وعشما انتزعت حليها من مواضع جسمها بكتها
تلك الحلي بحرس حزناً عليها، ثم يطلق شاعر التجديد والتطور اسفه
البالغ فيقول: في الوقت الذي نرى فيه الربيع تخرج الرياحين من
التراب فان ريحانة عرسه هي مدفونة في طيات التراب، وهذا
تناقض هو من صلب الاسرار التي ندركها عرضاً ولم نتوصل بعد الى
كشف هما شعراً تفصيلاً. ان في طيات ترابنا الكثير من الرياحين فبعضها نابت
معاطله والبعض الآخر ما زال متعطلاً عن دوره نابتاً او الغرس ويشرح
الشاعر قريدته فيقول: ان الوادي الذي وارى شباب عروسه
كان عليه ان لا ينبت الورد فيه من اجل منى كان، حزناً وجزعاً عليها
هذا وبعدان اطلعنا على مشاهد وصور* ماسي عرس الشرقي في

مرثيته الرائعة يجدر بنا ان نقف على اهم الاغراض التي توخاها في قصيدته آنفة الذكر، لنرى من خلال المدى الذي توصلت اليه عاطفته الفياضة في الرثاء، وعندي ان اهم الاغراض التي قصدها الشرقي هي الآتية :-

١ - استيحاء المعاني والتراكيب من شمعة عرسه .
٢ - تصوير بعض المشاهد التي رافقت نعش عروسه وقضية وفاتها في ليلة زفافها .
٣ - اظهار خيبة امله في المستقبل والشماتة بسوء الحظ .
٤ - اظهار بالغ حزنه وشديد اسفه على فقد عروسه .
٥ - تصوير دهشة الغواني للمصاب الفادح .
٦ - تصوير حالة المشيعين الذين زفوا العروس الى مثواها الاخير .
٧ - تصوير بعض مشاهد العروس بعد ان فارقت روحها الحياة .
٨ - اعطاء صور للعواطف التي انذلعت من مختلف الاوساط للحادث الأليم .
٩ - اظهار بعض الصبر والمعاناة تخفيفاً للمصاب .

تلك اهم الاغراض التي توخاها الشرقي وان الدارس لا لابيعه، الا ان ينحني اجلالا للعواطف الفياضة التي تدفقت من بنات افكار شاعرنا المجدد الذي فجرت نكبة عرسه عواطفه الجياشة .
ففي الغرض الاول نرى الشرقي يستوحي معانيه وتراكيب طريدته من شمعة عرسه وهي تمثل جانباً من وقائع مأساته الأليم، فكان في هذا الغرض مبتكراً ومجدداً ليس في المعاني والتراكيب فحسب بل في الأحداث والمقاصد، وهذا ما خالف فيه اسلافه من الشعراء الذين كان لقديم الزمان شأن واعتبار في اغراضهم واهدافهم ومقاصدهم الشعرية، وفي هذا الغرض تظهر لنا براعته وعبقريته وحدة ذكائه، اذ استطاع ان يشترك شمعة وة الشمعة على تخليها مشاهد وصور قد لا يستطيع غيره الاتيان بها. كل ذلك في لغة والفاظ تناسب المقام وهي بعيدة عن التعقيد والتكلف واقحام الغواص في الاستبطان .
وفي الغرض الثاني اراننا الشرقي مشاهداً مقدمته نعش عروسه بعد ان صور لنا مشهد وفاة العروس في غاية من البراعة والعاطفة والسهولة والبساطة . وهذه الامور هي ما افتقر اليه الرثاء عند اسلافه

وقد كان هذا الغرض هو الآخر يتدفق بالعاطفة والبكاء المنبعث
من قلب مكلوم صادقة فيما تقول .
وفي الغرض الثالث يطلعنا الشرقي على خيبة أمله في المستقبل وتشاؤمه
سوء الحظ وأنك لتحس وأنت تقرأ شعره الذي ضمنه هذا الغرض
بلوعة وحسرة يبدو بكاءً وحزناً ، وهل العواطف إلا البكاء والحزن؟
إن لم تكن من نوع الأفراح والمسرات ، وهذا الغرض هو الآخر كان
يشتغل إليه أسلاف الشرقي من الشعراء وقدموا لنا طائفة من مراثيهم
المتصبة بوصف الإبل المشيعة بنعت الصحراء المثقلة بذكر الجياد ،
المفعمة بذكر الأجداد وما كانوا عليه من سؤدد ومفاخر
أما الغرض الرابع فالشرقي لم يتمكن فيه من السيطرة على أعصابه وضبط
عواطفه ، والحق بجانبه في هذا الخصوص لأن مصابه فيه جاري ونكبته
ليس مثلها نكبة وقل أن يحدث لها مثيل ولهذا أظهر بالغ أسفه وشديد
حزنه ، والقارئ لأبيات شعره الخاصة بهذا الغرض لا يسعه إلا أن
يشارك الشرقي في عواطفه وجزعه وفقدان صبره .
وفي الغرض الخامس يخرج لنا الشرقي صوراً للغواني والآنسات اللاتي أصابهن
الدهشة حزناً على العروس التي أسلمت روحها إلى باريها ويصور لنا في هذا
الغرض حركاتهن الدالة على عواطفهن ومشاركتهن النكبة في أنفسهن
مما أثار حزناً وأسى . وهذا الغرض هو الآخر لم يطرقه شاعر قبله فهو
جديد بكيفية أغراضه وحديث صياغة تراكيبه وأوصافه ومشاهده وصوره .
وفي الغرض السادس نجد مشاهد ملاحقة للمشيعين لنعش العروس وتصوير
لكيفية تناقل الكفف للنعش المرفع بباقات الزهور التي أنبتها الربيع
الذي حدث فيه انتقال عروس شاعر التجديد العربي .
وفي الغرض السابع يخرج لنا الشرقي أصواتاً لبعض العواطف فالإبل تحوم
حول النعش طرباً ولا تتكلم ، والحلي عندما انتزعت تعالت أصواتها
حزناً على الفقيدة ، وهذا اللون من العواطف لم تصوره بنات أفكار شاعر
قبله ، فانظر إلى مدى التطور في عواطف الرثاء عند الشرقي وانظر
إلى البون الشاسع بينه وبين أسلافه لا بل بينه وبين بعض أقرانه
ومعاصريه .
وفي الغرض الثامن يشير لنا الشرقي إلى تتابع مشاركة مجتمعه في مصابه

الأليم، وعبّر هنا كذلك عن ماجت ذلكم المجتمع من خلال ما أبداه من عواطف جياشة وأخلاق نبيلة.

أما في غرضه التاسع فالشرقي يظهر لنا نفسه التي تلتزم بالصبر وتتمسك بالحكم وتتسلح بالتجارب، ولعله يحاول بذلك التخفيف من مصابه الأليم.

هذه هي الأغراض النبيلة التي طفحت على قصيدة الشرقي، وقد وجدناها تشرف في عواطفها، وتوحي في بداعتها سامية في إطار فني جديد لم يألفه مجتمعه الأدبي من قبل، فالقصيدة تحمل التطور في أسمى معانيه والتجديد في أبهى حلله.

رحمك الله يا علي محبّاً للتجديد ورائداً للتحرر ورفيقاً للصدق

---

٥ - الدكتور عبد الرزاق محي الدين

هو الدكتور عبد الرزاق بن الشيخ امان بن الشيخ جواد بن الشيخ علي بن الشيخ قاسم بن محمد بن احمد بن علي بن الشيخ حسين بن محي الدين الثاني بن الحسين بن محي الدين الاول بن عبد اللطيف بن علي نور الدين بن شهاب الدين أحمد بن محمد بن احمد جمال الدين بن أبي جامع العاملي الحارثي الهمداني.

تلك سلسلة نسبه التي نقلناها من كتابه ((الحالي والعاطل)) - تتمة أمل الآمل، وهو كتاب نفيس يضم بين دفتيه تراجم اعلام آل محي الدين قديماً وحديثاً. ان آل محي الدين من الأسر النجفية المشهورة بقدم السكنى في مشهد الامام الهمام علي بن ابي طالب صلوات الله عليه، وآل محي الدين اسرة معروفة بامتداداتها العربية سواء على صعيد القطر العراقي ام القطر اللبناني الذي نزحت منه الأسرة الى النجف الاشرف. وهذا ما زال قسم من آل محي الدين يسكن البقاع اللبنانية لحد اليوم، وهم ذرية القسم الذي لم يهاجر الى النجف.

وهذا نحن لانغالي اذا قلنا ان هذه الأسرة العلمية الفذة برجالاتها علماً وفقهاً وأدباً وديناً، ولا يخلو كتاب من كتب تراجم الرجال من ذكرها والثناء عليها، وهي بحق من اذكى الاسر التي عرفتها النجف قديماً وحديثاً، وقد ذكرت ترجمتها في عدة كتب منها كتاب معارف الرجال - للشيخ محمد حرز الدين، وكتاب ماضي النجف وحاضرها - للشيخ جعفر آل محبوبة، وكتاب دليل الجمهورية العراقية لسنة ١٩٦٠، وكتاب الذريعة الى تصانيف الشيعة للشيخ آغا بزرك الطهراني، وكتاب امل الآمل - للشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي وغيرها وكتاب رجال الفكر والادب في النجف خلال الف عام للشيخ محمد هادي الاميني وغيرها.

ولغرض اطلاع القارئ الكريم على مكانة هذه الأسرة الكريمة العلمية نقتطف نبذة مما كتبه عنها الشيخ جعفر آل محبوبة في كتابه ((ماضي النجف وحاضرها)) قال: ((من الاسر العلمية الادبية العريقة في العلم والمتقدمة في الفضل، كان صيتها انتشر ونشرها في بعض الاقطار الشيعية، بدأ اشعاعها وتألق نجمها في النجف في اوائل القرن العاشر، واما في غير النجف فلها ذكر في العلم وسمعة في الفضل على عهد العلامة ((الحلي)) كما يستغرب ذلك صاحب الذريعة في ج ١ ص ٤٢، ان جدها عاصر العلامة الحلي فعليه

ان هذه الاسرة متصلة بالعلم عريقة أسلافه الكرام منذ عشرة قرون، وهي اسرة عربية صميمة في العروبة راسخة في التشيع لانها ترجع الى «همدان» القبيلة الشيعية المعالية، وقد شهد لهم بهذه النسبة الشاعر المفلق السيد صالح القزويني النجفي البغدادي، قال مخاطباً العلامة الشيخ عبد الحسين من ابيات:

شآد باعمام لهمدان تنتمي فخاراً واخوالاً نمت بهاشم

وكان مقرها الاصلي «جبل عامل» وهم من احدى قراه، قيل: «جبع» وقيل: «عيناثا»، ومنه نزحت الى العراق وغيره من البلدان وهي كثيرة العدد متعددة الفروع. ويقال انها تجتمع مع طوائف كثيرة في اب واحد، تجتمع مع آل «مروة» الاسرة العلمية العاملية، وآل «شرف الدين» في العلويين يجمعهم أب واحد وهو «ابو جامع» كما سيأتي ذكره. ولآل محي الدين حتى اليوم طائفة كبيرة في جبل عامل «جباع الحلاوة» والنبطية وصيدا وبيروت والمهاجر الافريقية والامريكية.

نبغ من آل محي الدين رجال حازوا فضيلتي العلم والادب، ونالوا بهما اسمى المراتب، فكانوا العلماء والاشراف والاعيان، فكانت لهم مكانة مرموقة لدى سائر الطبقات، ومنزلة عالية عند كافة اهل المعرفة والفهم، خدموا الدين وشيدوا مبانيه وجاهدوا اعداءه وبثوا الاحكام ونشروا التعاليم الدينية في ربوع لم يكن فيها التشيع معروفاً ولولا انهم اسسوا قواعده في تلك الاقطار ونظموا قوانينه. تعاقب على هذه الطائفة عدة القاب، كانوا قديماً يعرفون بآل ابي جامع: ويقال ان احد اجدادهم بنى جامعاً في بلادهم «جبل عامل» فعرف به وبقوا على ذلك مدة ثم برز منهم رجل اشتهر بسعة العلم وحسن الذكر وهو «محي الدين بن الشيخ عبد اللطيف» في اواسط القرن الحادي عشر، فعرفوا به واشتهروا بنسبتهم اليه، ونسي عنده ذكر جدهم العالي «ابو جامع» وبه انفصلوا عن اشقائهم الاخرين الذين كانوا يجتمعون معهم في ابي جامع.

لم تزل دورهم الباقية ماثلة امام القبلة في محلة العمارة في الشارع الذي فيه دار العلامة السيد ابو الحسن الموسوي الاصفهاني، ومدرسة الفاضل الايرواني، وكانت هذه المحلة قديماً تعرف بمحلة «حوش شطيب» كما تحكيه الصكوك القديمة. ولهم في غير هذه المحلة دور متعددة، كانت

دورهم علمياً وأدبياً بمدارس علمية خلقت نظماً جديدة وحكم الوقت في
المسائل العلمية الدينية وراجت في الأحكام الروحية. وكان رجال العلم والفضل فيها متعددين، وقد انقطع منهم طلاب العلوم الدينية، وانطمست معالمهم مثل الأندلس ولم تبق إلا بقية في قطرة من فيض وجزء من كل من رجالاتهم." انتهى كلام الشيخ جعفر آل محبوبة(1) وأقول: ان أكثر رجالهم اليوم من حملة الشهادات الجامعية العالية كالدكتوراه والماجستير والبكلوريوس في مختلف العلوم والآداب الحديثة هذا ونحن في عام ١٩٧٥ ميلادية، ففيهم المهندس والصيدلي والطبيب والمدرس والأستاذ الجامعي والجيولوجي وغير ذلك، ومن هنا يتضح لنا أن هذه الأسرة الكريمة سايرت مع منطق العصر ومتطلبات الحضارة الحديثة. اما العلم فما زال قائماً في دورهم وكأنه اليوم يرتدي البزة العلمية الحديثة بينما كان بالأمس يرتدي البزة العلمية القدسية «العمامة» ومن هنا نحن نخالف الشيخ جعفر آل محبوبة في عبارته "ولم تبق إلا بقية في قطرة من فيض....."

وبعد ان أوقفنا القارئ الكريم على ترجمة موجزة لآل محيي الدين وقد اخترناها من بين عدة تراجم لمن نبغ منهم من قبل أكابر العلماء الذين عرفوا فضلهم ومنزلتهم، يجدر بنا أن نضع أمام قارئنا الفاضل ترجمة موجزة للدكتور عبد الرزاق محيي الدين بعد ان ذكرنا في مقدمة هذا البحث سلسلة نسبه، فنقول: انه عميد ورئيس وعلم أعلام الأسرة العلمية تلك وهو من العلماء القليلين الذين يشار إليهم بالبنان في الوطن العربي. وإن أراد المرء أن يقول بأمانة فليقل حقاً وليرفع صدقاً. فالدكتور محيي الدين كما عرفته تلميذاً له وصديقاً مقرباً عشت معه حظيت ببعض أسراره العلمية والأدبية وسرت على طاقة دربه مقتدياً به قولاً وعملاً وتهذيباً وسلوكاً ولست لأكون مدعياً وصواباً حين عقدت له المحافل الأدبية مجلساً إذا تكلم كان الكل آذاناً وكان كلامه يتدفق بالفصاحة والبلاغة والشعر لا يستطيع السامع ان يسقط منه كلمة واحدة. هكذا كان رحمه الله وأسكنه جنانه وهكذا كنا نحن الملازمين له ملازمة الظل للشخص عندما يزور مسقط رأسه النجف قادماً إليه من بغداد التي سكنها في النصف من عمره تقريباً وكنا نحن المعجبين بعلمه وأدبه وسلوكه وسمته ومنهجه وبلاغته وفصاحته، كنا نتباشر عندما يفد الى النجف الأشرف. والله ما أستطيع ذكر حتى سماته ولا مجالسه ولا خلقه العالي وسيبقى شخصه الكريم ماثلاً امام نواظري

---

١ - [illegible] ماضي النجف وحاضرها - محبوبة

المسلمين شاعر الله رحمت الله بالبارحين ارجو ان تتقبل مني أبياتًا من الشعر الباقية

من شعره الذي القاه في الحفل التأبيني الكبير الذي اقيم في قاعة كلية التربية ببغداد لمناسبة مرور اربعين يومًا على وفاته في ٢٦/٤/١٩٨٤ ميلادية (١) وسوف اذكرها بعد الانتهاء من حياته الزاهية.

والمرء اذا اراد ان يثني فضيلة فيجب ان يكون من اهلها ومن هنا انني لست من اهلها بان اذكره شيئًا بحق الدكتور عبد الرزاق محيي الدين لانني كما قلت كنت من اطراف تلامذته في عام ١٩٧٥ عندما كتبت هذا البحث ونشرته في جريدة العدل النجفية لا استطيع بلوغ شأوه ولا اتمكن من الغوص في محيط علمه وادبه، ولكنه التطفل يدفعني الى الارتشاف بهذا الجيل الاشم والخوض في هذا البحر الخضم، معتذرة لهذا الانزلاق الذي الجأ اليه القلم وطلبته ضرورة البحث، فالدكتور عبد الرزاق محيي الدين شاعر هذه الحلقة من هذا البحث أشهر من ان نترجم له. لقد عرفته اقلام الكتاب على مستوى الوطن العربي بادبه، وامتلأت اعمدة الصحف والمجلات وكثير من المؤلفات في تراجمه ومؤلفاته. وشدت بفصاحة لفظه وسحر بيانه وعذوبة معانيه وجزالة تراكيبه ومؤلفاته الغنية بحر البيان، وندرات لا يعرفها انسان، فهو جامعة بعلمه وادبه ومجمع علم بمعارفه وسعة اطلاعه. ومن العسير على الدهر ان يلد في كل قرن ظاهرة مثله. ولد في عام ١٩١٠ ميلادية في النجف الاشرف. بدأ تعلمه في الكتاب وشقق مبادئ العربية والمنطق والفقه واصوله في مدارس النجف الدينية وعن شواديه النجف وكان شعراء اشتد القريض، ونظم القصيد.

وفي عام ١٩٣٧ حاز شهادة الدبلوم من دار العلوم في مصر. وفي عام ١٩٤٧ حاز شهادة الماجستير في الآداب من جامعة القاهرة برسالة لابي حيان التوحيدي وفي عام ١٩٥٤ حاز درجة الدكتوراه من جامعة القاهرة باطروحته لاديب المرتضى، وفي عام ١٩٦٠ نال لقب الاستاذية واستمر استاذًا لكرسي البلاغة في كلية التربية الى سنة ١٩٦٣ حيث عين عميدًا لها، وفي العام ذاته عين نائبًا لرئاسة جامعة بغداد، وفي عام ١٩٦٤ عين وزيرًا للوحدة واستمر يتقلد المنصب الوزاري حتى الآن استقال في عام ١٩٦٨ وتقلد مناصب اخرى منها في عام ١٩٦٤ انتخب عضوًا في مجلس الرئاسة المشترك بين الجمهورية العراقية والجمهورية العربية المتحدة، وفي عام ١٩٦٦ انتخب امينًا عامًا للقيادة السياسية

١- هذه العبارة اضيفت بعد وفاته - المترجم - والبحث منشور في صحيفة العدل النجفية في عام ١٩٧٥

الوحدة بين الجمهورية العراقية والجمهورية العربية المتحدة عام ١٩٦٣ الى
ان استقال عام ١٩٦٨ كما ذكرنا. ومن وزارة طاهر يحيى الرابعة انتخب
رئيسًا للجنة التحضيرية للاتحاد الاشتراكي العربي(١) وفي عام ١٩٦٢ انتخب
عضوًا في المجمع العلمي العراقي فنائبًا لرئيسه وفي عام ١٩٦٦ انتخب رئيسًا للمجمع
العلمي العراقي واعيد انتخابه ثلاث دورات متتابعة. وفي عام ١٩٦٦ انتخب
عضوًا عاملًا في مجمع اللغة العربية في القاهرة وذلك خلفًا للعضو العامل
الشيخ محمد رضا الشبيبي، وفي عام ١٩٧٢ اختير عضوًا لمجمع اللغة العربية
في دمشق، وكان من الاعضاء المؤسسين لكل من جمعية الرابطة العلمية
الادبية في النجف، وجمعية الكتاب والمؤلفين العراقيين ببغداد وعضوًا
في مؤتمرات الكتاب الاسيويين الافريقيين ومؤتمرات الادباء العرب
مثل العراق وترأس وفد بلاده في عدة مؤتمرات ثقافية وأدبية وسياسية.
سعى عدة مرات في سبيل شرعية ومواقفه الاسلامية، القى محاضرات عامة
في عدة كليات وجامعات عربية وله مؤلفات مطبوعة:-

١ـ ابو حيان التوحيدي ـ رسالة ماجستير
٢ـ الشريف المرتضى ـ رسالة دكتوراه
٣ـ المطالعة العربية للمتوسطات ـ بالمشاركة
٤ـ تاريخ الادب العربي للمتوسطات ـ بالمشاركة
٥ـ البصائر والذخائر لابي حيان التوحيدي ـ الجزء الاول ـ تحقيقا.
٦ـ الموجز في تفسير القرآن العزيز ـ نشر وتحقيق
٧ـ مراحل الانشاء في العراق ـ سلسلة مقالات في السياسة والأدب
٨ـ ديوان شعره ـ منشور بعضه في الصحف
٩ـ الحالي والعاطل ـ في تراجم آل محي الدين.

هذا وقد نشرت له المجلات والصحف العراقية والعربية مقالات وبحوث يصعب
في الامكان احصائها اما مصادر آثاره فهي كثيرة وبالامكان الرجوع إلى الجزء
«كتابه الحالي والعاطل» اما آثاره الادبية فقد بلغت مصادرها اكثر من
اربعين مصدرًا ومن وسع القارئ الكريم الاطلاع عليها في كتابه انف الذكر.
اما مصادر تقدم آثاره والصحف التي تعرضت له فقد بلغت اكثر من
خمسة وسبعين مصدرًا. هذا باختصار ترجمة موجزة لهذا العالم الفذ
الذي ولد وترعرع في بيت العلم والادب وتربى في احضان المعارف

١ـ كنت من المتفائلين واياه في هذه اللجنة... الخ

والكمال ومشاركته في الفقه والمنطق، فاحتضنته النخيلة وتعلق بامراقه السلك رددا(١) وراح يبعث اليه المجد.

والآن أورد القصيدة التي رثيته بها بعيد وفاته رحمه الله مطلع أحمد شعر شرحها لظروف معروفة، أورد منها أبياتاً تتعلق بالمناسبة وأحتفظ بالباقي لمناسبة أخرى(٢)

١ـ قل للمعالم تكتسي الأعلاما ... بل فاطني حزناً عليه الهاما
٢ـ ثم الحلقات صيحة عربية ... راح الذي أعلى الكتاب مقاما
٣ـ راح الذي بأيته نوادي أهله ... حلقات درس للعلاء سلاما
٤ـ راح الذي أغنى العلوم بنهجه ... وأزال عنها اللبس والإبهاما
٥ـ راح الذي صحب القريض قريحة ... صنعت القوافي صنعة ونظاما
٦ـ راح الذي حفظ الفصيح لسانه ... وحدى البلاغة نثراً وختاما
٧ـ راح الذي حفظ البيان يراعه ... نثراً ومنظوماً كلم الأنغاما
٨ـ راح الذي ما في ثنايا بيته ... إلا الكتاب أنيس الأقلاما
٩ـ راح الذي قضى الشريف لعمره ... من بعدما حدث العظام رجاما
١٠ـ راح الذي تشهد الكلام كلامه ... أسمع نثراً أم تسمع كلاما
١١ـ راح الذي أقوى العقائد بفهمه ... أرأيت سهماً صارماً صماما
١٢ـ راح ابن محيي الدين علم أمة ... كان الجلاد لها آباً وإماما (٢)

تلك باختصار ترجمة موجزة لهذا العلم الفذ الذي ولد وترعرع في مدينته ومدينة آبائه وأجداده النجف الأشرف متخذاً منها مهبط العلم والفكر والأدب، رحمك الله يا أبا حبيب ورحم آباءك العلماء الأفذاذ وأسكنكم جميعاً مع النبيين والشهداء والصالحين في جنات خلده إنه سميع مجيب، فقيه.

أما العلامة الشيخ قاسم محي الدين الذي خصه الدكتور عبد الرزاق محي الدين بالمرثية التي سوف تأتي على دراسة عطاءها، فحديثه ولا حرج فهو الشيخ قاسم بن الشيخ حسن بن الشيخ موسى بن الشيخ شريف بن محمد بن يوسف بن جعفر بن علي بن الحسين بن محي الدين الأول بن عبد اللطيف بن علي بن نور الدين ابن أحمد بن شرف الدين بن محمد بن أحمد بن علي بن أحمد جمال الدين بن أبي جامع العاملي الحارثي الهمداني.

ولد سنة ١٢٢٤هـ وتوفي رحمه الله في سنة ١٢٧٦هـ فهو ومثال العروبة الدكتور عبد الرزاق محي الدين شعريان من دوحة واحدة وقد أوجزنا الذكر عن ترجمة هذا الفاضل مكتفياً بما سبق.

١ـ كانت الترجمة بخط يده نقلناها في سنة ١٩٦٦ ـ مخطوطة كان في والد العاملي ـ للترجمة
٢ـ عدد أبيات القصيدة (٤٧) بيتاً

ان الشيخ قاسم عرفته النجف الاشرف بجامعة ومواهب العلم والادب ومن ربوع لبنان وسورية وغيرها عامة . وقد كان رحمه الله ذلك العلم الخبير والجواد الملهم والاديب الحر . وقد ورث من علوم آبائه وآدابهم ثروة وا اضاف اليها ما حصل عليه مدى حياته من معرفة جديدة وثروة اخرى . فجمع ما بين هذه وتلك ما اصبحت له شخصية علمية وادبية تغبطه عليها الكثيرون . وكانت شخصيته مثار حديث الندوات ومباءات المكتبات ، اما اخلاقه وورعه وزهده وتقواه فتلك امور كانت تقرأ على جبينه وقد اكسبته شخصية لا مثيل لها وكان مشاهدها عليه العالم تتواضع فيه سمو العالم ونبلها وكانت احاديثه تتنقل من رياض العلم الى حقول الادب ومن مذاهب الفلسفة الى منعطفات المنطق واذا ما اخذهم الجدل مأخذه مالوا للترويح عن النفس الى الفكاهة البريئة التي تعارف عليها مشايخ النجف الاشرف وهي التخرج عن انطقة ما خصهم الله به من علي الثقافات والمعارف . لقد كانت لوفاته رنة اسف وحزن في الاوساط النجفية ونحن لا نستطيع في هذه المقالة ان نورد موجزا لما قيل عنه لذا فضلنا ان ننقل للقارئ الكريم جانبا مما قيل عنه .

قال عنه الاستاذ جعفر الخليلي في كتابه هكذا عرفتهم «مات الشيخ قاسم محي الدين وبموته انطوت صفحة لامعة من صفحات الفضل والادب ... » وقالت عنه مجلة النجف «كان لوفاة المغفور له العلامة الشيخ قاسم محي الدين رنة اسى واسف ليس بالمحافل النجفية بل في جميع الاوساط العراقية ...»(١)

ذلكم هو العلم الشيخ قاسم محي الدين وتلك نبذة موجزة عن ترجمته ذكرناها جريا مع طبيعة البحث ولتمام الفائدة لكونه ملما بعناصر الثقافة التي تأخذ بالرتابة الى آفاق متنوعة في عالم الادب عامة والشعر خاصة (٢) ولقد وقفنا على ترجمة عميد الشعر العربي الدكتور عبد الرزاق محي الدين وترجمة للعلم الذي رثاه . وسلطنا الضوء على الدوحة التي تفرعا منها .

والآن نمر على موشحه الولهى في عالم العاطفة من خلال الخريدة التي كتابا تشطارها .

تطارد في الذكرى خيال الطيف هاجع　　ولا أنت منسي ولا أنت راجع
رؤى ... بالحس [illegible]　　وهذا طيوف من زمانك تدافع
[illegible] صبا وبانعا　　[illegible] الى [illegible] ناصع

١- هكذا عرفتهم / الخليلي جعفر (٢)- مجلد (١) من السنة (١) ص ٢٥٤ ، ٢٥٦ [illegible] ما لعامل لنفس المترجم له

أطلت تناغي المهد إذ نام أصبع ... ويدرج بي في البيت إذ أنا أتبع

تتابع خطوي ما استقام فإن هفا ... أخذت بضبعي فاستوى لك ظالع

وتدفعني دفعاً إلى حيث ترتقي ... سمواً وحاشا للأصول الطوامع (١)

في هذا المقطع تصوير للعاطفة الجياشة التي أخذت بشغاف قلب الدكتور عبد الرزاق محي الدين وطافت به في دنيا الذكريات التي عاشها طفلاً صغيراً فيما مع فقده الغالي العلامة الشيخ قاسم محي الدين. ان تلك الذكريات مشاهد ورؤى شاخصة ترتسم امام نواظر الشاعر كأنها مواكب تكاثرت قد عدد حصاها وقد اخذت هذه المواكب تتدافع وتتزاحم على المسرح الخيالي الذي جالت فيه نواظر محيد اللاعجة بمجيء الشعر فتعثر بالزها (؟) طيوفه وتكثرها فقد شبهها بالزحام. ان تلك الذكريات لم تكن غريبة عليه فقد تعرف عليها وهو في المهد راضع ثم درجت معه في البيت اذ صار يتبع خطاه وخطاه ما انفكت تتابع مشد الطفولة تلك حتى أخذت تشق كلما استقام عوده شامخة في السمو الى ان اشتعل راس محيد الشعر شيبا لقد شغلت الذكريات في هذا المقطع شاعرنا الفحل فقد اضنى واجهد عقله وجسمه نفسه باستحضارها وتذكرت طيفه الحبيب اليوم لأن فقيده يبعث السلوى نسيانه عن المحتمل رجوعه.

وفي المقطع الثاني يعرض لنا الشاعر الفحل شاعر العروبة صوراً من العواطف التي كان الفقيد قد حملها وخص بها لناصيته اثر أخرى.

تعهدتني نبتاً تزعزعه الصبا ... تكنف اذا اصبت عليه الزوابع

تزيد لكاسي في التراب تواضعاً ... فينهض لك العود الذي هو فارع

وتعرضه للشمس في وقدة الضحى ... ليقوى على ما يبتليه السوافع

وتورده من بعضها أنت وارد ... نميراً تساقي او مريراً تقارع

وتعتده ظلاً وكوراً مشاخصاً ... ومرجع الذكرى الحالي وصوتك ساجع

ترجي الذي ما دب في الأفق طالع ... ومعقد الفنا ما حط في الأرض واقع

وترجيه للعلياء لن نار منكب ... وحالت معالفيه واقعه شافع

فينهض لا مستخفياً جيء عزمه ... ولا نائداً إلا ما حزن الأضالع

تقاصرت الأبعاد دون مراده ... فبان دانى غاياته متتابع

فراح طويل شهده متواصل ... وصبح حيثه خطوه متتابع

أناف على العهد التليد بطارف ... فبانت منه ما شرقة ما ربع

١ - ص٢٨ الحالي والعاطل - الدكتور عبد الرزاق محي الدين

حتى احتضنته الجامعات المثقفة (وقد صار ابن جرت عليه الجوامع)(١)
ان اول صورة تتقفا الفناء هذا المقطع هي صورة شاعر الرقة والمعاني البكر
من خلال ولادته فقيده محتفياً عليه عندما كان يتناثر عن عمر بحي الصبا، وعندما
صار عميد الشعر العربي الزمان واتته الزعامة من كل صوب ومكان، كان
الفقيد له الدرع الحنان وهذه هي الصورة الثانية، وتتتابع الصور و
تتضافر المشاهد، فتارة نرى الفقيد آخذاً بيد الشاعر عند الولوج
درب كبار آبائه واجداده وهو سبيل الوصول الى المجد والرفعة والسمو بمكارم الأخلاق
والتواضع، وهنا نرى الشاعر ينهض الى هذه الاشارة ويرتسم على محياه
ابتسامة الاستقلال بالسمع والطاعة، وحيناً نتذكر نرى الفقيد وهو المدرب
الماهر والمعلم الصابر عارضاً لكم الشيء الرقيق الذي كانت ترعرعه
ريح الصبا عارضاً إياه على ومضة الفقه اليقوي تدريجياً بحيث
يستطيع ان يتحمل المواقع والاغاثة السموم، وصلابته لوعي الاشارات الى
الولوج دروب العلم والمعرفة والصعود الى اعاليها دون الكثرات بالمصاعب
ودون مبالاته بالمتاعب. وهكذا تتتابع الصور العاطفية التي يتهيم
فيها حنان الفقيد على الشاعر في كافة ادوار حياته، فمن الرعاية والحنان
والدلال الى التعرف الى مواقع السموم والطريق مع قلة المعين ومكر الشانئ،
فكان عميد الشعر العربي في كل ذلك ينهض بالأمر متحلياً بالعزم و
الصدق والسمو ده وبين صفقته جرها شيء يذكر، وهذه هي صفات
العظماء الماحقات تحجبهم امثال التجار الذين ابهم تمحو بإسراف عقائدهم
والذهب طايح عن مأكل وملبس وشتان بين الماحقين، متاع العلم والمعرفة
الذي لا يفنى ولا يزول ومتاع الذهب والعيون من كلمات ما تتوارى
وتتلاشى. لقد كان زاد شاعرنا الفحل قلبه الذي تضمه أضالعه
وقد ملئ بالشموخ وطفح بالعزة والنعرة بالسؤدد، فكان بعيداً عن
مراده قصيره، حتى تساوت لديه الحياة ان طالت ام قصرت.
وهكذا مضى عميد الشعر العربي في مراح طويل يواصل سهر الليالي، وعندما
يطل عليه الصباح تنحطوات يحمله تتلاحق قاطعة الدرب الذي ابدله
السبيل حتى النهاية الاتمام على عهد آبائه واجداده التليد
والمجد حيناً وهو عالي الشأن، ولكنه اثر بعد عن وهو راحل
المرتضى لهذا الملتقى الى جامعات العلم والادب كما عرف إليه

١ـ ص ٢٨٥، ٢٨٦ المصدر السابق

لترى هذا الغصن الجديد الذي نبع من ذلك الجذر العتيد وهو هنا سوف يستمر في غذاء الاجيال الجديدة الصاعدة كما غذت ثمار آبائه الاجيال الغابرة، كان هذا بنفس الوقت الذي صبت عليه الجوامع الدينية والادبية والعلمية من الغضاء تجري عليها حتى كان تستغني عنه وتبعثه الى الجامعات لانها حديثة عهد به بينما الجوامع القديمة منذ نعومة اظفاره الى ان غادرها الى الجامعات بعد ان اخذ من تلك عروقه يأخذ من هذه.

اما في المقطع الثالث فان شاعرنا الاثير يخرج لنا شيئاً من رحلته الطويلة في اعماق التاريخ فيتلقف من آثار قبيلته "همدان" مواقف وعقائد وبطولات وكأنها جميعاً هو شخصياً قد فقده الموسم الشيخ قاسم محي الدين الذي يصير تقولاته الى احقاب واستطيله التاريخ من مكارم وجود وصبر واقدام، وحتى لا يدع لنا ان نعلق على رحلة عبد الرزاق هذه في اعماق التاريخ فيقول بان هذه الرحلة كان وراءها هدف جريء المقصد، اراد الدكتور عبد الرزاق محي الدين الوصول اليه، ان ذلك الهدف تكمن في ثنايا فلسفة ومبادئ يتعهدها آباؤه واجداده منذ حياة جدهم الاعلى "الحارث الهمداني" جيلاً بعد جيل وقد تحملوا من اجلها صنوف المتاعب وبذلوا من اجل اعلائها كل غالٍ ونفيس في اكثر احياء البلاد الاسلامية ولولا هذا الهدف الذي حققته الولاية على امير المؤمنين "سلام الله عليه" لما اعتزاز الدكتور محي الدين به لما اتصل برحلته مقاوماً الى ربوع صفين حيث الامام علي بن ابي طالب صلوات الله عليه يقود جيش الحق وصحابة محمد خاتم النبيين لقتال جيش معاوية ابن ابي سفيان عدو الدين والاسلام ومن هنا فان رحلته تختلف عن رحلات اسلافه الحقيقيين كالحوبي محمد سعيد والحلي حين رحلهما للانتقال وتجوالهما، فهو حقق بحق رحلة الاساليب القديمة في عالم الرحالة، بل رحلة للمبادئ والعقائد في اطار الاسلوب الحديث الهادف.

بعد هذه المقولة عن المقطع الثالث من قصيدة الدكتور عبد الرزاق محي الدين نورد للقراء الكرام نص ذلك المقطع العقائدي:

وما كان مفتخراً بيوم فعدّت ما اصقا ... ولكننا بأجمة ومعامع
وتاريخ قوم ما الشموس ولاتجه ... ولا قطعتهم عن "لاعلي" قواطع
هم قوم "لا صفين" جانهم القرع ... وصافت جموع ... تتابع

وحتى تفشى الناس شك وأبلجوا — وخالطهم من كيد «عمرو» مخادع
وشيلت على أعلى الرماح مصاحف — وقيل: ارجعوا فالحكم للمراجع
أبت قومه «همدان» الا اصالة — وإن زلزلت «بكر» وما شئت مجامع
وظلوا على عهد الجهاد وشرطه — وإن بدلت ساحاته والذرائع
وإن حدثت أو بانت عقيدة — وما ظهر صفين عنه للسامع
على حين كان النطع والسيف مركبا — مكان ارتداد كان يقال متابع
وجبال لهم في عامل وصنائع — حصون منيعات الذرى ومصانع
ومنقطع بيت للولاء مجيد — يهدي العادي ويحرق الدافع
وكان انطلاقا بعد تمر هجمة — ومن على أرض العراق طالع (1)

ان اقتصاد الشاعر يشبه العلامة والشيخ قاسم عن الدين لم يكن في عرفه فقد شخص واحد، بل فقد الشاعر والشاعر، ولذا يرجع مثلما قوم في مطلع الحديث المتوقع من الفقدان عوالم عند الشعر العربي فتصاعد حتى بلغ روعة اقتصاده لتاريخ قبيلة «همدان» القحطانية العربية التي ما انثنت عن ولاية علي عليه السلام، ولم تحولها المطامع ولا المال ولا الوعيد ولا الارهاب عن حبل الولاية الذي تمسكت به وما تلقت دونه. ثم يتذكر الشاعر مواقف قومه في حرب «صفين» وكيف ان رحى الحرب بخيلهم ورجلهم وعدتهم القتالية حتى ما قرب الصلح وكتب به الحكومة، صدا موقفهم واحدا لم يتغير حتى شك الآخرون وأبلجوا فاصطادتهم شباك «عمرو بن العاص» ومن مخادع ضلالته خدعة المصاحف، كآل «بكر» وما كان مجامع وحجتهم. وبعد واقعة صفين ظل قوم الشاعر على عهد الجهاد وشرطه، وإن تبدلت ساحات الجهاد واختلفت الذرائع، كما بين انه يرفعهم في وقت عدل الناس فيه عن علي جبنا وخوفا، فالنطع والسيف مركب من لا يخاف، ومقولة التشيع اصبحت وصمة في جبين كل من والى عليا، ونعتقد ان الشاعر يشير بذلك الى البدع التي ابتكرها معاوية بن ابي سفيان من معاداة علي بن ابي طالب سلام الله عليه حيا وميتا، واحتواء الشيعة أصبح للامويين سنة واتخذ شعارا تسير عليه، واعظم ملاحقة انصار علي حتى لم يفلت منهم من حد السيف او التشريد الا القليل، وقد تحصنت «قبيلة همدان» بجبال بني عامل وهم اخوتهم في النسب والجهاد والعقيدة، فاتخذوا من تلك الجبال التي كانت لهم حصونا للدفاع ومصانع للعيش، ومن هذه البقاع

(١) - ملحمة المصدر السابق

الشعار اتخذوا النقطة الانطلاقية لاوساط قواعد العقيدة ونشر علومها وفلسفتها على اعتقادها ومعالم دينها ، وبهذه الوسيلة استطاعوا حماية انفسهم من جهة وصد عاديات خصومهم من جهة اخرى ، وبعد ذلك انطلقوا الى ارض العراقين : عراق الكوفة وعراق البصرة ، لينتشلوا من مناهل علومها ، وينفذوا بالبيان اصولها ، فكانت هناك افذاذ عظام .

وقد شبه الشاعر شاعر الفصاحة وفارس البلاغة هذه الانطلاقة بانها بعث طلع على ارض العراق بعد سنين عجاف مغيبات ، تلك احاسيس ابي نصير وعواطفه التي صورها لنا في المقطع الثالث من قصيدته العصماء .

اما في المقطع الرابع فقد وجدناه يعدد جوانب من الرسالة التي اضطلع بها قومه وهي رسالة علم وادب وعلم وعقيدة ، فيقول :

سروا كالنجوم الزهر تقتحم الدجا　　فيهدي بها سار ويأمن فازع
تقاسمت الآفاق هنا بحوثه　　وذلك حجيج وهذا شارع
حبيبون ما هابوا الملوك كأنما　　بمالكهم ما انا منه قطائع
وهذا النبيه اشهى ولاك الذي اقتنى　　فقيه الحجاز عندهم متواضع
الى ان رسا اصل وقامت لاهله　　وصيت لاقدامي وليست تراجع
وهي استقلت للتشيع دولة　　وجيش بها لكم دونها وعائع (١)

عدد مآثر قومه وصور مواقفهم واشار الى امكاناتهم في تلك العصور امور فشوعيت الدرس والمعالجة ليست ان خفلا الامام من الايدي ، فهؤلاء الملكوت ركبوا الدروب وقطعوا الفيافي ينشرون في طول البلاد العربية بل الاسلامية فكأنهم النجوم الزهر تقتحم الدجا فيهدي بها سار ويأمن فازع ، هذا اذ نشك فقل كواكب هادية في الليالي الاشائية والعقائدية وحصون حامية من الخوف والفزع اللذان اعتورا على افكار الكثير في سنوات الماضية ، وكانت هذه الفئة العاملة تقوم بشأن العقيدة وتقتات منه مسؤوليات الزعامة الدينية ومقتضياتها الادارية ، فواحد تتحكم ارباب الحديث وواحد اصبح صيته في الفقه وما يتبعه وآخر يتحكم بما يقتضيه المقام ادارة وتمثيلا وهكذا وجدنا فحول الادب يواصل اخراج قصائده لما تزخر به جلدته ، فهم حبيبون لا يهابون الملوك في مشهد وهم يقطعون لانهم اباة الناس علما وادبا وعقيدة في مشهد آخر

(١) ص ٢٨٧ المصدر السابق

وهذه الانقطاعات لا ترقى إليها انقطاعات الملوك ارتفاعاً وسمواً وانتصاباً.
وفي مشهد آخر نرى التفاوت الواسع بين قوم الشاعر ولكن ليس بالعلم ولا بالأدب، إنه تفاوت في المال فمنهم الثري ومنهم الفقير الذي تواضع عن اكتساب المال، وشمخ بطاول الجبال، إن تلك الجهود الجبارة الحثيثة التي قدمها قوم الشاعر كانت أصلاً تفرعت منه منابع وأعمال وكانت أساساً بنيت عليه معالم ومدائن وكانت حوافزاً بهداها سنت قوانين وسادت شرائع وأصبحت للعقيدة التي مضى من أجلها قوم الشاعر دوماً حصوناً تتهاوى من حواليها الحوادث والعاديات الماضية وتداعى عن حماها.
هذا هو المقطع الخامس من خريدة الوطن العاطرة التي صاغت الكلم فصاحة وبلاغة وأكسبته حلاوة وطلاوة، في هذا المقطع يصور الشاعر إلى فقيده فيعرض لنا صوراً من عاداته وما يحيط بأخلاقه وجوانب من شمائله فاسمعه يقول:

أخا العالمات الباقيات مآثراً ... أصاب بإبداع وأمّن سامع
ورب الندي الرحب ضاقت بأهله ... فأوسعه خلق على العسر واسع
حريه الأهواء شتى طباعها ... وتجمع لا التشتيت ولا متنازع
وتلقى السؤدد الصم في لهواته ... فتلتقفه الأسماع ولا متمانع
ويجري الحديث الحر فيه فيقتضي ... ومقدساته الرأي ولذ المطامع
كأنك والنادي يعج عبابه ... وقد جاشت سطا كتيبة الشارع
وراح سطي القول في مدلهمة ... سرى الفجر فيها فهو عريان ضائع
تقبر عليه الريح ما تُملّ وجهة ... فما هو بالراسي ولا هو خالع
أخو مجلس تأنس الدرسية ... وبان فلك قادح الروح بارع
تقلعت استقصى الأخوات كأنها ... تنمنم عريان وأنعم قانع
وأشهر في صحة الناس زاهد ... ويزهد في صحة الناس طامع
فذا مرتقب حاسب الحقيقة قائم ... وذا قائم راعي الحريرة ساطع
وتبعد الأحياء في المقام اللتي ... كثيراً ولاكن لا تلاقي الطبائع. (1)

أول مشهد يعرضه شاعر العروبة لفقيده الغالي الاجتماعي من الرثاء يصور لنا الأخوة بين العاملات والفقيد الذي تحدث مآثره تتحدث بها النوادي وتضفي بها المجالس، وفي المشهد الثاني يظهر لنا الفقيد صاحب النادي الندي ضاقت بجلاسه على الرحب لولا وسع شاسع بأخلاقه

١ - ص ٢٨٧، ص ٢٨٨ المصدر السابق.

وبيانه الشعري الفخم عن الجدل المنهوم امام بعض الادعياء المرتزقة.
وفي المشهد الثالث تتصدى لنا صورة لعلو الادارة وحسن التصرف والتوفيق
بين الاضداد المتعلقة بالطبائع، فليس هنالك شك كما ليس هنالك
تشاؤم، وفي المشهد الرابع نرى كيفية ملاقاة النقد للشؤون الهامة
التي تعالج عبقرية الفذة فتغدو ذليلة منصاعة طوع بنانه.
وفي المشهد الخامس يعكس لنا عميد الشعر العربي كيفية اخذ النقد
الحديث الى الشكل الاسطوري ليغدو تراثا [illegible] من قبل
رعاته وساهمة في كل واحد.
وفي المشهد السادس يرينا الشاعر الفحل مجلس نقده الملتزم بارباب
صناعة الحرف وجهابذة العلم وساسة الادب فنجده ساعي الحلى
وكأنه البحر الزاخر الذي يحث عبابه وتتابعت امواجه وتلاطمت
شطآنه، وفي هذا البحر المحيط نرى سفن الحديث تمخر عباب ظلمات
مدلهمة يقودها ربان العلم الحر [illegible] فانقاذا تعصف عليه الرياح من كل
جانب وهذه اشارة الى شدة وقع الجدل واحتدام النقاش
وهناك نرى سفن القول تروح وتغدو بالآراء والافكار فلا تحمد
بالراسي ولا تعبأ بالقالع، وفي هذا المعترك تبرز سفينة النقد
المقدام تتخذ مخر النقاش وكأنه الربان الماهر البارع وهو
هادئ الروح ثابت شكيمته ذو ثبات الماء الراسخ فيقود الابحار الى
حيث ترسو سفن الحديث في شطآن الصواب وملاحة الامان.
وفي المشهد السابع نرى عميد الشعر العربي بألفاظ الابتكار وعبارات
التجدد ومعاني السحر يعيش الى المعوزين تطفلا على الادب وارباب ه
فيصف حديثهم (بالتخمة) وهو عبارة حقارة من حلية الادب والعلم
ويشبه اقوال من لم يمارس صنوف الالفاظ واشتقاق المعاني بانهم قابعين
الا وقد اقعدوا، وفي المشهد الثامن نجد الشاعر المتكلم كما تناول بعض
وصايا نقده له بوصية بصدق الناس او ليس كل الناس فمنهم من
يجب ان يطمع بصحبتهم ومنهم من يجب ان يزهد بصحبتهم او منهم من
هو مرفوق في علمه وادبه واخلاقه ودينه وورعه، ومكانته قائم
في مجلسه وما اكله ومشربه، وبالعكس منهم من هو مرفوق فيه وصحبته
قائم في تلك، والناس قد تختلف في الاسماء والالقاب والكنى و

لكنها تختلف في الطباع والعادات والأخلاق،
صور ودروس وعبر وتجارب تضمنها المقطع الذي قل أن تصورها ريشة رسام ويندر أن تجتمع عندها عبقرية أديب،
هذا ونحن الآن على أبواب المقطع السادس من الجريدة التي نحن بصددها فإذا أعملنا عقولنا في هذا المقطع فإننا نجد من خلاله رجعة إلى الماضي

رجعت إلى الماضي فعادت عوائدي ... وثارت صبابات وجاشت مدامع
وأقبلت أصغي للسؤال فعرضت ... وعاودت ما ربت تحبس المدامع
وناشدت أين الساهرون وملعب ... به بين المباني أين السواجع
ثلاثة على مثل العذارى ثيابهم ... وما إن لم تجللهم حياء براقع
وتغري حداثات بهم أن يماجنوا ... فتمنعهم أحلامهم أن يقاذعوا
يرقون للشكوى ما خفت حصاتهم ... ويقسون لكنما تخفى المنابع
لهم يوم عيد سيره الليل طارقه ... فإن صحوا فالفجر في الأفق ذائع
وساح في فناء يرجون بظله ... ليسقط ما حدود ويلحق ضائع
تلاقوا اشتقاقاً والوفاء يعدهم ... نعن نحو عشق لفظهم وهو جامع
وإن شتتت أقدارهم عن تفاوت .. ... فقد زان كفاً ما عليه الأصابع
عفا الدهر عنهم واستفاق عليهم ... مآربهم فانفض جمع وجامع
تخرمهم ريب المنون فغابط ... وقانع تخطى عتبة الباب تابع
وأصبحت أنى سرت أرقب شأوهم ... أبا من مطويه لهم أم راضع
تعانقنا عنهم وعنيت بهم ... مشيعهم واستدعين البلاقع
دفنت بهم ليل الشباب وصبحه ... وعالم ثكلت تحيي البقايا اللوامع
فيا سالكين دار السلام نعيمكم ... وقربت حبوب منكم ومفاجع
«لعمري أنتم في الأرض إلا ودائع ... ولا بد يوماً أن ترد الودائع» (١)

نرى هذا المقطع نزعة عبقرية أبي زغيبي تعود إلى الماضي القريب، حيث مرابع صباه وملاعب طفولته ومراتع أوديته، فيتذكر ذكرياته واحدة فواحدة ويأسى الأولاد طالما أو معرضت عنه فعاود ما ربت تحبس مدامعه الهاطلة، وأراه أنه يفتقد زملائه في الصبا أو أقرانه في السمر وملاعب البادية الوادعة الآمنة، فيذكر أصحابه وخلانه (٢) الذين اجتمع القول في وصفهم فهم كالعذارى أخلاقاً عليهم الثياب والعمائم من باب أولى وهم في مقتبل العمر تجللهم

١- ديوان ذكرى العهد الباقية، ثلاث تلف تطوى، ذكرناها في العدد (٥٢) ٢٠/١٤/٢٥ العدد الثقافية (ثلاث) خطأ وصاحب تصحيح.

رغد حياتهم الواقعي التي تغطي عادة اصحاب الخيال، هذا وحلاوة الحب
التي طغت عليهم لا بد ان تغريهم فتدفعهم الى العبث وتكن احلامهم
النبيلة تعترضها، وطبائعهم الشريفة تمنعها، وحرمت مقاعدهم تحول
دون تلك الاهواء كلها فتشكل حاجزا دون ولوج هذا الدرب القذر
درب اللهو والعبث.

ويواصل الدكتور محي الدين نعته لاقرانه فيذكر رفقتهم مع اقرانه وتحفظه
ودورها الذي يعتمد الى العقل، ويذكر تعاونهم مع ليونة الطبع ومهما تقيل
انهم مواصلون التحلي بهذه الصفات الحميدة. اما حياتهم فقد شملها
التنظيم والتنسيق فهو في يومهم الجد والعمل يسهرون معهم الليل فإن
صمموا منه عيونهم ما تبقى الى قليل من النوم فعند ذاك يلوح لهم
الفجر فيا شقائي الاتقياء يصحون في سعة من الوقت فرحين ويغدون
في ظله ليملئوا الانفس النشاط بعد الكد والاجتهاد بعد التعب فهم
قد تلاقوا وتفاهموا على تلك الوتيرة، اتفقوا على الرغم من تباعدهم
في الرأي والمشرع. اما ثقافاتهم ومعارفهم فإن تباينت في الاقدار
والدرجات فقد اتحدت وتحلى كل منهم بما كان نصيبه وحصيلته من
ينابيع العلم والمعرفة. هذا وقد نام الدهر عنهم وكأنهم في سلسلة
من النسيان ولكنه مالبث ان استفاق وكشف اللثام عنهم وقدراتهم
وامكاناتهم، فثار على التخلف والخمول بقيادتهم فانتفض جمع الحسوبية
على خصوبة العلم والادب، وهذا يحكم جامعهم لغرب عن سماء وليالي
المعارف والفنون.

ثم تذكر الدكتور محي الدين رحيل المكون يتخرم الواحد منهم تلو
الآخر مفرطا بهم يتقصف خطاهم حتى استأصلهم.

ويمدهنا الاسطر آدمي ذكريات مراتع الاهل ومراتع الصبا وموطن
الادب ومعقول المعارف، ان تدفع الحقيقة التي لا يختلف فيها اثنان
كهذا الشعر والادب الى القول بانه سوف يدرك شاعرنا سواء
تباطئ في الخطا ام تسارع، وان نصر رفاق الصبا ما طولها لا
نصر له وتشييع اصدقائهم ما هو الا تشييع له بالذات
وان الملائكة سوف تتدرج الى قدر الله وقضائه المحكم على
عباده، فقد دفن بدفنهم ليالي الشباب واصحابه واحلى الليالي

الباقيات والاصلاح اللاحقات حروف تشخص لوداعه، ثم يختتم الدكتور عبد الرزاق محي الدين مرثيته بتوجيه التحايا الى رفاق وادعي السلام ويقول لهم لقد نعمتم واستقر بكم المقام، وفرشت الجنوب واستقرت المضاجع، ووردت ودائع الارض الى ترابها ولا يبعد قال شهد الوداع. تلكم كانت رائعة عميد الشعر العربي الدكتور عبد الرزاق محي الدين، وقد تجلت فيها العواطف الجياشة أيما جلاء، ونطقت فيها الصدق في اعلى درجاته ومن هنا كانت في اوج المستوى الادبي الرفيع تجمع بالاضافة الى السبك العالي والنثار المتقن الذي عرف في الشعر العربي القديم، جزالة الالفاظ، وفصاحة الكلم، واختيار المعاني وتخلل القوافي. هذا بالاضافة الى التجديد في الاسلوب والتحاق المعاني البكر التي لا انفعالي الا قلنا انه لم يسبقه في ايثارها سابق.

بعد ان فصلنا القول في العواطف الجياشة التي تفجرت من خلال مرثية الدكتور عبد الرزاق محي الدين، لا بد لنا من تحديد الاغراض التي توخاها عميد الشعر العربي من وراء مرثيته تلك. وفي الاسطر التالية نحاول ان نتوصل الى تحديد الاغراض او التعليق عليها. فنقول:

١ - كان من اول اغراضه ملاحقة الذكريات العائلية، وتداعيات الشاعر مع فقيده في ادوار الصبا والشباب.

٢ - اظهار العواطف المتبادلة بين الشاعر والفقيد.

٣ - اظهار ما قدمه الفقيد الى الشاعر من اصناف الرعاية والحنان والتوجيه.

٤ - التزام الشاعر بتنفيذ التعليمات التي كان الفقيد يحرص على تطبيقها من قبل الشاعر.

٥ - الاعلان عن جزع الشاعر الشديد للمصاب الذي الم به الى درجة انه اعتبره منايا جمة ومصارع عديدة.

٦ - الاعلان عن الربط الوثيق المتواصل لتاريخ اسرة الشاعر وهي نفس الوقت اسرة الفقيد، وما حفل هذا التاريخ من امجاد وسؤدد وجهاد وعقيدة.

٧ - اظهار التحلي الادبية والعلمية والادارية التي كان يتحلى بها الفقيد

٨ - اظهار المزايا والخلال التي كانت تطغى على سلوكية الفقيد ومزاياه

سواءٌ في عهد الشباب او في عهد الكهولة.

٩- الرجوع الى ذكريات مرابع الاهل والدراسة والبيئة التي احتضنت الفقيد واقرانه والشاعر واقرانه وهي بيئة واحدة.

تلك هي نظرة أهم الاغراض التي توخاها عميد الشعر العربي من خريدته التي اسلفنا ذكرها، وهي لعمري اغراض اخذت من الاسلوب القديم لعواطف الرثاء محاسنه واطلت على دنيا عواطف الرثاء باغراض جديدة لم يألفها الشعراء من قبل.

ففي الغرض الاول شارك الشاعر اسلافه ومعاصريه في ملاحقة الذكريات التي عاشها مع فقيده ولكنه في الغرض الثاني اتى به جديدا ما كان مألوفا لدى من تقدمه من الشعراء ماعدا شاعر التجديد الشيخ علي الشرقي الذي جاراه في الاسلوب وشاركه في كون عواطفه نحو متبادلة.

وفي الغرض الثالث كان الدكتور محي الدين مجددا في عالم الرثاء الذي لم يسبق انه عرف هذا اللون من الادب مثل هذا الغرض.

وفي الغرض الرابع كان التجديد ايضاً لأن افقا للحياة واسعاد الرثاء من قبل لم تألف هذا النوع من الاغراض.

اما في الغرض الخامس فالشاعر شارك معاصريه واسلافه في اظهار الحزن والجزع واللوعة على الفقيد، وهذا كان لابد منه لان المقام مقام حزن وأسى.

وفي الغرض السادس نجد الشاعر قد غادر بيئته وجماعته وواقعه الى اعماق التاريخ البعيد كما فعل الحويزي محمد سعيد وجيه ولكن شتان بين رحلة اسلافه من الشعراء ورحلته، فاولئك ترحلوا دون غاية ولا قصد، ألا اللهم ما عدا الطلب من الاموات المشاركة في العويل والصراخ والهلع والجزع، والطلب كذلك من المساجد والقاعات ان تشاطرها حزنا على من فقدوه. اما رحلة الدكتور عبد الرزاق محي الدين فقد كان ورائها هدف وامامها قصد ومن بين يديها صيد، ولولا ذلك الهدف وذيالك القصد لما انتقل عميد الشعر العربي براحلته مغادراً النجف الاشرف الى صفين حيث صهيل الخيل ومقارعة السيوف واصطكاك الاسنة ثم مغادرة القرن الرابع عشر الهجري الى منتصف القرن الاول الهجري، ففي هذا الغرض اشار الدكتور عبد الرزاق محي الدين الى اوائل تاريخ حافل

بالإبداع والمطولات والجدة على كافة المستويات وربطه بأواخره
ومن هنا نعتبر هذا الغرض جديداً في عالم العواطف ولكنه ان صدق
في مثل هذا المقام وفي مثل هذه الأسرة والمحيط الديني لا يصدق في
مقام غيره ومع امرئ ليس فقيد الأدب والشيخ في الصداقة معبراً الى الغرض
طبقاً وليس الى الشاعر فهو صادق في كل الاحوال رضوان الله عليه.
وفي الغرض السابع يشارك عميد الشعر العربي معاصريه واسلافه
من الشعراء في اظهار الحلي العلمية والادبية والادارية والاجتماعية
لفقيده وان كان يختلف وإياهم في الاسلوب والتركيب والاشتقاق،
فهو الى التجديد متقدم وهم الى التقليد متجهون .
وفي الغرض الثامن كان عميد الشعر العربي مجدداً ايضاً في صدقه و
قصده اذ اظهر ما للفقيد من سلوكية وما الاخلاقية من عنهم سواء في
عصر شبابهم او في عهد كهولتهم .
اما في الغرض التاسع وهو الاخير فقلَّ ان نجد هذا الغرض في اشعار
الاسلاف [١] اما معاصروه فقد اخذوا يتوجهون مع التجديد والابتكار .
وقبل ان ننهي الحديث عن طريقة الدكتور عبد الرزاق محي الدين لا بد
لنا من القول ان الاغراض التي استنبطناها من مفردات تلك القصيدة
العصماء كانت جديدة في عالم عواطف الرثاء ، شأنها شأن الاغراض
التي توخاها العلامة الشيخ علي الشرقي رحمه الله تعالى ، هذا ونحن
نرى عندما نتكلم عن طريقة الجواهري ان هذا اللون من الادب
النجفي قد قفز الى الامام خطوات طويلة في عالم التقدم والتجديد
والابتكار ، وكان البادئ في ذلك العلامة الشيخ جواد الشبيبي رحمه
الله تعالى .

١- في قصيدته في شقيقة العرس .

٦ - الاستاذ محمد مهدي الجواهري

هو امير الشعراء بلا منازع وشاعر الامة العربية بلا مدافع ، واحمل المسؤولية ان قلت انه لا ينبغ في الحديث ، بل انه لا وجد الذي جاء ولم تلد الامة العربية منذ رحيل المتنبي عن الدنيا الى اليوم ذلك هو محمد مهدي الذي اخذته والده الشيخ عبد الحسين علامة عصره وشيخ ادباء زمانه بن الشيخ عبد علي ابن الشيخ محمد حسن - صاحب كتاب الجواهر - الذي اصبح عنوانا لهذه الاسرة من بعده - بن الشيخ باقر بن الشيخ عبد الرحيم بن محمد الصغير بن عبد الرحيم الشريف الكبير . تلك سلسلة نسب الشاعر الذي قل ان يجود الزمان بمثله ، وقد نقلناها من الجزء الثاني من كتاب ماضي النجف وحاضرها - للشيخ جعفر آل محبوبة .(١)

اما اسرته وآل الجواهري فهي اشهر من ان يترجم لافرادها او يتحدث عنها متحدث ، سكنت النجف الاشرف قديماً وكانت منازل دورهم واقعة في محلة العمارة وقد اطلق اسم العمارة لاول مرة في اواخر القرن الثالث عشر الهجري على مقبرة جد الشيخ صاحب الجواهر والدور المحيطة بها ، وبعد ذلك اصبح اسم العمارة يطلق على عموم المحلة المعروفة اليوم في النجف الاشرف .

ان آل الجواهري من الاسر العلمية التي لعبت ادواراً بارزة وبالغة الاهمية سواء على صعيد النجف ام على صعيد القطر العراقي ، او في مختلف ميادين العلوم الدينية والادبية والسياسية . وقد برز منهم رجال الادب ورجال انتهت اليهم الزعامة الدينية والدنيوية في اكثر من حقبة زمنية ، وكانت آثارهم التي ما زالت باقية لحد اليوم تنطق بعظم شأنهم ورفيع قدرهم وطول باعهم في الميادين التي اسلفنا ذكرها ، وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر منهم الشيخ جواد صاحب الجواهر المتوفى ١٢٥٥ هـ والشيخ عبد الحسين صاحب الجواهر المتوفى ١٣٣٥ هـ والشيخ علي صاحب الجواهر المتوفى ١٣٤٤ هـ .

لقد كانت لآل الجواهري مواقف وطنية مشرفة سجلها التاريخ بحروف من نور ولا سيما المواقف البطولية المسؤولة ابان ثورة ١٩٢٠ م الشهيرة .

هذا ونحن لا نستطيع في هذه العجالة ان نفرد لهذه الاسرة من تاريخ وامجاد ، فذلك امر قد يحتاج الى مجلد ضخم ، ولا غنى عن هذه الاسطر من الاشارة عابرة او تعريف مختصر بأسرة أمير الشعراء الاستاذ

١ - ج٢ - ص١٢٧ ماضي النجف وحاضرها - محبوبة - ديوان الشاعر الجزء الاول ، الجواهري شاعر العربية للدجيلي

محمد مهدي الجواهري اصبح اليوم المزيد مدونة كتب تراجم العلماء والاعلام وسير الادباء المخطوطة والمطبوعة، وصار كل يجد ضالته المنشودة فيها وقد رأينا ان نضع بين يدي القارئ الكريم صورة اخرى عن اسرة شاعر التجديد والامة كأثر بالغ اضافة الى الصورة التي اسلفنا عنها، حيث ننقل له نص ما قاله الشيخ جعفر آل محبوبة في كتابه ماضي النجف وحاضرها اذ قال: «ان من مشاهير الاسر العلمية النجفية ومن اعرق بيوتات الفضل العلمية من لمع بدرها في افق النجف واشتهرت بعنوان «الجواهر» الذي صار علماً لا وسماً اشتهرت به في اواسط القرن الثالث عشر، وكان لاكابرها في النجف ذكر جميل في اوائل القرن الثاني عشر، فان جدها الاعلى عبد الرحيم الشريف الموصوف بالكبير النجفي، كتب له بعض تلامذته شعراً سنة ١١٤٩ هـ كما يأتي ذكره في تراجم الاسرة. ثم صعد صيت هذه الاسرة وطار صيتها من حين شيوخ جدها الاعلى الشيخ صاحب الجواهر فتمخض عن ابراز الفضل والعلوم الروحية وتوارثها منه ابناؤه الغر الاماثل فتكونت على تعاقب الاعوام والسنين منه اسرة علمية شهيرة، نبغ فيها علماء ومشاهير وادباء وشعراء فطاحل وضم بعضهم الى فضله الغزير أدبه الوافر، كما حاز رجال منها الزعامة العلمية والدينية» (١)

من هذه الاسرة الجليلة التي ولدت افذاذاً ولد امير الشعراء محمد مهدي الجواهري، فهو بحق ربيب العلم وسليل الادباء ورضيع المعارف، وبالاضافة الى الحصور العلمية التي احتضنت صباه نشأ وترعرع في بيئة النجف الاشرف جمجمة العرب ورمح الاسلام، وحاضرة العلم وكعبة الادب، ولعمري ان من ولد في بيت العلم الجواهري ونهل من معين الادب النجفي لاكتسب السمات المثالية فهو بحق شاعر اللغة العربية، وهو بصدق امير الشعراء، وهذا ديوانه بمجلداته السبعة (٢) دليل ناصع على علو كعبه وطول باعه وثروة تحصيله وقوة بنات افكاره، ان الجواهري شاعر قديم حديث، قديم ببنائه القصيدة وفصاحة اللفظ وبلاغة التركيب وقوة العبارة، وعندما تقرأ اية قصيدة في ديوانه تحسب انك تقرأ للمتنبي او لابي تمام او البحتري وحديث بحلاوته وطلاوته وحسن اختياره وسهولة معانيه وعمقها قبل يغرف من بحر ويغترف من معين في آن واحد، والجواهري منسجم مع واقعه هو وواقع امته وبلاده، متجاوب مع احاسيس

١- مقدمة ماضي النجف وحاضرها - محبوبة.

نجده منقاداً الى احداث زمانه، لا تفارقه الجودة في الكلام ولا يمله قارئه ولا يضجر منه سامعه، موضوع قليل مبدع مبتكر، كأن نقرأ في دواوينه ما بين حين وحين مطارحة لبيت من السهل انتزاعها من ابيات شعره. فالجواهري هو اليوم امير الشعراء حقاً ولا نعرف في الوطن العربي شاعراً يستطيع ان يوازنه بحيث نستطيع ان نقول انه يدفعه او يزاحمه في لقب امير الشعراء، وليس بين ظهرانينا اليوم شاعر يرقى الى مستواه ولعلني لا اتهم بالغلو اذا قلت ان كوفة الجند لم تلد بعد ابي الطيب المتنبي شاعراً اميراً غيره، فهو من الذين لا ينجب الدهر امثالهم في كل قرن واحد منها، ولعل من المفيد ان ننقل الى القارئ الكريم رأي مؤرخ من مؤرخي الادب العربي وهو الشيخ محمد آل محبوبة الذي قرّظ شاعرية الجواهري فها هو يقول: «ولد في ليلة ١٧ ربيع الأول سنة ١٣١٧ هـ هو بلبل العراق الصادح على افنان الادب ومغرد الفرات (المغرد على الفرات) بانواع اللحن والطرب. جرى مع شيوخ النظم فسبقهم وفاق اقرانه القريحة، فاصاب الغرض واخذ الرهان، وقرض الشعر قبل بلوغ العاشرة من عمره ونبغ فيه قبل اوان بلوغه، وليس هذا ببدع من شأن محيط علمي ادبي كالنجف، وعائلة علمية كبيرة كأسرته آل الجواهر فقد وجدت فيها بيئة تملأه الكمال ولبان العبقرية. ونشأ الشاعر لطموحه وشرف نفسه وطول باعه في الشعر ومقدرته على نظمه ورسوخ قدمه في قرضه وتفننه في فنونه تبوأ منصة لا إمارة الشعر ورئاسة الادب وهو اهل لذلك ولولا انه بخس حظه من ان ينصب له علم ويرتفع في اعلى مكانة تستحقه وتقدمه في الادب، وحقاً اقول كما يقوله كل منصف ان لا امارة للشعر في عصره لا تكون مكذوبة ولا عارية ولا انه غريب عنها، وعلى كل فالجواهري شاعر بكل معنى الكلمة وقد استشهدت ان اترجمه بهذه السطور ومعظم دواوينه المطبوعة وقصائده اللامعة التي نراها تسمو الى حيث ترجم له وتدل على شخصيته وشاعريته». (١)

تلك نبذة موجزة عن ترجمة شاعر الامة العربية الاستاذ الكبير الشاعر الفحل بل امير الشعراء محمد مهدي الجواهري مقرونة بترجمة موجزة ايضاً عن اسرته الشهيرة آل الجواهري.

اما المنهل الذي نشأ الجواهري في بدايته التي سوف تأتي على دراستها بعد

١ - ج ٢ ص ١٢٧ ماضي النجف وحاضرها محبوبة

جواهري أيضاً، ومن هنا نجد المواطنين لم يجتمعوا لرعاية صدق الرجل(١) وهو
الشيخ حسن بن الشيخ صاحب الجواهر، وهو أصغر أنجال الشيخ، توفي رحمه الله
في النجف في المحرم الحرام سنة ١٢٤٤هـ بعد أن تجاوز عمره الثمانين
عاماً، وكان من العلماء الفقهاء البررة الأخيار، وكان مجداً في التحصيل
مكباً على طلب العلوم الدينية، وكان مغرى بمجالسة العلماء وأهل الفضل
والكمال، يأنس ويلتذ بمجالستهم وصحبتهم، ولم تكن نفسه تأبى عن التعلم
والخضوع في مجالس البحث والتدريس، وكان صادق اللهجة سخي اليد
كريم الطبع، محباً للمعروف ومعروفاً به، حتى إنه شاطر أرحامه بما كان
يقع إليه من الحقوق، وكانت له حوزة علمية تضم ثلة من أهل الفضل،
وله إمامة الجماعة في مسجد شيخه [illegible] الهمداني في محلة العمارة.
ومن آثاره شرائع الإسلام، وهو كتاب في الفقه، خرج منه كتاب الطهارة
والصلاة والزكاة، وله تعليقة على رسائل الشيخ الأنصاري، جمعها
من تقريرات أستاذه صاحب الكفاية.(١)

تكلم ننقل عن ترجمة الشيخ حسن الجواهري رحمه الله اقتباساً من كتاب ماضي
النجف وحاضرها للشيخ جعفر آل محبوبة. فقد كانت لوفاة هذا العالم
أصداء من الحزن والأسى، وقد رثاه الشعراء، منهم الشيخ عبد الحسين الحويزي
والأستاذ محمد مهدي الجواهري الذي رثاه بقصيدة عصماء يتطاير
منها شظايا بركان العواطف، وقد نشرت في جريدة الفضيلة في ١٢/
أيلول/ سنة ١٩٢٧م كما في ديوان الجواهري الجزء الأول. (٢)

حذرت وما يفيد الحذر(١) — ومن ذا يصد هجوم القدر
وما يهون وقع الحمام — أن ليس للمرء منه مفر
ونتوقع ما شاء عود الزمان — ويبكي ويضحك منه الوتر
فيوم علينا ويوم لنا — ويوم نساء ويوم نسر
تصدقت من لا عمر(٢) قوله — وكم حكمة في معاني عمر (٣)
أرى دهرنا مرحاً كأننا — نروح ونغدو به كالصور (٤)

ثم نجد المقطع يرسم لنا أمير الشعراء نفسه التي كانت تروح وتغدو بين الحذر والقدر،
ويقدر ما كان يجتذبه الحذر للمحافظة على حياة العلامة الشيخ حسن الجواهري،
كان يدفعه القدر إلى التسليم بالأمر الواقع، وإقناع النفس بعدم تهويل
وقع الحمام الذي ليس منه مفر لبني البشر.

١- ماضي النجف وحاضرها / محبوبة، ص٤٢ ٢- ديوان الشعر الجزء الأول ٣- عمر الخيام (٤) ديوان [illegible]

عالم من مفاجآت وتوقعات قد اعد لكل امرئ عدته، فإن عود الزمان يبكي على ضياع تلك التوقعات بنفس الوقت الذي فيه صيرة القدر، فمن شيم الدهر ان لا يكون صديقاً حميماً للدنيا ولا عدواً لدوداً، ففي يوم ما يكون لك مبتسماً وفي يوم آخر يكشر معبساً.

ويبدو ان الشاعر اخذ هذا المعنى من عمر الخيام ويختم امير الشعراء هذا المقطع واصفاً الزمان بانه مسرحاً لعرض العصور فهي رائحة وغادية عليه، ومعنى هذا المعنى كناية عن الحياة والموت المتعاقبين على مسرح الحياة.

اما في المقطع الثاني فان امير الشعراء ينقلنا الى مشهد جديد من المشاهد التي حصلت لجريدته العصافير فاسمعه يقول:

أقول وقد قيل جاء البريد (٢) ينبئك البيت بهذا الخبر
عجبت له كيف لم يوهه فقالوا صدقت لهذا عثر
عرفت الكتاب ومضمونه تحدثت: ان البريد انكسر
خليلي ما انتما صانعان بدمع ترقرق ثم انحدر
تحير بين النهى والهوى فهذا نهاه وهذا أمر
هلما نروح على دوحة تمكن الاصل منها وحف الثمر
ولا تعجبا في اعتذار الزمان متى زل دهر اما اعتذر
وصفونا من حسرتي ان ارى وكم الناس عند الليالي هدر (١)

في ذلك المقطع شاهد من حالاته العاطفية قبيل ورود البريد اليه وبعد وروده، فعندما القاه البريد بنبأ وفاة عماد بيته وزعيم اسرته اندهش من قوة استطاعة البريد حمل هذا النبأ العظيم دون ان تتهدم له أركان قواه، وقد قيل له ان ذلك خاص بك ومن دلالته تعثر البريد في مشيته.

والصورة الاخرى تريناان الشاعر الذي كان يصول ويجول فان آية قد كسرت لهول الحدث وقد اصبح عاطلاً، ثم تتحدر من عينيه الدموع لتعبر عن مدى حزنه وجزعه، وبنفس الوقت الذي تأمره فيه عاطفته وحبه ان يواصل جريان دمعه يعترض عقله ويأمره بالكف عن الدموع، فيطلب الشاعر من خليليه ان يتدخلا لانقاذ الموقف وبما عملاه في الروح على دوحة يكتنف جذورها ومانتت اثمارها وكأني بالشاعر يعني بذلك بيته واسرته. والصورة الاخيرة التي اراها في ذلك المقطع يتم فيها الشاعر طالباً من صاحبيه على النوح والبكاء

١ – ص ٢٤٧ في ديوان الجواهري

ان لا يقبل عذر الزمان المتهم بقتل تلك الدوحة الا انه اي الزمان لم يبق له ان اعتذر عن زلاته على الرغم ما كثرت، وعندما يصل الشاعر الى هذه النتيجة الحقيقية يحاول ان يخفف من شدة عاطفته الجياشة فيقنع نفسه بحقيقة اخرى الا وهي: ان الليالي قد عودت دهاة الناس ولا عجب من التسليم بذلك.

وفي المقطع الثالث من هذه الخريدة العصماء يرسم لنا ابو علوش الصور الاخرى للعاطفة تختلف عن الصور التي رسمتها ريشته عبقريته في المقطعين الاول والثاني. وهذه الصورة تترجم لنا بايجاز وتركيز شخصية المغفور له العلامة الشيخ حسن الجواهري رحمه الله.

حلفت لقد كنت عف اللسان (٢) وعف اليدين وعف النظر
هنالك لا تعتليه الشكوك ونفسك لا يزدهيها البطر
شباب مضى كنت برا به وشيخوخة كنت فيها أبر
فلم تدر ما هي حمى الصغار ولم تدر ما الكبر عند الكبر
ونفسك للنفع مخلوقة فلو شئت لم تدر كيف الضرر
لقد جل خطبك عن ان يقاس بما خلفته خطوب أخر
فتلك شمائل يا جابري وهذا بلاء جميع البشر (١)

في الصورة الاولى لهذا المقطع يقف شاعر العروبة موقف المتلهف ليدلي بشهادته الصادقة بما يعرفه من خلال وصفات المترجم، فيقول بأنه رحمه الله كان عف اللسان وهي كناية بالغة الاهمية لان المسلم من سلم الناس من لسانه وانه عف اليدين وهذه ايضا بالغة الاهمية فالمسلم من سلم الناس من يده وانه وهل الظلم والجور والغش والفجور الا ما تقوله الالسن وتفعله الأيدي. ويقول انه كان عفيف النظر لا يتسرب اليه الشك فهو واثق بنفسه تمام الوثوق اما نفسه فهي ابية ولا يمكن ان يتزود البطر وهو لا شك مذموم. ثم يقف شباب المترجم وانه كان برا تقيا وكذلك شيخوخته كانت أبر واتقى ففي صغره كان يتحلى بالصفات الحميدة الكبيرة بعيدا عن تلك التي تدنس الشباب والاولاد وقد اطلق عليها الشاعر صفة الصغار، اما شيخوخة المترجم فالتواضع والحلم كانت الصفات المميزة له فان الكبرياء والتعالي لم يتسرب أي منها الى ساحته وشيخوخته. اما نفس الراحل فكأنما خلقت للنفع العام فهي ولو ارادت ان تضر الناس في يوم ما فانها لا تعرف كيف تضر ولا كيف تعمل.

١- ص ٢٤٧، ٢٤٨ المصدر السابق.

العاطفة دينية وفاتك التقي تعاظم عن القياس بغيره من الخطوب السالفة لان تلك الخطوب يلام من يجزع عليها اما خطبك فالملام من يصبر عليه ولا يجزع.

وفي المقطع الرابع يواصل رثاء ابي محمد الشبيبي واصفاً كونه الجامع صور العلم والادب والزهد والتقى تبايناً لعقيدته التي اثارت كوامن عواطفه فيقول :

بكيتك للعلم محنته (٤) وما بينه تنافساً تحتضر
كتاب ابيك ومن لا يعيد عليه وقد رحت عنه النظر
وللمفتي ترصد في عاجل وترغب في الآجل المدخر
لقد صامك بكى النهار ويبكيك لفقد القيام السحر
بكيتك للبيت عالي العماد فما ان نعيت اليه فخر
تعطل من حلية جيده ومعقد الجواهر منه انتثر
رأيت من الناس ما دونه يفل الحديد ويفتت الحجر
ثبت لانك رمت الاله ونجلك رام الورى فاستتر
معاقبك دنياك إذ عفتها ومالك لو رمتها من مفر
وما عظُما خطب الزمان فلا ملكة تبتلي بالبشر
ثمانين لله قضيتها ستعطيهم من فان [illegible]
على قدر ما اخلصت الواردين تكون احتفالهم من القدر
ولو نقصت مرة في الورى لكانت هبا تلك ام العبر (١)

ان العواطف التي تضمنتها كأنه لوعة في هذا المقطع الرابع من قصيدة ابي الشوارب ومدحته تساعدنا ان نعارفه او سامعه سوف ينتقده على تلك البواعث العاطفية ويرميه بالغلو، لذلك ابا فراس نفسه يرد نقده شعراً ويعدد كثيراً منه من مناقبه واخرى من صفاته، وكأنه يقول لمن لا يريد ان يتفق واياه على تلك العواطف : ألا يستحق هذا العليم الفقيد وهو بهذه الدرجة علماً ومعرفة وديناً وايماناً وزهداً وورعاً، ألا يستحق ان تبكي عليه البواكي وينوح عليه [illegible] كلما كان للعلم صرحاً شامخاً وداعياً، فالعلم كل العلم ما هو الا كتاب ابيه وجده [illegible] عليه الغلاء، عالم يصل الى عالم الآخرة وهو زاهد بدنياه العاجلة لينال جزاء آخرته الآجلة، هذا العابد الصائم القائم

(١) ديوان الجواهري ج١ ص٢٤٩ - ٢٤٨

وكان النهار الذي لا تنقطع صلاته وكان ابتغاء السرّ لا ينفد ذلك القائم بين يدي ربه يناجيه والناس نيام، عليم كان لا سرته في الليل العابر الذي سقط وهوى، ويواصل الشاعر ابراز صور فقيده فهو أخذه تربنا ان ما كان دينه تقوى ومنار يشعل الحديد ويفتت الصخر فكيف به وهو العلم الشامخ، فهو أخذه تربنا ان هذا العالم العلم الذي الذي لا يُضيّع، منه الناس للأشياء الآخرة ما لولا الدار الدنيا لذا فيه صفتها شتى بين الناس، ومن كان هذا منهجه في الحياة لا بد ان تعافه الدنيا لأنه عاقل، على انه لو اراد ما كانت طوع بنانه. هذه كانت صفته عليه فهو حقيقة ملك ممثل بصورة بشر وقد عاش هذه الصورة ثمانين عاماً في تجارة مع الله جل وعلا، ومعرفة تظهر له به وخاسر الدنيا مقابل ربحه في الآخرة. بل ربح الدنيا والآخرة في آن واحد ويقدمها إذا فتلفت الوابدون الى الدنيا فتلفوا كذلك في عدوهم عن هذا العمر اذا كانت تتشفع الناس في حياة العلم الراحل من اسمى العمر للناس.

اما في المقطع الخامس فنجد شاعرنا الجواهري امير الشعراء يعرض لنا نماذج من المصائب والخطوب التي كابدها فقيده ابان حياته، ومن تلك الخطوب فقدانه لولديه الذين كان شبابهما كالجملة الزاهية بازهارها.

لقد كابدت خطوب دهر (٥) لو الصخرة كابدهن انفطر (١)

شبابا في كفنا يطفئها ـــ نباهي الجملة أمّ الزهر

فقدتهما لم تلك بين يدا ـــ وذلك ما لا كلمح البصر

اعلم اذ شيعت تعشه ـــ لمن ذا تشيع هذي الزمر

هل وهل عرفت الموت اذ غاله ـــ بما يجيء عليه نفس خطر

ولو كنت ترثى لما ينبغي ـــ لكنت الجدير بأمّ الشعر

ولكن على قدر ما استطيع ـــ أتيت اقابل عودا بذر

وما انا الا قصير اقر ـــ وما انت الا كريم عذر (٢)

وتستمر عبقرية الجواهري تبكي على ابني عمه الذين ظفر بهما الموت وهو ماضل بقية ما ظهرت، وبعد ذلك تعود العبقرية الجواهرية الى الفقيد فتقدم له العذر لانها قد اساءت الأدب فقابلت الطود الشامخ الذي لم تقابله العبقرية الجواهرية بما يناسبه ويليق به من رثاء وتمجيد وتبجيل والحقيقة انه يستحق ان يرثى بأم الشعر، فاذا كان ذلك اساءة الى علو

ـ هنا اشارة الى فقد العلامة لولديه اثناء قبيل وفاته/١ ـ ص٤٢٤ ديوان الجواهري

شأنه وكبير منزلته بأن كرم العفو شيمته ومن لازمته تقبل العذر والكريم من اعتذر وكريم من يقبل العذر)).

وهكذا في المقطع السادس نرى تساميًا صورًا شتى لضروب شتى من الحزن والأسى والأسف المجللة بعواطف التوجع والتوجد والبكاء التي أقامتها بها العرب عن جرحاها المدن العربية وفي العربية إلا لقد توارثت تلك الضروب أبًا عن جد منذ الزمن العتيق عام أو من بعده والدليل على ذلك ما قدمه العرب من تراث يكن وتتعلق فيه والآل البيت النبوي ع سلام الله عليهم بملحمة الحسين بن علي سيد الشهداء سلام الله عليه فأمسى حتى أصبح في استطاعة المرء أن يعتصر عواطف الحزن من صميم اهتمامات الشاعر العربي ومن البديهيات التي لا يتجادل فيها اثنان.

وإذا كان هذا الأمر يصدق على أي شاعر عربي فكيف تكمن الحالة بالنسبة إلى الحزن قد استولى على عواطف أمير الشعراء العرب فأصبح في المقطع السادس وهو طريحًا يقول:

هو الحزن نمّ عليه البيان — أو الجمر نمّ عليه الشرر
رأيت الهموم نتاج الشعور — فلا يفرحن امرؤ إن شعر
ودون القصيد الذي تقرأون — إذا جاشت النفس وخز الإبر
وما المرء إلا بأشجانه — وذكرته بالجرح نعم الأثر
أبا حسن يا جواد الندى — إذا المحل عمّ وضنّ المطر (١)
ويا نابغًا في جفاف النبوغ — وضلت عن الفكر أهل الفكر
يهون لك السمع حمل البيان — وتشتاقك اليد حمل الحجر
فلا تحزنن بنعم عقبى الفتى — تحمّل ما لم تطقه ما قطر (٢)

إن البيان الذي أوقعه وعرفه هذه الخريدة العصماء صوّر لنا حالة الحزن التي هيمنت على مشاعر الجواهري وذلك الحزن الذي وصفه الشاعر نفسه بأنه (الجمر) نمّ عليه الشرر أما الهموم التي نتجت عن شدة الشعور بالحزن والأسى، ومن الغريب أن نجد الجواهري يتصارع مع عواطفه ويحاول التغلب عليها ولهذا قال: فلا يفرحن امرؤ أن شعر بالحزن، والحقيقة أن الجواهري في قصيدته هذه طرح موضوع العاطفة على الرغم من اتصافها بأنها شاعر العاطفة ... ولذلك نرى الأبيات التي خاطب بها العلامة الشيخ محمد جواد الجواهري بقوله: أبا حسن ... فالشاعر ...

١ ـ العلامة الشيخ محمد جواد الجواهري / أبو الحسن / ... ديوان الجواهري.

الأبيات في رثاء العلامة محمد الجواد بأنه جواد النعي، وذلك تورية نادرًا ما يظفر بها الأديب النابغ، جواد في رثاء القحط وسحب الأمطار. و الجواد الجواهري جمع بالإضافة الى ذلك التفرد بالنبوغ في الوقت الذي جف فيه بحر النبوغ، وضلت فيه عن الفكر ارباب الفكر، وعن العلم جهابذة العلم. ان هذا العلم العليم يبهش له السمع قبل ان يفرح لرؤيته النظر تمامًا كاشتياق اهل البر قبل اشتياق اهل المدر.

وبعد هذا الوصف الجذاب العالي الجناب، يطلب أمير الشعراء من العلامة الشيخ محمد الجواد الجواهري ان لا يحزن على فقيد آل الجواهري العلامة الشيخ حسن رحمه الله لأنه تحمل من الآلام ما لا يطاق، ولا يمكن الصبر عليه، ولكنه آل الى أحسن العواقب وانعمها.

فكم عواطف الحزن التي اندلعت بركانًا من ثنايا حروف الفقيد الجواهري في بعض مقاطعها، مصورًا لم يشاهد على شكل ملكوتي، ويتصور الفقيد بفقده ما فقده الى مستوى الملائكة، فالناس بعيشه صبابة وثناء، وبعدما صفة وورعًا، نلاحظ انضمام العواطف المتصاعدة لما استطاع شاعر النيل ان يشيع فقيده على الرغم من كونه جهبذ عيلهم الى خارج دنيا الناس ليكون من صفوف الملائكة.

بعد ان أرينا تفاعل التوليف عواطف أمير الشعراء في مرثيته العصماء الذي رثا بها العلامة الشيخ حسن الجواهري يجدر بنا ان نعرج على الخريدة لنعرف الاستخراج ~~[illegible]~~ اغراض عليهم الشعر فيها فالعواطف تتشكل من موقف الى موقف ومن شخص الى آخر، والاحداث والمناسبات والظروف كل هذه وغيرها لها دور كبير الأثر على انتظام القصيدة الرثائية.

ان اهم واثر اغراض القصيدة هي:

١- اعلام الشاعر بأنه حذر من وقع الفاجعة، ولكن القدر اقوى من الحذر.
٢- اظهار حزنه وجزعه على فقد الراحل والأثر الذي تركه في نفس الشاعر.
٣- اشتراك اهله واصحابه في حزنهم وهمهم وغمهم.
٤- وصم الزمان بوحشية الحدث، وانه ودولة لم يقدر هذا الزمان لعادته.
٥- اظهار علمه ومحاسن الفقيد العلمية والدينية والملكية وغيرها
٦- عتب على المجتمع الذي يبقى المهتم بشؤون الدنيا ولا يبقى اهل الدين والآخرة
٧- اظهار المصائب التي تعرض لها الراحل في الدنيا.

٥ - تعزية العلامة محمد الجواد الجواهري بفقد الراحل الكبير.

تلك اهم الاغراض التي تناولها الشعراء في تعزيتهم للجواهري لموت الراحل
اغراض نبيلة شريفة واقعية لم تخرج عن تقاليد المعنية واطار الفاجعة
وهي اغراض جديدة على المجتمع على الرغم من كون اصحابه [illegible] الا ان ذلك
المجتمع كان الى الامس القريب يعيش في تجربة ذاته وفي تجربة بلده وفي تجربة واقعه
وقد عرضنا بعض النماذج الحية التي تدل على تلك التعزية التي كان يعيش
فيها شعراء النجف ما قبل الزهيري والشبيبي. فالجواهري احتضن التجديد بكلتا
يديه وضمه الى صدره وذلك بعد ان دفع الماضي المرير بكلتا يديه ملقيًا
كما يسدده القيم المحمد الابيد.

والغرض الاول جديد اما فعليته فلم يسبق في العهد ولكن القدماء احتوى
من الحديث عنه دون عمق الفكر.

والغرض الثاني متطور وقليلًا ما تطرق اليه القدماء ولكن التجديد فيه احتوى
من القديم. والغرض الثالث جديد قديم فالشعراء طالما نددوا بخلائقهم
لمشاركتهم في السراء والضراء. اما الغرض الخامس فالتجديد فيه يفوق الاغراض
القديمة المتوطنة من الرثاء. اما الغرض السادس فهو جديد معنى يعطيه
للناس الانتماء لعلمائهم والا يقيمون الامور والاعمال بمقاييس دنيوية زائلة
بعيدة عن المقاييس الدينية التي تهتم بالآخرة ومثوبتها. اما الغرض
السابع فالشاعر عرض بعض المعاني التي تعرض لها الراحل في حياته وكأنه
يريد ان يقول « الموت مثلي » وفي الغرض الثامن والاخير يهتم الشاعر
بتوجيه التعزية الى الشيخ محمد الجواد الجواهري ويحاول تسليته بعد فقد
الراحل رحمة الله عليه.

تلك اغراض قصيدة الجواهري التي تتفجر بالعواطف. وقد رأينا ان صلة الرحم
والمعايشة تلعبان الدور الاول في تأجيج العواطف الملتهبة ومع ذلك فهي ظهرت
كلمات [illegible] الجوى كأنها اجسام بلا ارواح.

٧ ـ السيد احمد الصافي النجفي

هو السيد احمد بن السيد علي بن السيد صافي بن السيد قاسم بن السيد محمد بن السيد احمد بن العلامة السيد عبد العزيز بن احمد بن عيسى الحسن بن حمدان بن حسان بن موسى بن عبد الله بن حسن بن علي الطاهر ابو الحمائر ابن محفوظ بن ثابت بن موسى بن محمد بن حمدان بن راشد بن ثامر بن موسى ابن معطي بن منيع بن سالم بن ثابت بن حاتم بن صبيح بن هاشم بن ثابت بن علي بن مبرة بن موسى المعلم بن علي بن حسن بن علي الحواري بن الحسن الناصر علي المتعمر بن جعفر بن الامام الهمام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام علي بن الامام الحسين بن الامام علي بن ابي طالب صلوات الله عليهم (١).

تلك سلسلة النسب العلوي الشريف التي انحدر منها السيد احمد الصافي النجفي شاعر الوجدانيات والحقيقة. اما اسرته آل الصافي فهم من الاسر العلوية العلمية الشريفة المشهورة في النجف الاشرف الحديثة وكانت في النجف الاشرف تعرف بآل عبد العزيز وكان رحمه الله علامة عصره أكثرت عليه المراجع العلمية التي ترجمته وأسهبت في الفضل وذكرت الكثير من نقله وعلمه وتقاه وشرفه. وال عبد العزيز كان لهم في الكتب القديمة دور كبير في تأسيس الحركة العلمية وتأسيس المؤسسات الخيرية والمساجد وغيرها. وكل العائلة فرع من تلك الدوحة الطاهرة الحقيقة الى اليوم منتشرة في الاوساط العلمية والتجارية والصناعية والزراعية وفي عالمنا العشائرية الواسعة وحلبات السياسة الكبيرة. وخرجت من هذه الاسرة الكثير من الرجال الذين نفخر بهم منهم الوزراء والمحامون والاساتذة والمهندسون والكتاب والشعراء فالاسرة شريفة بمكانة رجالاتها السيدة [illegible] ولا نستطيع في هذه العجالة ذكر مفاخر وامجاد هذه الاسرة. وقد ادركت الكثير من كتب التراجم والانساب في تفاصيل تراجم رجالها وعلمائها وسادتها ومن اراد المزيد فليراجع كتاب معارف الرجال للشيخ محمد حرز الدين وكتاب اعيان الشيعة للسيد محسن الامين وكتاب الشيخ علي كاشف الغطاء الحصون المنيعة والسيد عبد الرزاق كمونة في كتابه الاسنة الاغنياء في طبقات النسابين، وكتاب الذريعة للعلامة اغا بزرك الطهراني وغيرهم كثيرون.

(١) ص ٥٥ من [illegible] النسب العلوي [illegible] الشريف [illegible]
من كتاب احمد الصافي النجفي، حياته وشعره، تركي كاظم جودة.

تكلم نبذة عن مكانة اسرة الشاعر العلمية والادبية التي هي من خيرة الاسر
في النجف وهي من بيوتات آل الصافي ووالده السيد عبد العزيز والد احمد الصافي النجفي
فجده عالم واخوته علماء ووالده عالم واجداده علماء واسرته علمية ومن
يولد في حضن اسرة مثل هذه في تلك البيوت وينشأ في تلك الاجواء
العالية الادبية فان حظه من العلم بصورة عامة والادب بصورة خاصة لابد ان يكون
كبيرا جدا وهذا ما كان فعلا اذ تمكن الصافي النجفي من احراز ذلك القسط
العظيم من الدراسات والاستعداد التي انتشرت في جميع الاوساط العلمية
والادبية واعترف الكل بما حققه من شأن.

ولد شاعرنا الصافي سنة ١٣١٤ هجرية في محلة العمارة من النجف الاشرف
بدأ دراسته في الكتاتيب التي كانت منتشرة في النجف يوم ذاك شأنه شأن
ابناء الناشئة لتعلم القراءة والكتابة [illegible] ثم انتقل الى الحوزات
العلمية المتصاعدة في الدرجات والمراتب حتى درجة الاجتهاد.

درس شاعرنا الفحل على اساتذة عصره امثال الشيخ محمد حسن المظفر والسيد
حسين الحمامي والسيد علي البروجردي والسيد ابو الحسن الاصفهاني [illegible]
العلوم الاسلامية كالمنطق والفقه والاصول والتوحيد وغيرها (١)
والصافي علم على رأسه نار [illegible] ان شقيقيه محمد رضا ومحمد امين
كانوا على رأس المجاهدين عن دينهم ووطنهم وامتهم والثائرين [illegible] الاستعمار
الانكليزي بايديهم والسنتهم ومن اجل ذلك سجنوا [illegible]
[illegible] في المنفى والسجن وما شابه ذلك. غادر الصافي النجف مدينة
آبائه واجداده [illegible] الاضطهاد الانكليزي الى ايران [illegible]
ثم عاد الى النجف الاشرف وقد استقر [illegible] من ايران حوالي الستة
اشهر (٢) وعندما رجع الصافي الى العراق كانت الجيوش البريطانية قد احتلت
العاصمة بغداد. وعند وصول الصافي الى النجف اشتغل مع الذين كانوا
يمهدون للثورة العشرينية وعندما هجم الجيش الانكليزي على الكوفة
غادر الصافي النجف مرة اخرى الى ايران [illegible] ثمان سنين؛
ترجم فيها رباعيات الخيام شعرا الى العربية وقد طبعت تلك الترجمة عدة
مرات لروعتها [illegible] الفارسية [illegible] ان الخيام نظم رباعياته مرة
بالفارسية واخرى بالعربية. وفي سنة [illegible] عاد الصافي من ايران الى
العراق وقد كانت فيه دولة [illegible] برئاسة الملك فيصل

١ - ص [illegible] المصدر السابق، ٢ - ص ٢٤ نفس المصدر.

الحسن الاول. وعندما وصل الى مدينة النجف الاشرف كان موضع حفاوة من الاهل والاصدقاء وابناء المدينة عامة وبعد فترة من وجوده وخلال هذه المدة أُصيب بمرض عضال غادر على اثره الى سورية للتمتع بالعلاج وكان ذلك في عام ١٩٦٨(١) واخيراً استقر العاملي في لبنان وهناك اصدر اكثر دواوينه وفي ربوع لبنان ورياضه وجباله ومن اوساط مناظره الخلابة نظم العاملي اكثر اشعاره وطبع اكثر دواوينه وعندما كانت الحرب الاهلية في لبنان لم يشأ العاملي مغادرة ربوع لبنان حتى فضل السكن هناك ولكن بعد اصابته بطلقات طائشة اضطر الى الرجوع الى العراق وذلك قبيل سنة وبعض [illegible] وفاته وبعد رجوعه الى العراق أقام في بغداد ولم يعد الى النجف الاشرف إلا جثمانه ليدفن في مقبرة وادي السلام وقد صعدت روحه التي عزفت عن الدنيا وللوطن وللعرب وللحق وللانسانية في عام ١٩٧٧م وبالضبط في ٢٧/١٢ من ذلك العام غادر العاملي الحياة بعد ان اصدر عشرة دواوين مطبوعة وهي ١- الامواج ٢- أشعة ملونة ٣- الاغلال ٤- النار ٥- الى اللهيب ٦- صواعق ٧- ملامح السجن ٨- شرر ٩- اللمحات ١٠- الظلال. هذا وقد قامت وزارة الثقافة والفنون بطبع خمسة دواوين من شعره في المطبوع في مجلد واحد اسمته (المجموعة الكاملة للشاعر احمد العاملي النجفي في المنشورة وذلك في سنة ١٩٧٧م.

وكلم باختصار محفوظ هذا الشاعر العربي الفحل الاستاذ السيد احمد العاملي النجفي وتلك اسرته الطاهرة وتلك حياته وكفاحه وعزيمته وصبره وجهوده نادرة قل ان يكون لها نظير بل قل ان تولدها [illegible] واقول انه رحمه الله على الرغم مما كانت تعج الاوساط الادبية امثاله وأمثال [illegible] عاش عربياً وحيداً في مجتمع يعج بالأشعة والتقارب والانفتاح والتوادد وكانه رحمه الله يرى ذلك تزلفاً ومنافقة وكذب وزور للاشعر عاش متابعاً المعجبين في بعض اعماله ولسان حاله يقول:

هذا جناه ابي علي   وما جنيت على احد.

وبعد هذه اللمحة البسيطة عن شاعر المجد والسؤدد السيد احمد العاملي النجفي يلزمنا البحث ان نغوص في رائد من روائد شعره لنستخرج منه الدرر والمرجان ونقدمه الى القارئ الكريم والله من وراء القصد وكنتائج فيه قاعة [illegible] لا نختار ولكن لون تقدم والعاملي كل شعره مختار

١- نفس المصدر السابق ص٢٧

ولكل شعره مبتدع ولكن الاجدر بنا ان نعطي القارئ الكريم نظرة عابرة
عن شعر الصافي بصورة عامة لنكون على بينة من الامر شأن الامر كذلك
لنكون مع الموضوعية ومع المنهجية.
فالصافي في عموم شعره شاعر الواقعية والاسترسال والتجارب ببناء المشاهدات.
وقبل كل هذا هو شاعر الانسانية وشاعر الحق وعدو الباطل.
الصافي لا تلمس في شعره اي نوع من انواع التكلف عند الصافي لا تجد في شعره أثراً
للترصيع والتسجيع، اما فخامة اللفظ فليس لها في شعر الصافي نصيب، وكذلك
التعقيد الاشتقاقي، وقليلاً ما تشاهد للتعقيدات اللفظية حواجز في ثنايا
افكار الصافي.
كل ذلك ناتج عن كون الصافي ابن واقعه فهو لا يخدع احداً ولا يرائي احداً
لانه لا يتكسب في شعره ومن هنا تراه غير محتاج في تراكيبه الى فخامة اللفظ
ولا الى استغلاق المعاني، وحتى الصور الفنية انما تجدها في الاكثر شواهد
طبيعية جميلة.
فالصافي لا يتعب قارئه كثيراً ولا يكلفه عناء مراجعة معاجم اللغة العربية
لانه اختار لشعره أسهل انواع الكلمات، كلمات يفهمها القارئ الذي يحصل على
ابسط ثقافة كانت.
هذه باختصار بعض السمات التي يتسم بها شعر الصافي حسب مفهومي والله اعلم
بالصواب
بعد ذلكم النعت الموجز لشعر الصافي اخترنا له روائعه الحية رائد الواقعية »
ونعود للقاء على شعره وقبل ان نخوض غماره نقول كلمة ختامية في شعره
رضوان الله عليه. والكلمة تخص الاغراض والاهداف وهي التي حددت معالم
شعره لانه رجل قد طلق الدنيا بأسرها وزهد في الحياة وسما بالزهد وتباعد
عن الكبرياء وصفاتها فانبرى يعالج بشعره اهداف امته ويتغنى ببلاده
ولذا نرى اغراض شعره تجانست مع اتجاهاته العقلية والاجتماعية و
الفلسفية. فهو من جانب متمرد على كل ما هو ضد الوطن والوطنية ومن
جانب متجاوب مع كل ما ينفع الناس ويبني القيم ويسود المثل العليا في
المجتمع. وما قرأت للصافي هجاءً وعن الرجال مثلاً لانه لا يمدح احداً
لشخصه فاذا اعجب فلاجل الهوى اما القصائد فهي عنده عزيزة.
تلك نبذه عن اغراض شعر الصافي رحمه الله والان الى واقعيته.

الغربة العظمى :

الغربة العظمى عنوان أول قصيدة ضمن المجموعة الكاملة لأشعار احمد الصافي النجفي وقد اخترناها لأنها تمثل واقعه وغربته واستمرار همه وقصده تلك الصور التي تحدثنا عنها عندما ذكرنا تقسيمات موجزة شعره وما شغله .. إلى غاية يقول:

- وجربت أنواع التغرب كلها — فمن غربة في الدار والقوم والعصر
- إلى غربة في الزي والذوق والهوى — إلى غربة في الخلق والدين والفكر
- ومرت علي كلها غربة الشعر — ومعطوف مواطن معا إلى حشر
- بما بعثت لطفي الأكل مراقبا — ولم أدر أحسن تقطن غربة الفكر
- ومن آيات الفني قريبا لقلبي — غريب حقيقي حتى بيش من العشر
- تعرفهم أخبار شعري وأصدقا — ويصدقهم عني الرأي ويا حسرتي
- لقد عجبوا بي ظاهرا مثلهم — وزادوا غرورا عندما اكتشفوا سري
- وهل فيه الأشباح عندي تشابههم — وهل يشبه الأشواك عندهم زهري
- ليجعلوا إليه أرضي أرضهم — ولا عقلهم عقلي ولا بدرهم بدري
- وفي عالم ألقى بعوما شبيهه — وكم طفقت كونا في عوالمه الكثر
- وكم خلقت بي جنات وكم خلقت جنة — فلم أدر عقلي بآياته الغر
- وكم من ليس لمح في الدر رجمة — بعيد الآبال الوصف في لفظه يجري
- وكم فاتني عقلك حكى عن تفوقها — وكم غائص بحرا تعصيه درره
- سأبقى غريب الفكر حتى يلوح لي — كذا شاعر يأتي بما قلت في شعري
- ألا إنما الإلقاء في غربة العمر — سأمل أن ألقاه في موعد الحشر
- عسى غد أن يجمع أمة الشعر — وقد أبعدوا الشيء المعري في الصدر
- يرى الي ... إذا تم جميعهم — أقرأ له يبعثوا في الزمن الأخر (١)

سبعة عشر بيتا أمدنا الصافي من خلالها بكشفه روحه الشاعرة وما يتطلع إليه همه عبقريته، كما أطلعنا على بعض واقعه وما يربطه بالناس ويشده إلى أمثاله من الشعراء ما دام الآن إلى البيت الأول الجديدة،

في هذا البيت نلمس أن للغربة عنده مفهوما شمل معه الم غربة الدار وهو غربة القوم وهو غربة العصر، وحقا انه عاش متنقلا في غربة من إيران وسورية والعراق ولبنان فحياته كلها ضمن أحياله لم يتحقق إلا قبيل وفاته، وتتضح غربة الدار، أما غربة القوم فتتضح أكثر

١ - من المجموعة الكاملة لأشعار احمد الصافي،

فالشاعر يتحدث عن غربته بين جلدته ومنازلهم وكيفية استقبالهم في البيت الاخير
فقد اصبح مستغربون من ابنائه واجداده وهو في لبنان يمارس الوحدة على الرغم
من كثرة معارفه واصدقائه فهو يعيش غربة في صحبته شعور مماثل
لما قاله الشاعر رحمه الله متكون من غربة قاتلة . اما غربة المعنى فلعله
يقصد بها نمط الحياة التي يعيش بها وقد اشار اليه الكثير من الشعراء ومنهم شعره
احمد بن التفتيش عن وطن   يفرحني او معه الوطن

((وكم كنت اتمنى لو استطيع ان اجمع اولئك الشاعرين لي من انحاء الارض
ما سكن معهم في كوخ او خيمة ساكن الممالك)) (١)

- اما في البيت الثاني فالشاعر نراه يذكر لنا انواعا اخرى من الغربة فهو غريب
بين الرعيب ، غريب في الذوق ، غريب في الهوى ، غريب في الخلق ،
غريب في الدين ، غريب في الكفر ، ستة ضروب من انواع الغربة كان يعانيها
ذلك اثناء الفصل . فاما غربة الرعيب فهو يرتدي الزي العربي الاصيل
العقال والكوفية على الرأس والشرقية (الزبون) او (العباءة) كما يصرح (في
القصة القصيرة الطويلة تحملها [illegible] عن ازياء الناس لا الشرقية
والبنطول)) واختار الرأس [illegible] كما هو الحال في لبنان .
اما غربته في الذوق فلعله يقصد بها ان الذي يراه جميلا والناس في
[illegible] ولا استخدم عبارة ((لولا اختلاف الاذواق لبارت السلع))
فانا نفهم من ذلك ان غربة الشاعر في الذوق تعني ان اختياراته لا
تتطابق مع اختيارات الناس . اما غربته في (الهوى) فيمكن استخدام عبارة
شاعر اخر يقول (الهوى [illegible] وقد لي الهوى [illegible]
فاذا استخدمنا هذا المعنى فان غربة الصافي في ((الهوى)) هي اختلاف هواه
عن هوى الناس ، واحسبه انه يوافق هوى ابي العلاء المعري كما سيأتي
وابو العلاء بقوله

هذا جناه ابي علي   وما جنيت على احد .

والصافي [illegible] لم يجن على احد . اما غربته في الخلق فكثيرا
ما تحدث عنها في شعره فاسمعه يقول :

اوى [illegible] الشعور لديهم   وقد اشتغلوا عن النميمة [illegible]
نفر الاذى لا يعملون لانهم   [illegible] (٢)

اما غربته في الدين فانه يقصد بها ان الناس لم يكونوا متمسكين بدينهم الاسلامي

١- ينظر احمد الصافي النجفي حياته وشعره ، [illegible] كاظم جودة
٢- ص ٢١٥ ديوان الصافي ، [illegible]

السيف كما يشعر ومن هنا اصبح بينهم غريباً ويشعر انه غريب في الكوفة فهي الاخرى بعيدة عن كل الناس فالناس الذين تمسكوا بالقيم الاسلامية والروحية والاصالة مقابل ايمانهم بالجشع والكذب والتلون والخداع فان الرصافي يكفر بكل تلك الامور التي آمن بها الناس ومن هنا فهو غريب عنهم.

٣- وفي البيت الثالث يظهر لنا الرصافي آخر غربته عن الناس فيقول انها « غربة الشعر » فشعره هو الآخر غريب عن اشعارهم فاشعارهم مشهورة بكلما كثر بيع اشعاره فالتهموا تلك ، ثم انه اصدر تلك المعاني التي جعلتنا ولم تشهد لاي شاعر مثل هذا العدد من الدواوين ، الا انه رغم غريب ليس في الشعر بل في عدد الدواوين ايضاً .

٤- وفي البيت الرابع يحدثنا الرصافي انه أخرج كغيره دواوينه الى جمهور الناس وقاسيا عليهم لم يزل لانه لا يتماشى مع اهوائهم واذواقهم ومصالحهم ومعاداتهم وتقاليدهم ويمضي في عرض هذا البيت على غربة جديدة اسماها « غربة الفكر » فقال عنها انها اقسى انواع الغربة وتطرق الرصافي هو الاكثر غريب عن افكار الناس . هكذا كان يحس وهكذا كان يتمثل انك لو قارنت شعره بغيره فانك سرعان ما تحكم بصدق غربة الرصافي الذي فضل في القول آنفاً .

٥- اما في البيت الخامس نجد الرصافي يبحث عن قريب له في افكاره وعقله ويظهر انه لم يعثر عليه في مجتمع كهذا ولو عثر عليه لما قال لاهتم بغربته من العشرة .

٦- اما في البيت السادس فالرصافي يخبرنا ان اخبار شعره واسعة الاعلام هي التي تعرف الناس منه وتكلمهم عن ما يبتعدوا عنه الا القريب منه ووقفوا على تجاربه وافكاره . لانهم سيجدون امورا لم يألفوها الا الآن.

٧- في هذا البيت يقول الرصافي ان الناس عرفوه بالمظهر الشائع الظاهر عنه، ولكنهم لو ارادوا ان يعرفوه عند الاطلاع على اسراره لعرفوا مبادئه الا انهم خدعوا بالمظاهر وبعد اكتشاف سر الشاعر ازدادوا احتقاره.

٨- في هذا البيت يعقد الرصافي مقارنة بين شعره وشعر غيره فشاعره في شعرهم لانهم يشترون الاصوات ، اما هو فشعاره الازهار ، والاصوات لا تشبه الازهار .

٩- في هذا البيت يطلب منهم الرصافي الابتعاد عنه لان ارضه في ارضهم وعقله

في ظلام وكذلك بذور زرعه في بذور زرعهم، فالبذور ينبته وبينهم شاسع.

١٠- وفي هذا البيت يعترف العاصي بأن عالمه فاني ويحلم بلقاء في يوم ما شبيه له وهو اعيد العاصي مثال يطمح في الكون عن عواطف عالمه الكثيرة.

١١- وفي هذا البيت يظن العاصي انه صاحب بذرة «الخلود» لانه ما حوى «الخلود» ولكن عقله يكذب ذلك الظن بدليل عجز استماره التي هي آيات ومعالم دالة على عبقريته وعقلانيته وحسن تمرناته. فا بحالاته

١٢- وهنا يقول ان بدايات الانسان كانت كبداياته ونهاياتهم كنهاياته والكل [illegible] من الحق بل وحيد يسعى في تفكره وكلامه.

١٣- في هذا البيت يستشهد العاصي بأقوال العقلاء الذين استأثروا الحياة وتذوقوا ونتائج معانيه ويستشهد كذلك بأولئك العباقرة الذين غاصوا في بحاره واستخرجوا منه الدرر غالي الثمن.

١٤- وهنا يعتقد العاصي انه سيبقى في بيان فكره الى ان يظهر ذلك الشاعر الذي يدرك مآل العاصي في شعره، وهو الشعر السهل الممتنع.

١٥- وهنا يقول فإنه هو لم يلتق ذلك الشاعر المنتظر في حياته عمره فإنه يأمل ان يراه يوم الحشر في الدنيا الآخرة.

١٦- وهنا يتمنى ان يجتمع أئمة الشعراء يوم القيامة وفي ذلك الاجتماع يجلس الشاعر ابو العلاء المعري في صدر المجلس، وهي اشارة الى اختياره رئيسا لذلك الاجتماع - وهي اشارة ايضا خفية ان شعر العاصي او مكانته تشابه مكانة المعري الذي لم يظفر به العاصي في الدنيا ولكنه يلاقيه في الآخرة.

١٧- وفي هذا البيت الاخير من قصيدته يقول العاصي وفي ذلك الاجتماع الذي عقده يوم الحشر لأئمة الشعراء انما يجدون للعاصي شبيها اذا لم يجدوا انهم ان يتوجوه «أميرا» عليهم يتصاغرون لأوامره ونواهيه.

هكذا يرى شاعرنا نفسه، وهكذا يرى شعره. وانني انا شخصيا قرأت ديوان سعدي الشيرازي وقرأت تعريب العاصي لشعر عمر الخيام، انا شخصيا ان يجوز لنا عما اذا كان شاعرنا العاصي متأثرا الى حد ما بهؤلاء فإننا نلاحظ تأثره بشعر ابي العلاء المعري، مع كون العاصي لا يقلد المعاني ولا يكرر العبارات ولا يقلد في التركيب ولا في الصورة ولا في الغرض. بل نجد العاصي يستعير الوحدة شكلا ومضمونا شرقيا مزيجا واسلوبا، اما تأثره ففي الامور العامة المشتركة والتجارب والحياة وما شابهها، هكذا ارى صورة العاصي والله اعلم بما في دوحته

وبعد الفراغ من تحليل قصيدة العاملي من النظم الى النثر يمكن استخراج اغراضه الشعرية من تلك الخريدة العصماء .

١ـ اظهار غربته عن الناس بعامة والشعراء بخاصة .

٢ـ تقدم صاحب الغربة التي يعانيها .

٣ـ افصاحه عن عدم وجود قريب له في فكره وحياته

٤ـ اختلاف نتاج عقله في الشعر عن نتاج عقول غيره من الشعراء

٥ـ توهمه بانه مصاب « بجِنّة » وقد كذب عقله ذلك الوهم

٦ـ احاديث الناس عن تفوقه واعجابهم بالدر المتدفق من بحر شعره .

٧ـ انه وحيد وما من احد في الدنيا شبيه له .

٨ـ امنيته باجتماع « أمة » الشعراء من الجن ومجلس العرب في صدر ذلك الاجتماع .

٩ـ على الشعراء ان يبحثوا عن شبيه له فإن لم يعثروا عليه يلزمهم تشريعه امرًا عليهم يسمعون كلامه ويطيعون اوامره .

تلك اغراض شاعرنا الشاعر السيد احمد العاملي النجفي في قصيدته موضوعة البحث وبعدها لا بد من التعليق على اغراض العاملي آنفة الذكر .

١ـ في هذا الغرض يكشف العاملي عن الملك العميق لغربته عن الناس كل الناس ومنهم الشعراء فهو لا يجانسهم ولا يتفق واياهم على ما تعارفوا عليه وتعارفوا ، فهو وحيد في موقف المعارض المخالف لهم والحقيقة ان العاملي صادق في هذا الغرض صدقه في باقي اغراضه .

٢ـ وفي هذا الغرض يتولى العاملي تسمية الامور التي اختلف فيها مع مجتمعه فهو غريب عنهم في النسيج الاجتماعي والذوق وفي الهوى وفي الخلق وفي الدين في المكتوب وفي الدار وفي القوم وفي الشعر وفي الفكر في كل الدروب وباختصار انه غريب عنهم في كل شيء ولا توجد نقطة واحدة يلتقي عندها واياهم فالمجتمع كله في كفة والعاملي وحده في كفة وان شئت فقل ان هناك مجتمعان الناس كلهم مجتمع والعاملي وحده مجتمع

٣ـ وفي هذا الغرض يعلن العاملي بكل صراحة بعدم وجود قريب له على الاطلاق لا في الجن ولا في البشر .

٤ـ وفي هذا الغرض يسوق العاملي دليلا على عدم تجانسه مع غيره من الشعراء فيقول ان نتاجه من الشعر لا يتفق مع نتاجهم لان عقله غير عقولهم ولا يسع المرء الا ان يصدق العاملي فيما يقول .

٥ـ في هذا الغرض يتوهم العاملي بأنه مصاب و جريح، ولكن عقله
يكذب ذلك الوهم، ويدلل على صدقه عدم الإصابة.

٦ـ وفي هذا الغرض يشير العاملي الى دليل تجريبي يثبت عدم إصابته
في «الجبهة» المزعومة، ذلكم هو حديث الناس عن شهرته في صناعة
الشعر وصوغ المعاني، وغوصهم في أعماق مرائيه لاستخراج الدرر والجواهر
الكلامية والتراكيب الشعرية.

٧ـ وفي هذا الغرض يعلن شاعر العربية، أنه الوحيد في شعره إذ لم يلد
الزمن في عصره شبيهاً له.

٨ـ وفي هذا الغرض الثامن يتمنى شاعر الطريقة أن تجتمع أمة الشعراء
يوم القيامة في ساحة الحشر وفي ذلكم الاجتماع يتصدر المجلس شاعر
الفلسفة أبو العلاء المعري.

٩ـ وفي هذا الغرض التاسع وهو الأخير، يطلب شاعر الإنسانية الأستاذ
الكبير السيد احمد العاملي النجفي، يطلب من الشعراء المجتمعين يوم الحشر
أو الشعراء المتجمعين في هذه الدنيا يطلب منهم البحث عن شبيه له
فإن لم يعثروا عليه، وحتماً كذلك، يجب عليهم وتحريمه أيضاً
عليهم [illegible] للامه و[illegible] أمره.

ذلكم الشاعر الفريد السيد احمد العاملي شعراً إنسانياً أمرقاً [illegible]
[illegible] ... الخ.

رحمك الله تعالى أيها الدر العاملي والمجد الوافي، من القريحة والقول
لقد صعدت روحك العلوية الغيبية الى بارئها لم تتدنس بالكلم الحرام
ولم يتنزل المبتذل من الكلام، روحي صعدت ففارقت عزيزها المتدعية
وليس لها في عالم الدنيا تركة قط، لا المال، ولا الدار، ولا زوجة، ولا الولد،
ما عدا إثني عشر ديواناً ستخلده وتبقي ذكره العطر الى ما شاء الله تعالى
والحمد لله رب العالمين.

٨ ـ الشيخ صالح الجعفري آل كاشف الغطاء

هو الأستاذ صالح ابن الشيخ عبد الكريم ابن الشيخ صالح ابن الشيخ مهدي بن الشيخ علي ابن الشيخ الكبير الشيخ جعفر صاحب كشف الغطاء، ابن الشيخ خضر المالكي(١) ولد أستاذنا الكريم سنة [illegible] هـ وتوفي عام رحمه الله.

قال عنه الشيخ جعفر آل محبوبة: «أحد أدباء هذه الأسرة آل كاشف الغطاء، وشاعر من شعرائها المجيدين، كاتب متفنن، شعره رقيق وسبكه متين ومغزاه حسن»، وقال عنه بعض معاصريه: «متجدد في شعره، متطرف في نظمه يضرب على وتر جديد، ويصفق على نغمات تقول الصداح، يشعره الجمال الساحر وتشجيه الأريحية، درس المبادئ على أفاضل عصره وأحكم العربية والمنطق ولم يدرس تاريخ رجالات الأدب، ووقف على كثير منهم، وانخرط في سلك طلاب العلوم الروحية فكان أحدهم وتزيا بزيهم، وبعد ذلك عين مدرساً في المدارس المتوسطة لكفاءته ومقدرته الاستثنائية فهو اليوم أحد الأساتذة البارزين، وهو من أعضاء جمعية الرابطة الأدبية في النجف، ومن رجالها العاملين، ملم باللغة الفارسية وخبرة تامة، وله ولع بالترجمة، فقد ترجم من الفارسية إلى العربية بعض الرسائل والشعر الذي يستحسنه ويستذوقه. له شعر كثير تفرق في مجلة (العرفان) و(الهاتف) و(النهضة العراقية) و(البلاد) و(الزمان) و(الغري) وسائر المجلات العراقية والجرائد، وله مراثٍ في الأعيان النجفيين وأصدقائه، وقد جمع الكثير من شعره في ديوان مخطوط مدون عنده»(٢).

وما قال عنه الأستاذ الدكتور مصطفى جمال الدين رئيس جمعية الرابطة الأدبية في النجف ونشره في مقدمة ديوان الجعفري نقتطف هذه الفقرات:

«ولابد لمعرفة من هو الجعفري، وما هو أثره في الشعر النجفي المعاصر من عرض موجز للحركة الأدبية في هذا البلد منذ تقدمها، كانت الحركة الأدبية في النجف في أوائل هذا القرن امتداداً للنهضة الأدبية في أواخر القرن التاسع عشر التي قادها روادها الحبوبي والشيخ جواد الشبيبي والسيدان الحليان، والشيخ محسن الخضري والسيد إبراهيم الطباطبائي وأمثالهم، ولم يتميز شعر النهضة الأدبية هذه بطابع خاص يختلف كثيراً عن الشعر العربي في عصوره المختلفة، ومن موشحات السيد الحبوبي ليست بعيدة [illegible]

١ ـ ص ٢٠٥ ج ٣ ماضي النجف وحاضرها ـ محبوبة ٢ ـ ص ١٥٢ [illegible]

وأصداء من الموشحات الأندلسية، وكلما كان لهؤلاء الرواد من عمل أدبي نستطيع أن نطلق عليهم صفة النهضة الأدبية، فهو في العودة إلى أساليب الشعر العربي الرفيع في العصر العباسي، بعد أن انحرفت به العصور المظلمة إلى الصناعة اللفظية والمحسنات البديعية المتكلفة. فكأننا نقرأ في مراثي هؤلاء ومدائحهم وإخوانياتهم روح الشريف الرضي ومهيار الديلمي، وأساليب العباسيين في العصور الأندلسية الزاهرة بعد أن تخلصت أساليبهم، بأمثال صفي الدين الحلي وأضرابه من صناع البديعيات، ولم تشمل النهضة الأدبية في هذا البلد فكرة تحولها تحولاً كاملاً من الحداثة والجدة سواء في الأسلوب والغرض أم في المضامين والأغراض إلا بعد الحرب العالمية الأولى، فقد دخلت الأحداث السياسية والاجتماعية تجارب الجيل الثاني لشعراء النهضة، كما تغيرت طريقة تناولهم للموضوعات الحديثة، وكانت بدايات هذا التغيير على يد الشيخ رضا الشبيبي والشيخ علي الشرقي والشيخ عبد الحسين الحلي والشيخ مهدي البصير وأمثالهم، ثم استمرت حركة التجديد تتصاعد متشبعة باتصالها بحركات النهضة الأدبية في العالم العربي عامة، ودخول الصحف والمجلات كالمقتطف والبرق والهلال والعرفان، وتجوالها في مختلف الأقطار العربية حاملة معها مذاهب حديثة في السياسة والاجتماع، وأساليب جديدة لم تعتد عليها مناهج الشعر من قبل البتة، وإذا بالجيل الثالث من شعراء النهضة وأدبائها المتمثل بالجواهري، والصافي النجفي، والجمري، والحبوبي وعبد الرزاق محي الدين وغيرهم يتلقف كل هذه المذاهب والأساليب الحديثة فيمزجها بما كان لديهم من أصالة الشعر النجفي وعروبة لوائه. ولكن الظاهرة في هذا الجيل كانت هي اللبنة الأولى للنهوض بالشعر العراقي الحديث.

صحيح أن المدارس الشعرية من رومانطيقية ورمزية وواقعية وأمثالها لم تتضح معالمها في شعراء هذا الجيل أسوة بزملائهم في مصر والمهجر، حتى إنك لا تستطيع أن تنسب شاعراً منهم إلى مدرسة بعينها، ولكنك واجد في قصائدهم أحياناً معالم هذه المدارس تتلاقى، بما يدلك على أنهم كانوا يتزاوجون بين رومانطيقية وحديثة، وإن كانت تتغلب عليهم جميعاً روح الواقعية أكثر من غيرها. أما أساليب هذه الفترة فقد كان الغالب عليها صفاء التعبير ووضوح الفكرة ومسايرة للتجربة لا التنميق والتكلف

ولعل استاذنا الجعفري كان يعني ذلك بقوله:

رب بيت شعر تجد ... من كالسهم فأصمى
فدنوت الطرف لما ... لفظته الفم رغما
إن في اللفظة ما تصغي ... منه الآذان صما
ولكم معناك سهلا ... ولكم لفظك فخما

كان استاذنا الجعفري من هذا الجيل الثالث من نهضتنا الادبية لولب الحركة الشعرية في النجف، ومركز النشاط في نشاطها الفكري بما يخلقه من مواسم ادبية ومناسبات تكمن منطلق افكارهم الجديدة، وبما يكتبه في مجلة العرفان وغيرها ناقدا ومعلقا على كثير من قضايا الفكر في عصره. لم تكن في النجف يومئذ جمعيات ادبية، ولا صحف ومجلات، ولا اذاعة ولا اجهزة نشر الفكر والمعرفة، ولكم كان مهيأ له ولجيله هذه مواسم الاعراس من اصدقائهم ومجالس الرثاء للعلية من رجال الدين، وكان من براعة الجعفري وجماعته انهم احسنوا استغلال هذه المناسبات للتعبير عما يشيئونه من افكارهم يلقونه من مواقف، وقد نستغرب نحن حين نقرأ شعر هذه الفترة فنجد ان اكثره قد قيل في حفلات اعراس لرجال لم تكن لهم من النباهة ما يستحق كل هذا الحشد من القصائد، ولكننا سرعان ما نكتشف ان نشاطهم الادبي كان لابد له من متنفس، لذلك فقد كانوا يبيحون لانفسهم ان يختلقوا المناسبة، اية مناسبة للتعبير عنه، ثم يكون لهم في المناسبات المتعلقة حفلات صاح بها جناح محافظ متزمت وجناح مجيد متطرف، وليس غريبا ان يكون الجعفري الذي نعتبره بوارث البيت مثالا لجناح محافظ، زعيما للجناح المتطرف في ذلك الجيل، ومن الغريب جدا ان نسمع من ناشئة جيلنا الحديث من ينكر على الجعفري ولداته اسهم في تجديد الشعر النجفي، ناسيا ان الجديد من هذا الشعر لم يكن ليصل الضفة الاخرى لولا الجسر الذي صنعه الجعفري واقرانه متخطين به الاجيال التالية كل ما تقتضيه التجديد من فرائض التضحية والجرأة وتحمل النقد والتشهير والتكفير احيانا من الجماعة المحافظة المتزمتة وانا لا استطيع ان افهم التجديد في المضمون الادبي الا في التعبير الصادق عما يجيش به الاديب المعاصر من فكر سياسي او اجتماعي او ديني بعمق و اخلاص وجرأة، دون مداراة لسلطة المتنفذين من الخاصة، او ممالقة لعواطف الجمهور المصفق من العامة، كما يفعله طلاب الشهرة في

في الاتجاهات الحديثة . ومع هذا فنحن ما زلنا نحن في جيل الستينات من استطاع
من ان يقف في وسط ديني محافظ كالنجف ليقول ما قاله الجعفري في الثلاثينات
وخصوصاً في تعريضه بتعليم المرأة وافساح المجال امامها في بناء الاجيال

كيف ترجو فتاتها منجبة ... كالفتاة البيضاء والنصف؟
من وراء الحجاب منزلة ... تتلظى كأنها ملتهف
كلما ابصرت على كتب ... شيئاً من الجديد ترتجف
تتمنى استقلالها املا ... اضغاث احلام لكم ملتف ((١))

تلك البيئة التي تأثر بها الاستاذ صالح الجعفري وتأثرت به وقد نقل الماضي ووصف لنا الدكتور مصطفى جمال الدين الذي يقف اليوم على رأس شعراء التجديد في الجيل النجفي الرابع الانفعالي او قلنا انه يقف على رأس شعراء العراق خاصة والوطن العربي عامة . ونحن ما علينا الا ان نقول بعد قول الدكتور مصطفى جمال الدين في شاعر التجديد الاستاذ صالح الجعفري".

ولكننا نطوي صفحة البيئة النجفية الادبية التي اطلعنا اياها مقالة جمال الدين النقية لنفتح صفحة جديدة تخص الاستاذ الجعفري اعلاه، تلك هي بيئة اسرته الكريمة وما تركته من اثر على ادبه وشعره عامة ولنعد قليلا واكثر من الشيخ جعفر المحبوبة في الحديث عن الاسر النجفية القديمة فاسمعه يقول: (آل كاشف الغطاء من اسر العلم ودوحة من دوحات الفضل ومجموعة من اغصان الكمال والادب ام زعامة من زعامات الروحية والزعامة، قام عمدة هذه الاسرة في النجف اوائل القرن الثاني عشر شخص عرف باسم مؤسسها (كاشف الغطاء) جدها الكبير الشيخ جعفر كما سيأتي ذكره . وقد طبقت شهرتها الآفاق وسار ذكرها وانتشر صيتها في عموم الاقطار وهي من الاسر التي تقدمت في العلوم الروحية وسبقت في الورع والزهد والعبادة، خدمت العلم والدين خدمات جليلة سجلها لهم التاريخ بأقلام الاكبار والافتخار على صفحات ذهبية ناصعة ساطعة وهي مائة مشرقة للمجد لم تزل مشرقة مشهورة ، نبغ من هذه الاسرة رجال حازوا اعلى مراتب الزعامة وارتقوا ارقى مراقي الرياسة حكمت اقلامهم على ارباب الملوك وحكمت عمائمهم على تيجان السلاطين الصيد وملوك العصر. فهم علماء وقادة ومصلحون وسادة فيهم تفتخر مناصب العلم وتزهو وتسمو مناصب التدريس والتعليم، فهم مؤسسون في العلوم الروحية وسابقون في حلبات القضايا الروحية ولم يزل العلم والتحقيق بهم الكبير

(١) ص ـ ١١ في ديوان الجعفري

ثم نشأت تتوارثه الخلف عن السلف والابناء عن الآباء وفي كل عصر يتصدرها
رجال العلم وارباب الفضيلة، وهي اسرة بيت عصمة في العروبة عريقة
في الشرف معروفة في الولاء لقدم ايمان التشيع ترجع الى قبيلة
بني مالك - مالك الاشتر رحمه الله - وهي قبيلة مشهورة معروفة ذات
فروع وافخاذ كثيرة منتشرة في الاوسط وجنوب من سائر المناطق وهم من
احد فروع هذه الدوحة لا آل راجي - بكسر الجيم - ومن احد افخاذ هذا
الفرع لا آل صباح» ومنهم الزعامة من قديم العصر حتى اليوم، نزحوا الى
النجف من احد عشائر الحلة في ناحية «القاسمية» ولهم الشأن و
الاعتبار والسمعة والافتخار ولهم اراضي زراعية يتناقلها البعض بلا تحديد
وادل شاهد على النجف هو الشيخ جعفر بن يحيى بن جعفر ابن سيف الدين الآلاتي
وقد مر ذكره مفصلاً في الجزء الثاني ص ٢٠٢ في آل الخضري .... الخ (١)
تلك اسرة الكاتب الغطاء ولكم شبل العربي الوضاح وقد ترجم لسلالة النجف
الاشرف الشيخ جعفر المحبوبة وهو العالم الفاضل والعلامة المحقق والباحثة وقد
اطلعنا على مكانة اسرة الكاتب وعن روحها العلمية والادبية والثقافية
وما سجل القدماء تراجم و تراجم رجالاتها وعلمائها وفقهائها طول فترة
من الزمن ومشايخنا الاستاذ الشيخ صالح الجعفري واحد من اعلام كربلاء
الفكر ومن برز كبار ادبائها وشعرائها الذين تعتز بهم النجف الاشرف بل
العراق، شأن التجديد والواقعية والانسانية والتقدم ومحاربة التخلف
والاستعمار واعداء الوطن والامة، وقد ولد احفاد تلك الاسرة و
نشأوا وترعرعوا في اوساطها وبين اباءهم وهنا نشأوا وعاشوا في ربوع منابرها
ودواوينها ومجالسها، فهم ولدوا العلم وربيبه ابناً عن جد، رحمك الله يا ابا
رياض عرفناك فيك التواضع كما عرفنا فيك الجد والاجتهاد ومحبة طلابك
لقد كنت ترعاهم وكأنهم فلذات كبدك، لا فرق عندك بينهم وبين اولادك
وقد خرجتهم اساتذة واطباء ومحامين وادباء وكتاباً وشعراء، نعم كنت لنا
لا نبال من رجالات النجف علماً وتقوى وادباً واخلاقاً ... والذي
نعرفه ان النجف قد ملكت بكثير من الاكابر والتقدير والتبجيل من الاخ
حياتك الملوءة علماً وادباً وجهاداً او بعد مماتك فما زالت ذكرياتك
على شفاه المتكلمين وعلى ألسن الذاكرين والعارفين فضلك ومكانتك

---

١ - ص ١٢٦ و ١٢٧ ج ماضي النجف وحاضرها - محبوبة

والآن يجدر بنا التطرق الى قول الجعفري في ديوانه، ديوان شعره ومجده ماديه لنختار من شاعر القمم وشاعر المجد قصيدة تقدم بها الجعفري شاعرا عبقريا خلد المعلقات العربية بشكل حروف من ناطق، فاليك قصيدته التي القاها في حفل تكريم المعلم الذي اقامته نقابة المعلمين في النجف بتاريخ ١٧/ ١٢/ ١٩٧٤ م الادبية المنشورة في ديوان شعره.

١- أيريد الاولى يسمون للمجد سلما   بانك كنت الباني المتقدما
٢- تؤدي على مر العصور رسالة   اعز على معنى الحياة واكرما
٣- فهل كان ملك الشرق متعلما   صدقة صدق الاخلاق ام كنت منهما
٤- تحير اذا شاهدت من كنت تيتمي   مثلا انى لمست تعلما وشما
٥- وتقبس البشرى لدى كل لابق   تعهدته بالعطف واللطف مرحما
٦- وتطرب للشعر البليغ يصوغه   ربيبك حتى لو تحداك مفحما
٧- ومن يهب الاجيال من نور عينه   يعش مطمئنا راضي النفس بالعمى (١)

في هذا المقطع يرينا الجعفري صورة الاجداد المعلم منها ما يعلمك بانه السلم الذي يرتقيه بناة المجد، ومنها ما يعلمك بانه صاحب الرسالة الابدية السرمدية التي تحقق للأعز الحياة الكريمة النبيلة، وصورة تتساءل عن جوهر المعلم هل هو في علاقته الاجيال مثل النيرات الشمس والقمر ام هو منهما؟ وصورة رائعة تثبت بان المعلم يفرح ويسعد عندما يشاهد الجيل الذي يبنيه قد نما وترعرع وان كان ذلك على حساب ضعف المعلم وهرمه وعلو سنه. اما الصورة الادبية للمعلم بانه يطرب عند سماعه الشعر الذي يصوغ تراكيبه ويشد قوافيه ربيبه حتى لو كان الامر تحديا للمعلم او افحاما له والصورة الاخيرة تعلمنا ان المعلم الذي يهب نور عينيه للاجيال الصاعدة كثيرا ما يكون مطمئنا في عيشه راضيا بفقدان نور بصره وهو اقل شيء عنده.

ذلكم كان المقطع الاول، اما المقطع الثاني فهذه صوره

- حفظتني ومهدت ارضتني من لوثتي   فاصبحت لي من بعد جيلين توأما
- يقر لعيني ان وجدتك قدوة   الى الحق تأبى ان يلاك فيرغما
- وعند اختلاف الدرب خير هداية   وعند اتفاق الرأي سيفا ومعصما
- ومن لمعة اشبال الكرامة حرية   ومن صد انذال النخاسة مخذما

١- صـ ... في ديوان الجعفري

١٢ ويجلو عيون المتعبين منيّة ... ويحرق نفوس الظالمين جحيما (١)

• • •

ما الذي عرضه المقطع الثاني من صور ترسم لنا عبقرية الجعفري الادبية تأمل صورة تطالعنا ان شاعرنا المعلم الاستاذ صالح الجعفري عندما تحدث في النص الى درجة أصبح فيها لا صفيه)) معلما بل شاعرا بل شريكا في سعة الجعفري للبناء والطلاب وذلك بعد جيلين من الزمن. وفي الصورة الثانية يعلن الجعفري ثورة عنيفة لوجود ذلك الطالب الحقيد يدعو الى الحقد وأبى ان يخضع الى الظالم ليؤكد على قتل الظالمين. وفي الصورة الثالثة صور المعلم الجديد لا تؤلمه انه يجهد آتية عندما يختلف الدرب ولكن عندما تتفق الآراء يكون سيفا وحمى. اما في الصورة الرابعة فيصور حقده المعلم الجديد — طالبه سيفا — يجذ من صدور الاعداء ويكشف اشباه الجواسيس. اما في الصورة الخامسة فالمعلم الذي يلمع في عيون المتعبين هنا الدعوة للوطن ولكنه يحرق نفوس الظالمين جحيم.

وفي المقطع الثالث يقول الجعفري:

يؤكد صدقي انني رأيتك صامدًا ... طوال الليالي لن تكل وتسأما
تحدت من الليل البهيم مؤانسًا ... ومن جنبات البيت ركنا معتما
دؤوبًا على تقويم ما اعوج ناسيا ... حواليك معوج الفقار مهدما
تخطط في الاوراق تنقض بعضا ... فتصغي الى صوت الضمير محكما
فكم غلطة عاقبتها بنصيحة ... وكم صفوة أعرضت عنها تكرما
تعد نشار الجيل صخرا متينة ... وترشيا باطراف الثياب ممزقا
يشوقك من بين الغاشات ان ترى ... ثيابا ممزقة ولكنا مرمما (٢)

ان الصورة الاولى في المقطع المذكور تريك المعلم الجديد مجدا مجتهدا دؤوبا على التحصيل طوال الليل لا يكل ولا يسأم. وفي الصورة الثانية نرى ذلك المعلم يؤنسه الليل البهيم وقد اتخذ من جنبات البيت ركنا معتما يواصل الجلوس فيه للدرس والمطالعة. اما في الصورة الرابعة فالمعلم يخط باوراقه ودفاتره بقلم يبقى وينقض البعض الآخر محكما اياها بصوت ضميره العادل وهو الفيصل وهو الحكم. اما الصورة الخامسة فمعلمنا يصحح اغلاط طلابه حاملا بيده لهم من نصائح اما صفواتهم فيعرض عنها تكرما وكانها لم تحدث. وفي الصورة السادسة ترينا ثياب المعلم الملطخة بالحبر وتارة

١ـ ص ١٥ ج ديوان الجعفري ج ٢ صلاة المدرسة

وكانوا رجالاً ونساءً، وصابع صورة لهذا المعلم يراهاني بين الفتيات ثيابًا معلاة بالعشب وكلنا عيونها الوشم الذي يكثر في أكف الفاتنات ويواصل الجعفري يصف بيته الفلة رسم الصور الجمالية لنشأة المعلم. فاسمعه ماذا يقول في المقطع الرابع:

٢٠- وأسعدني ابني شهدتك ثانيًا نشيد فلسطين الجريحة بالدما
٢١- توزعه بين الصغار موقعًا بألحان أصوات الرصاص منغما
٢٢- ورأيت من الإيضاح خير وسيلة تعلمهم معنى الفداء مجسما
٢٣- فكم لاجئ منهم عملت وخندق حفرت وكم أنشأت فيهم مخيما
٢٤- فعلمتهم أن الثوار إذا التقى تلقى فكان اللاعب المتضرما
٢٥- وأن ضلال الرمل أعنف سطوة وأصرع إذا ما ضاق الحال بأرضها
٢٦- وأن المفاتيح الصغار كفيلة بأن تفتح الأبواب للشعب كلما (١)

• • •

وفي هذا المقطع يبرز لنا الجعفري صورًا أخرى لشخصية المعلم فيقول إنه سعيد بشاهد حفيده يلقن طلابه نشيد فلسطين الجريحة. وإنه يوزع هذا النشيد بين طلابه الصغار موقعًا بألحان أصوات رصاص معركة تحرير فلسطين. وأن من وسائل إيضاحه أن يعلم المعلم الجديد طلابه معنى الفداء بوسائل تجسد البطل والتضحية، لذا ينبغي عليك أيها المعلم الناشئ أن تحفر الخنادق وأن تنشئ المخيمات وأن توزع على طلابك معنى أيام اللاجئين لأنهم لا ينسوا فلسطين وأهلها وحرمتها. وتعلمهم معنى الحرب ومعنى التحرير وتقول لهم أن هم الرجال أعنف سطوة إذا ما ضاق الحال بالدار والجار. وأن هؤلاء الطلاب الصغار هم مفاتيح لأبواب النصر الكبيرة،

ثم يعرج الجعفري إلى المقطع الخامس من قصيدته فيقول:

٢٧- أخي بالذي أولاك بعض صفاته وما كنت لولا فيض هذي لتعلما
٢٨- صل اليوم بالأمس البعيد لا تضع تراثك عن مجد وعقد تقدما
٢٩- فما حفظ التاريخ مثل معمر أشاد على الأساس مجدًا فأحكما
٣٠- وما نسي التاريخ مثل مقامر من دون أن يرعى الأساس فهدما
٣١- هذا الأمل ما سعدت نفوس كريمة عليه يرف حبًا ولو نام مطعما
٣٢- وبالأمس جربت الثمار فلم أجد على كثرة الأشجار إلا المطعما (٢)

والآن إلى هذا المقطع الذي يواصل فيه الجعفري إصدار صور

١- مجلة في نفس المصدر ٢- مجلة في نفس المصدر

العلم الذي امسى كما تقول وذكرناه سابقا مقيدا ومجهولا وتركه بعد ان كان مالكا والصورة في هذا المقطع ترينا الشاعر الجواهري واثقا الاثر طالبه القديم يدل عليه بعض تجاربه وخالجه تفاؤله فيقول:

يا ايها العلم الجديد اقسم عليك بالله العلي القدير الذي اولاك بعض صفاته بل اشرفها وهي صفة العلم، هنا انما الصفات السمع والبصر والتدبير ... الخ هذه الصفات التي لا اعلم لا اقول انما استطعت ان تعلم قط، وبعد هذا القسم وتلك الاشارات يطلب الجواهري من العلم الجديد ان يحل اليوم الامس وان لا يقتنع تراثه متحكما او حاقدا لان في ذلك الندامة، والتاريخ يشهد انه ما حفظ مثل مصر اثار على ما تركه الماضي أحجارا ومقبرة محكمة، والتاريخ كذلك ما يبنى الا العلم الذي يبني الاساس ولا يربط بين الحاضر والماضي والمستقبل، فبناؤه مرجان ما يهدم ويتداعى.

ثم يصف الجواهري ذلك العلم الجديد فيتطلع له هذا الامل وبما يحدث منه كأكرمة طيبة تطلع حبا ولونا وطعاما، ويقول له استمد من تجاربي لاني جربت جميع الثمار من كل الاشجار، ثم اجد الاكل الطيب من ثمر الشجر المطعم الذي بني الجديد على اسس الماضي القديم.

اي واصل يومه بأمسه.

ويعقد هنا الجواهري بعد ذلك المقطع الخامس يشرع بتقديم مقطع خريدته السادس فيقول:

٣٣- وريثنا حضارات العروش فلا تُسِم ... بوجهك عن احيائهن تبرما

٣٤- مشينا وجاز الدرب ترجف خلفنا ... قصير الخطى يقتصنا مترسما

٣٥- سبقناه ما كنا لنجهل أنه ... سيجدي يوما فضلنا والتقدما

٣٦- فيلبس منا الرأس والعقل والرؤى ... ويرفض منا الختم والرقم والدمى

٣٧- ويبقى لنا ما خبه فيرتقي ... بعزمه وادي الرافدين الى السما

٣٨- وتزعم انا نجي الغناء للتي ... ورثنا ليبقى مثلما كان قيما

٣٩- ويجلي علينا كل يوم رسيسه ... تروض من أحلامنا ما تقدما

٤٠- ويدفع فينا حاره صوت يديه ... بأنا قديد وهو من طين آدما

٤١- وما نحن إلا هكذا مثاله ... ولولاه يحكي الخنفساء نجمها (١)

• • •

هنا هو المقطع ما قبل الاخير يعرض فيه الجواهري اشارات الى الحضارات التي

١- ج١، ص١٧، في نفس المصدر

وورثنا العراق مع الأكاسرة من بقايا سومرية او كلدانية او بابلية او غيرها
ثم يشير معلمه الجديد الى رسائل الغرب وما كان عليه من تخلف ... الى
ما انتهت اليه. الجعفري يطلب من المعلم الا يشيح بوجهه عن احياء الحضارات
التي ورثناها فيقول له اننا كنا في تقدم وازدهار وتفوق وكان الغرب على
العكس بين خلفنا خطا قصيرة واليوم فإن الغرب الذي تعلم منا قد
سبقنا في الحضارة وخلفنا في التقدم ونحن نعتقد انه سيعيد فضلنا
عليه في يوم ما وذلك بعد ان يسلب منا كل شيء جاء في ذلك الرأس
والعقل والتطلعات ويسلب منا الخلاص ليستعبرنا ... الى
اعالي السماء بعلم وادعية الحضارة. كل ذلك يفعله الغرب ويزعم
باننا في القاع لما ورثناه من علم وصنعنا رقاعا ... القدر على تلك الحضارة
ومن هنا يستطيع ان يدس لنا في كل يوم دسيسة ويفتح لنا كل يوم مؤامرة
يفعل ذلك لالا نلحق بافكارنا ونواصل السير لتقدمنا ومن ثم يدفع
فينا الغرب علمه القديم في التأخر والتخلف ويدعي اننا ضعاف من
جنس لا القرود وانه هو وحده من جنس لا البشر وقد فعل كل ذلك
لانه وجدنا نقلد في كل شيء بدون تمحيص او تحقيق. ولاننا لم نربط حاضرنا
بماضينا ونحافظ على عاداتنا وتقاليدنا الاسلامية العربية الفاضلة الاصلية.
وبعد ذلك يختم الجعفري قصيدته العصماء بمقطعها السابع فيقول.

٤٢ـ تقدم وأصلح ما تشاء فاننا / بعثنا باصلاح المفاسد ملزما
٤٣ـ فما اكرم الاقلام الا معلم / تخطى بها حقل الوجود معلما
٤٤ـ تفتح لورود الصبح بيان واطلع / كأنك تستجلي تغزل المتيما
٤٥ـ ملئت الليالي عن عهدك ساهرا / لتفقو على ترصيع صوتي وتحلما
٤٦ـ فلا تجعل الاشواك أقرب منهم / فطفل العرب يشدو في حماك ترنما
٤٧ـ وقل لطفلك ذاب فيها وصدها / معلمك كان لم تكن بالعلم اعظما
٤٨ـ أصبحت مذهب وقاته تحت الدنا / جمالا لكم او ذرعت لكم مغنما
٤٩ـ خذي بعليك واصد الف نابغة / صحيح يبدد العلم الى الادما
٥٠ـ وتيرمي على الاملاك اجنحة السما / بدمينا فقد اجبت أنت معلما (١)

هنا هو المقطع الاخير لقصيدة ـ ه ـ ه ـ ه الجعفري العصماء يوصي المعلم
بان يتقدم ويصلح ما يشاء من الفساد لانه اداة لذلك الغرض. ويقول
ان المعلم هو الذي اكرم القلم وتخطى به الى حقل الوجود. ويقول الى المعلم

١ ـ ص ١٧ في نفس المصدر

تفتح لأبنائك ورود الصباح وأزاهير الكمائم التي تحتفي بزغردة البلابل
وأنا والدك الذي أفنيت الليالي ساهراً بجنب مهدك حتى تغفو على
ترجيع صوتي فتنام حالماً بأفق حلك وبعدك يقول السيد فيه
المعلم لا يحتمل الاشتراك في تقويم نفسي الذي يعقبني التعريض فيه
وهو الشديد فيها شفاف على حاجات الطلاب التي لا يعنيها القلب وهو المعلم
والوحيد الذي يبكيه تلك الطلوع التي رأيت نعادته وكأنها لم تكن
بالأمس مثلاً: أصبحتي تملك ثمرات القلب تملأ الدنيا جمالاً وروعة
الحنان والنفاء يا ملوك فذي بطيلة أحد الفتى حتى صعدنا في
يد المعلم والحب ولا الدعاء والحزن والدعاء وترتيبهم وإصغائي
على الأفلاك التي تجيش في السماء بدورها ما انت فقد انجبت
لا معلماً».

وهكذا ينهي الجمعري افتتاحية قصيدته الإلهامي العاطفي في المعلم
رحمه الله بالإبداع في كل حرف تستنطق الصحف والمجلات وفي كل حرف
طبعته تعاليم بصائرك المفاخر ومن كل محافظة القيروان في صفوف المدارس
الثانوية والمتوسطة في العقد وفي كل مناقشة وقراءة في جمعية الإلمام الأدبية
في العقد وفي كل وجهة نظر نقدية أو في حلقات الحوزة العلمية أو في المجالس
الأدبية التي كنت بأمسائها الحارة تطوف جميلاً مناسبة للمطارحات الشعرية
والأدبية لقد كنت مخلصاً للفن ومدينتك وتراثك وعن بلدك
والالتزام وقراء البيت المتعطش لا حلام والهدى والعلم والأدب
وها هنا نجد لنا أن نبادر منذ الان إلى معرفة أغراض الجمعري من تلك
القصيدة العصماء وبعد ذلك نعلق عليها لتستوفي البحث وخطوة
ومعانيه، والحمد لله رب العالمين.

إن أغراض الجمعري تتلخص بما يلي:

١ ـ إطراء المعلم بأنه الباني الأول لصرح العلم الشامخ وأنه صاحب رسالة عظيمة
حيث حقق الأمل والحب نبني الحياة.

ب ـ ان المعلم نبيل الأهداف يفرح لمساعدة طلابه ووصولهم إلى مقاعد ممتعة في درجات
العلم والمعرفة

ج ـ إبراز عواطف الشاعر إزاء أخيه المعلم وصديقه وتقديره وتكليله

د ـ الإطراء صفات المعلم لانشغاله في إصلاح الأخطار والتخلص من الأغلاط

والصفات التي تصدق طلابه .

هـ - اظهار الروح الوطنية والقومية والشعور بالانسانية لدى المعلم ومساهم
في بناء النشء الجديد .

و - وصايا شاعرنا الجعفري للمعلم بان يواصل السير رابطاً الماضي بالحاضر و
الحاضر بالمستقبل دونما التفات الى المآسي والعقبات .

ز - اظهار الامجاد والحضارات التي ورثها العراق من الحضارات القديمة
والمحافظة عليها وبناء الحضارة المستقبلية على اسسها .

ح - تحذير المعلم من التغريب الاستعماري ومانع الدسائس ومثير الاختلافات
ليجعلنا في دوامة من التخلف ولا يستطيع التدخل في شؤوننا الداخلية

ط - الطلب من المعلم ان يكون حريصاً على تلقين العلم واعطائه وان يميز
الصالح من الطالح .

تلك باختصار اغراض ثناء الاستاذ صالح الجعفري رحمه الله عليه
ولنا ان نشير لتلك الاغراض التعليق عليها .

ففي غرضه الاول يضع الجعفري يد الحقيقة عندما يعتبر المعلم هو الباني الاول
وهل هناك منصف يستطيع انكار ذلك . اذ ان مفاخر البشرية القديمة
والحديثة انما قامت على الاسس التي وضعها المعلم ولولا ذلك لما شاهدنا قادة
الجيوش الجرارة المحنكين والعلماء والادباء والاساتذة والقادة ، والى
غير ذلك هم عماد الحضارات ورواد تقدمها وسموها ولولا جهود المعلم و
رسالته الانسانية لما تسلق هؤلاء سلم المجد والعلم حتى القمة .

وفي الغرض الثاني تكمن الحقيقة ويتجلى الصدق لان المعلم حقيقة يتقدم
طلابه وهو عدوهم نحو المعرفة وقد علمنا ذلك بأم اعيننا وكم من عمل ذكره
ما تحدثنا سابقاً تذكرنا عنا وعن تجربتنا بانهم كانوا اساتذتنا وكنا طلابهم
وهذا مدعاة افتخار لنا ولهم والحمد لله رب العالمين .

اما الغرض الثالث فالجعفري يظهر لنا عواطفه النبيلة اتجاه زملائه المعلمين
واخوانه الطلاب المعلمين وهذه العواطف الجياشة تشاركه فيها جملة وتفصيلا .

والغرض الرابع يعلن فيه الجعفري بعض صفات المعلم نحو المعلم وهو
التغاضي عن الاخطاء في الملتقى للاغلاط التي قد يقوم بها بعض
المشاغبين من الطلاب ، وتلك امور عشناها كطلاب وشاهدنا الكثير منها
وعانى آباؤنا المعلمون الامرين في اصلاحها

وفي المقطع الخامس يحرص الجعفري على اظهار الروح الوطنية القومية
في شعور الملك وقيامه بتحرير نفوس الشرق الجديد ... الخ.
وفي المقطع السادس يقدم الشاعر الى الملك وصايا هي غاية في الاهمية
يوصيه بربط الماضي بالحاضر لاستكمال البناء العصري ويحرص على دروس التاريخ ثناءً.
اما المقطع السابع فالجعفري يفتخر بعرض نماذج من الحضارات الراقية
التي ورثها العراق من الشعوب القديمة التي سكنته وهذا ما يجعل محاولة بناء
الحضارة الجديدة سهلاً ميسوراً.
وفي المقطع الثامن يظهر الجعفري اهتمامه بتحذير الملك من الغرب
الاستعماري ودسائسه وينتقد خلافاتنا في شؤون حياتنا الداخلية وهذه
من الاسباب التي جعلتنا متخلفة عن ركب الرقي والتقدم ليرسل عليه ابتلاءنا
واهتمامه بحرياتنا، مع العلم لقد كان هو المتخلف وكنا نحن المتقدمون،
ولنا عليه فضل الهداية فيما نبه هو اليوم من حضارة راقية.
اما في المقطع التاسع وهو الاخير فالجعفري يطلب من الملك ان يشد من عزمه
ويواصل السير قدماً في رسالته النبيلة آخذاً بيد الشرق الجديد الى ما فيه
خيرهم واصلاحهم وسعادتهم
الى هنا يتوقف القلم عن تحبير ما يخص ابا ياس تغمده الله برحمته مع
محبيه والحمد لله رب العالمين.

الدكتور ابراهيم الوائلي

هو ابراهيم بن محمد بن عبد الحسن بن محمد بن حمود بن مطير بن مرهج بن
حاتم الوائلي. هكذا ذكر لي نسيبه ابن اخيه حسين بن جاسم الوائلي.
ولد عام … هـ
أما ترجمته فقد اغنانا عن البحث عنها والدخول فيما لا يعنينا ان ترجم لنفسه
في اوائل ديوانه الذي طبعته دار الرشيد للنشر سنة ١٩٨٠م ومرة
في سلسلة حلقات «من انا» التي يصدرها الاستاذ حميد المطبعي وكانت
الحلقة التي تخص شاعرنا الوائلي هي الحلقة «الثالثة والثلاثون». قال:
«قالوا لي هو يستعيد ذكرياته بين الصيف والسعف خفيف وأهيف
طالما تحدى العواصف والرياح العاتية، وقد شد الفقر طرفه الى
جذع نخلة على ضفة شط العرب ربما تكون قد هوت بفعل الشيخوخة
او اجتثت لتلقى في سقف كوخ او لتحرق في موقد قديم، وتعلق
طرفه الآخر ببيت بسيط عاصر من اطيار بغداد، وبين تلك النخلة
النائية وهذا البيت البسيط انسان لا يدري كيف ولد وعاش، وكيف
نام وسافر، وتعلم وعلم ونظم وكتب وخاصم وكاتب وجامل وحورب
ثم انتهى به المطاف الى الا التقاعد والا رفيق له سوى الكتاب
والقلم وعينين تشكوان الكلال، وسوى بعض المشفقين من اصدقائه
وطلابه يزورونه حين تواتيهم الزيارة، وتقاعد الدوار يتناول
وهو راجع لا يعرج على القبر، فهو وعشرون نخلة العمر تقاسما
مع ابويه واخوته واسرته بين ريف البصرة حيث يقيم اخواله الفلاحون
وبين الغبشة حيث تقيم بعض اعمامه واسرته، وله في ريف العراق و
على ضفاف انهاره الهادئة ذكريات تعود عهد الصبا والشباب فكم تناول اقداح
الشاي ومناجين القهوة واكل خبز الحنطة والشعير والدخن مع
الفلاحين، وكم رأى عمه وجده الشيخ الفقيه يدعو له بالرحمة والرضوان
وهو يسأله في النحو والاعراب والفقه، عاش في البصرة مع الجيل
من الفلاحين وعرف في الغبشة كيف يصارع الاديب والعالم مرارة البؤس
والفقر الى جانب فئة قليلة من ذوي اليسار، كان في الغبشة و
في البصرة رفيق والده وعلى يديه تلقى دروس النحو والمنطق و

الأصول والبيان والنقد، وفي النجف تنقل حيث تنتظم حلقات البحث
وحيث المحافل والمجالس العامرة و(الرابطة الأدبية) و(منتدى النشر)
ومندوبه جريدة (الزمن) ثم (الاتحاد) و(الاعتدال) و(العرب)
وكانت ندوة (الاتحاد) أصفى الندوات الصحافية بالأدباء والشعراء
والكتاب، وفي النجف ورث العبقرية من نظم الشعر وكان ينشد شعره
بنفسه في محافل الأفراح والأحزان في النجف وينشر منه في الصحف ولا سيما
(الاتحاد) ما يستحسن نشره. وحين شد رحلة العمر في بغداد لتدريس
اللغة العربية في بعض الثانويات الأهلية حيث منح إجازة كلية دار العلوم
جامعة القاهرة) وكانت تسمى (جامعة فؤاد) وقد التحق بالدراسة
العالية والعليا، وهناك التقى بمجموعة من الأساتذة الكبار في
حقل التراث العربي فهم يحملون مشاعل المعرفة مع رعاية صدر
أبوية ما ربيته تأخذ وتعطي وتسمع وتشجع وتشارك الطلبة في
مخططهم ومرشاهم نذكر منهم مع حفظ الألقاب: إبراهيم أنيس وإبراهيم
اللبان وإبراهيم مصطفى (صاحب إحياء النحو العربي) وأحمد حسونة وحامد
عبد القادر وزكي مبارك والساعي بيومي وعباس حسن (النحو الوافي)
وعبد الحميد حسن، ومن جميلهم مناظر تحضرنا أسماؤهم، أسبغ الله رضوانه عليهم
انشأ شعراً منهم وفاضت ما السدوه من شرح وتأصيل للتراث العربي الإسلامي
ثم عاد إلى بغداد للتدريس في الإعدادية المركزية ثم قام برحلة إلى القاهرة
واستمر ستة أشهر لإتمام مرحلة دراسته وعاد إلى التدريس في الإعدادية
المركزية، ثم انتقل إلى التدريس في (كلية الآداب) جامعة بغداد بين سنة
(١٩٥٥-١٩٨٥) وأشرف على رسائل الماجستير والدكتوراه وناقش
الكثير من الرسائل وما صنع قسم الدراسات العليا، وحاضر في الجامعة
المستنصرية (كلية التربية) و(كلية أصول الدين) و(كلية الشريعة)
و(معهد اللغات) وطبع من تأليفه اللطاف بعض الآثار من كتب وبحوث
وشعر بلغت عشرين كتاباً، وكان معتزاً بعلو ذكرياته في الحياة السياسية
فهو ممن شارك في ثورة مايس ١٩٤١م فقد انشد قصيدته في دار الإذاعة
ببغداد في اليوم الأول مجد فيها الثورة والعراق وندد بالإنكليز وكرمه
ثورة العشرين وابطالها الأباة انتظم في (كتائب الشباب) مع أخواله
وكان يلتقون صباح كل يوم في مكتب الوزير الثائر الشهيد يونس

الثاني: أخر الجزء تقع في قصيدة نائية تعريف ولكن مصدرية في الحمامي
من الديوان . وقد التقيت به في الهيئة المؤسسة لجمعية الرابطة الأدبية الى الغرب
للشريف مثل التقاطه من دوي مدينة البوتين الشهيد واحواله في ربوع
مثل مكة ونحو ما قراءة جمعية الرابطة الأدبية) بتلك الاطار والمذكورة
التي دامت ثلاثة أيام ومجمسا شعر الشعراء التي استمرت أثناءها طيلة تلك
الأيام الثلاثة . وقد صدر له احتفالهم وبلدة بموزي السعيد سنة
١٩٤٢م مع الجريدة الكبيرة التي احتفلت بعيدها نذر بالنقل من الدرس
في الاعدادية الأهلية التي اتخذها صوراحمد احوالته مقرا للمؤسسين لكتلة
الشباب) قلت له: لقد طلبت فمن أنت؟ قال: انا الاستاذ... كما
قال الشاعر الكبير الشبيبي.

انا في العمر تطرقه او يجفو ... منذ ما شاء تطرقه في العذاب
انا شاء يقال له: ابراهيم الوائلي»

تلك ترجمة شاعرنا الوائلي نطق بها لنا ثم كتبها سائله الاستاذ حميد المطبعي
من الكاتب المسلسلة التي ولد في احضانها وتفتحت عيناه على بيوتها
أسرة عربية صميمة تنتمي الى بني وائل ومالك القديم في العراق والجزيرة
العربية فتنتشر في الصحارى والارياف والمدن واسرته يقال لها «آل الحاج»
وجدهم هذا الشاعر «الرابع» وهو الذي جاء الى النجف الأشرف
من البصرة لطلب العلم ، ومنذ الزمن لم يعد «الحاج» شيخا وانما أصبح
اسرة لها شأنها ولا عدد لها سواء في البصرة او في النجف الاشرف .
وكان عميد الأسرة العلمية الادبية المعروفة خرجت الكثير من العلماء
الفقهاء والاساتذة والمطلقين والتي معروفة بالعقل معروفة بالكناية
حتى كان يحمل المطلوب في الشاعر ولد في الوسط العلمي وعلى يدي
والده أخذ الكثير من العلم ، الفقه الاصول ، النحو ، وقد تحدث عن ذلك
في ترجمته التي سلفنا ذكرها . فالوائلي ابراهيم سليل علم وأدب وعقل ومعرفة
وطبيعي ان تكون نشوءه بكرا مكا شأنه في ذلك شأن اترابه . ومعنى ذلك
ان يجاهد وما غالب ان استطاع ان يحرز الملاعب ويتخطى العقبات حتى رقى
في سلم العلم ودرجات المعرفة ودرجة «الاستاذية» في الجامعات المرموقة فهو
مفخرة من مفاخر النجف وبغداد والبصرة والعراق والقاهرة رحمه الله التي
الله أنس مجالسه وكنا نلتقي وإياه «مقهى الرشيد» في شارع الرشيد

يبقى وهاهو الآن يترسم صورته الماضي وكأنه حبيب رحل مفقود فيها من الأسى والتطريز يحاربه مقابله الذي يفوح فيه أخرى وهو الأستاذ أبو بيان الشيخ علي الخاقاني صاحب موسوعة شعراء الغري وكثيراً ما أتطفل عليها عندما يكون التطفل له دفق مليح.

عفواً سيدي القارئ الكريم أخرجتني الذكريات عن صلب الموضوع.

إن الوائلي بالنسبة إلى تسلسل أجيال شعراء النجف الأشرف يأتي في الجيل المحصور بين الرابع والخامس، ومن هنا نراه في جمع شعره الذي ضمه ديوانه الأول وديوانه الثاني يحذو أبكار الكلمة من معنى وإيجاز بحيث أن أطلق عليه تسمية فإني أرغب أن أسميه (شاعر الطبيعة) لأني وجدته بارعاً جداً في وصف الطبيعة حتى أنه يقدم للقارئ صوراً ناطقة حية معبرة مثيرة تمثل في الذهن الغائب عن المشاهدة.

بعد تلك المقدمة عن الشاعر نشأة وبيئة وشخصية وأسرة لابد من تناول شعره وتحليله واستخراج أغراضه من تأمل الصورة الشاعرية لإبراهيم الوائلي تماماً

في مرابع لبنان

- من سحر لبنان لا من وحي شيطاني	رقصت بين ظلال الأرز ألحاني
- يا فتنة سحر الوادي لها وصفت	مواكب الحسن في زهو وريعان
- وقفت والخاطرات السمر قد حدبت	على المروج بأطياف وألوان
- أدبت شعري في نجواك أغنية	قد صغتها بعبير منك ندياني
- لبنان والليل فتان ويستارى	على سفوحك للآفاق فتان
- هذي الطبيعة أم تهويمة خطرت	وموطن السحر أم أحلام وسنان
- مواكب الغيد والأضواء ساطعة	تنساب ما بين أفياء وأغصان
- وهمهمات الدجى مل منعطف	لحن تدفق من أوتار فنان
- سحر تذوب ظلال السحر تائهة	في جفنه وهي في أحلام يقظان
- قالوا: هو الصيف في لبنان قلت لهم:	كل المواسم تفدي صيف لبنان
- شكت حموز الأيدي على شفة	ولا يرشف بأذيال وأردان
- وجئت انشد الفردوس يحملني	من الأديم الشوق والفاجناماني
- حتى نزلت بحيث النبع منسجم	وحيث جم الغنى والظل ميان
- أقول والليل حتى مطارفه	ألملكوا أني في لبنان فعلاني (١)

١ـ ص٢٢٩ ، ٢٣٠ في ديوان الوائلي • • •

يطالعنا هذه الخريدة العصماء يخاطب الوائلي لبنان (دنيا الجمال والطبيعة) فيقول له ان الحائف اذا حقق احلامه بفعل سحر فتنات وجمال طبيعتك لا يغفل شيطان شعري. ثم يصف جمال لبنان بانه فتنة يستحي الحاسد لبنان الجميل وتستهوي الامواكب الحسن التي ترقص في رياض منظرها من بين جمال ويصف الشاعر وقفته له بين الجبال الحافة للوادي بحيرها التي تلفت المروج والمزارع بالوان من الطيبات. وتقف ليليحب شعره مع ما فيها كأنها أغنية مضمخة بعبير زهور لبنان واشجارها. ثم يصف الشاعر الحب لليل لبنان فيقول ان سفوح جبال يلفها الليل الفتان فهل تلك هي الطبيعة؟ ام انها طيف خيال، او هل ذلك هو السحر ام احلام وسنان. ثم يصف الشاعر مواكب الغيد تنساب مابين الاضواء الساطعة والانغام واغصان الاشجار ويصف الليل الظلام بان له نجمات في كل حدب تراها في السامرين وكأنها الحان تتدفق من اوتار عود فنان ملهم. ويصف سحر ليالي لبنان بانه فيها تذوب ظلال السحر الحقيقي وكأنها في احلام اليقظة. ثم يفرح الشاعر بان الناس يقولون هكذا هو الصيف في لبنان فقال لهم الشاعر ان كل المواسم الشتاء والربيع والخريف كلها فداء للصيف لبنان وما انذاك في العراق بين (لا تموز) لا تسمع من يشكو عليه ولا تتحمله به النفوس ولا يعين به أحد علمًا بانه هو الآخر موسم صيف؟! فالشاعر فالمقدم الى لبنان يستمتع الجمال على خيره شفقة الاعين وتقبل طريقة وكأنها الجنات اللذات على من تموز (صيف) العراق الى (صيف) لبنان. فنزله في وسط الاشجار حيث ظلال ونسيم النسمي في برودة الطقس والهدوء. ثم ينهي الوائلي هذا المقطع بأن مطارف الليل صنعتها شدة البرد فهل تصدق الناس في لبنان فصلان واحد في الشتاء وآخر في الصيف.

والآن الى المقطع الثاني من خريدة الوائلي:

دنيا الهناء يا لبنان جنتنا — ترقص بكل وريف الظل فينان
ومقلة كالزهر في جفن رشيقة — منهلة كالندى في ثغر وسنان
تعانق الشوق ملتفًا على قمم — خضر وأغفى على الطيبات ندمان
وكم على شرفة الوادي صور — تمايلت بين غلبين وحوذان
وللخمائل الغناء قد شكلته — على الربى وتلاقت فوق كثبان

صايلة الروض كنا على شفة — وهمهمة بين اضلاع واهداب

٣

يزهو على جبال الأفق مؤتلقا   كأن الجنادب للإصباح كهان
تجاوبت في الدجى يهفو لنغمتها   على الصنوبر في صمت وإرنان
من شاعر رفّ إنشاداً وشاعرة   لم تتوشح بتفاعيل وأوزان (١)

• • •

ويستمر شاعر الطبيعة الوائلي يصف لبنان ومظاهر جماله فيقول إنه دنيا المفاتن إشارة إلى كثرة ألوانه الجنة تجتمع له روابيه وأزهاره وكلها ترصعت بالظلال الوارفة، وفي هذه البقاع الجميلة تجد الهوى والحب ملحنا على كل شفة ناطقة وتراه يخفق بين أضلاع الشباب وأعماق القلب، وتجد ذلك الحب والهوى وكأنه قبلة الفجر في أجفان الورود أو تجده زهرة كقطرة الندى في ثغر الفاتنات المتبسم. ثم يصف الأشجار فهذا السرو والصنوبر بديمومة الخضرة قد تعانقت بعضها مع البعض الآخر وهي ترتفع في الأعالي حتى استوت على قمم الجبال الخضر وعانقت أغصانها وكأنها ملكات سعيدة، وذلك الصنوبر على كل مرتفع وادعة ترصد وتتمايل أمام الخمائل بالأزهار المتكئة على الربى وقد تلألأت سفوح كثبان الجبال وتلك المظاهر كلها تغني بألحان عذبة يتجاوب بها بعض في صمت وكل يرنو إلى الأخرى شوقه ولهفته، فهذا شاعر قد رتل إنشاده وتلك شاعرة لم تتشح بالتفاعيل ولم تتوشح بالأوزان. ويستمر الوائلي في وصف الطبيعة في لبنان فيقول:

يا صفحة لبنان هدتني فلي كبد   أذابها بين هامات ووديان
رقت سفوحك وازدانت مرابعها   فعارضت سفحها في جري غدران
تشاكل الأفق والأوديه فامتزجا   كأنها أول والأول الثاني
والشهب في رفرف الأضواء قد سبحت   كأنها الطير في أمواج غدران
تصفو وتمرح نشوى في مفاتنها   على بساط من الفردوس نشوان
لم أدر ما هي الشيرين أرخت به   دنيا المفاتن أم جنات رضوان؟
وأي شهر ربيع كله يتبعني   آب المصيف أم الطافح نيسان ؟ (٢)

• • •

في المقطع المذكور يخاطب الشاعر صفحة لبنان لما كانت الحديث لأنها كبد ترابها بين الوديان وقمم الجبال فهذه سفوحك قد رقت وهذه مرتفعات فيها جري غدران، وتلك النجوم كأنها سابحة في ... الأنوار الساطعة كأنها

١- شعلة ص ٢٤٢ في ديوان الوائلي - ج١ ص ٢٤٤ في ديوان الوائلي

الطيور المرفرفة فوق أمواج الغدران، تلك الطيور التي مالت تعفو وترح على الأرض الخضراء التي تشبه البساط منقطة الألوان، ويقول أشاعر أنا لم أو لا شاعر حبست في عالم المفاتن الجميلة أم هناك يصفون الخلاء. ما كيف شعر يبعث مثل شعر الشاعر بالعطرات أعطرتها كلها أم شوقيات؟

ثم يسترسل الأمكي في وصفه فيقول:

- وليل بيروت والأضواء راقصة — تختال ما بين أمواج وشطآن
- شاطئ فتنت لمرآها الأضواء تنثرت — على الرمال يواقيت ومرجان
- واستقطرت من نسيم البحر رقته — وصلا بين أعطاف وأحضان
- ليل من السحر قد رقت مراشفه — لكل مضطرم الأنفاس ظمآن
- سجا وشمر عطفيه بها وحنت — كف الطبيعة من إيمان الزمان
- وقد تعرت شفيف من مفاتنه — فما لكاسي على الشطآن عريان
- تعانقت فوقه موج البحر ساجية — أطيافه وتوارت بين خلجان
- في كل زاوية منها ومن قد اتقنت — بجعلها من شباب الحب ولهان
- تناجيا ما غرد بالبحر ملتعت — أمواجه يحضنها الصبيان (١)

● ● ●

وفي المقطع المذكور يأخذنا خيال الأمكي الحر في بيروت المتعشي ليلا والأضواء الراقصة كأنها غادة تختال بين أمواج وشطآن، وحيث تساقطت الأضواء على المياه بألوانها المكسرة بينما الأضواء الساقطة على الرمال كأنها ياقوت ومرجان تلك الأضواء التي استقطرت نسيم البحر الغض بين أعطاف وأحضان الشاطئ الواهب ذلك الليل الساحر الذي رقت مراشفه لأولئك الذين تضطرم نفوسهم من شدة الظمأ. فسجا وشمر كل منهم عطفيه ما وصفته كف الطبيعة منذ القدم ليل عاري حتى شفت مفاتنه على حقيقته وعلى شطآنه تعالى الكؤوس بين الأحباب ووجوه أطيافه متعانقة وهي ساجية فوق أمواج البحر وقد توارت بين خلجان البحر الجميلة، فقد ملأت الزوايا بالشباب المغرم من كل حدب وكل شاطئ وشاطئه يتناجيان فيسمعها البحر فتندفع أمواجه نحوها لتزيدهما صبابة وشوقا.

ثم يعود الأمكي إلى مخاطبة لبنان فيقول:

- يا موطن الخلد إني قد نزلت هنا — على ربوعك من أفياء غسان
- شوق الليل حولي وأشتم عبقًا — ما بين مختصر مثل زاه وريان
- لا طاب عيش الهوى إلا على عرشه — دنيا تحييها نسرين وريحان

١ - ص ٢٢٢ في ديوان الأمكي

سوى "الشوير" استوقفت شامخة — هل لي تعطف برأسه همة جذلان

- وصفت شعري للأصقاع ناعمة — فيما وصفت سوى روحي ووجداني
- وما شكت على "الشاغور" ليلتنا — في سفحه الشلال دمع حيران
- مضى يجدد لي محون معارفه — كأنه يحتويه أيام وخلان
- وصنين "مالوحة" وهي المطارف لنا — يصيح في ظل أنسام وأفنان
- يا سامر الليل لا أدري أنت عبق — أحلامنا البيض أم في نجمه الداني (١)

• • •

ويستمر شاعرنا الوائلي في إطلاق العنان لخياله الخصب فيخاطب لبنان فيقول له يا موطن الخلد إني نازل في ربوعك ضيفا على أفياء الفتانين. ثم يعود الشاعر الى الليل وأنواره وأنه يتوان مرح وداه وريان وأن وادي "العرائش" يحييه بالنسيم والريحان وأن "الشوير" حين شامخة هل لي تعطف بكل رأسه وأنه وصف شعره للأصقاع الناعمة وأنه بذلك يصف روحه ووجدانه وأن له ليلة في "الشاغور" لا ينساها وأن الطفل البارد يجدد معارفه وكأنه قد أقبل على الشتاء ثم يصف صنين "مالوحة" ويصف مظاهره بأنه يموج في أنسام وأفنان. وأخيرا أن الشاعر يسامر الليل وهو لا يدري أهي حلم في أحلام الليل أم نجمه الداني.

ثم ينتقل الوائلي الى آخر مقطع من قصيدته فيقول:

يا موطن الشعر إن تحفل بما نطقت — فأنت والشعر يا لبنان صنوان
- دعني أبثك كم غنيت مضطرما — كأن قلبي في أحشاء بركان
- وكم نفثت وما تدري بمبتسم — فكم سكبت الأسى في كل جرعان
- وكم هتفت ولا انشاد يا جبلي — في الضفتين سوى شجو وعرفان
- واليوم عدت وفي شكواي معتقد — وما عتابي إلا فيض أشجان
- سفينة أنت في أمواج ملتطم — يكاد يغرق فيه الحب ربان
- قد جئتك وديار أنت متارك — سوى انشراح وجابت عقبان
- فلا تدع للمآسي فيك معتركا — ولا تضع بين أشباح ورهبان (٢)

في هذا المقطع الأخير من قصيدة الوائلي يخاطب الشاعر "لبنان" ويناديه بأنه موطن الشعر لأنه في جماله وما يحتويه ويكشف الشاعر عن لدى في الشعراء فيقول له إنه والشعر صنوان ويصفه عن لطف الشاعر وذلك إن تقبل أو تتقبلها ويقول له دعني أبثك عواطفي بأني كثيرا ما غنيت وأنا مضطرم كأني في

١- ص٢٢٢ في ديوان الوائلي، ص٢٢٤ في ديوان الوائلي

فعبر عن شوقه لايامه الحلوة التي قضاها في ربوع لبنان الشعر الشكري الأسى في ليل من الحرمان، وكم وكم حقق من الآمال بعد ما سبق تعريف وماضيه وحبه للانشاد، فيقول والسهم عدت ولكن في شكواه عتاب من فيض أحزانه، ثم يخاطب لبنان فيقول له انا ابنك ومنه «تشقى الطوائف والأمواج في القلوب» «في الوصف بعرف في هذه الامواج» «شبح الموت من الرعان» وتلك كناية عن الحروب الطائفية بين المسلمين والمسيحيين. فاشتدت بالثائر حرب بسبب الخصومات الدينية فلا تلك مما شاهد في ذلك المقرع البغيض.

وبعد ان فرغنا من تحليل قصيدة الشاعر حيدر بنا استخراج الأعلام التعليق عليها فنستطيع ان نختصر اغراض قصيدة الشاعر فيما يلي:

١ – وصف عام للطبيعة في لبنان، الجبال، الوديان، السفوح الربوع، الجبال ما البحر.
٢ – وصف عام للليل لبنان وليل بيروت خاصة
٣ – وصف تشابك وتشابك الاشجار على قمم الجبال والوديان والبحر والربوع.
٤ – وصف لعناق الاشجار والتفافها على قمم الجبال
٥ – وصف للطقس البارد في ليلة الصيف المتقلب الى شتاء
٦ – وصف لحركة المصطافين وعواطف الشباب وتجاوبهم مع الطبيعة
٧ – تسجيل لعواطف الشاعر نحو تلك المشاهد اللبنانية الجميلة
٨ – ذكر بعض الاماكن الجميلة في لبنان، وادي العرائش، الشويرا، الشاغور.
٩ – عتاب موجه على لبنان من اشقائه في الحروب الطائفية.

تلك اهم الاغراض التي سجلها عبقرية الشاعر في خريدته اللبنانية.

ففي الغرض الأول اطلعنا الشاعر لبنان أفكاره الفنان فراحت تنعت لنا جبال لبنان وجبالها وتصور لنا وديانه وربوعها ونرى شاهد من السفوح الخضراء والربوع الزاهية والمياه المتدفقة والبحر وتلك الانوار وامواجه.

وفي الغرض الثاني ابدع واحسن شاعرنا في وصف الليل ليل الربوع اللبنانية بعامة وليل بيروت خاصة فكان لنا عن كأننا جلوس مع الشاعر وهو شاهد ويتكلم

وفي الغرض الثالث كان الشاعر يعرض علينا صورا من مشاهداته لتشابك الانوار على العرائش على الجبال وانتشرت على الربوع وقد ابدع في الوصف واجاد.

وفي الغرض الرابع أرانا صورة ناطقة بتشابك الاشجار والتفاف الأغصان ببعضها البعض الآخر على سفوح الجبال ومطالع الوديان.

اما الغرض الخامس فالشاعر راح يخبرنا بأن الشيخ لبنان شاعر بارع يحتاج فيه المرء اليه كما يحتاج الى نار.

وفي الغرض السادس، وصف لمواكب الشباب وحركة انطلاقتهم ومرحهم وشوقهم وحبورهم وتجاوبهم مع الطبيعة الزاهية الضاحكة.

اما في الغرض السابع فالشاعر يسجل عواطفه ومشاعره وحبه للبنان وانه بلد الشعر والحنان والجمال.

وفي الغرض الثامن يشير الشاعر على بعض الاماكن التي ارتادها مثل الوادي العرائشي، وقلعة شقيف، ووادي الشاغور، ويسجل ذكرياته فيها للتاريخ.

اما في غرضه الاخير وهو التاسع فالاثلي يسجل حرقته وشكواه وعتابه الى لبنان ويطلب منه ان لا يقع في خضم الخصومات الطائفية والقبلية والدينية لاسيما والشاعر ينظم قصيدته هذه عام ١٩٥٨ ميلادية اي ابان الحروب الاهلية الطائفية في لبنان.

ذلك استاذنا الدكتور ابراهيم الاثلي وتلك قصيدته العصماء رحمه الله برحمته واسكنه فسيح جناته، والحمد لله رب العالمين.

١٠ - الشيخ عبد المنعم الفرطوسي

هو الشيخ عبد المنعم ابن الشيخ حسين ابن الشيخ حسن ابن الشيخ عيسى ابن الشيخ حسن الفرطوسي. (١) ولد عام ١٣٣٢هـ ١٩١٧م في قرية والرفاعة كان من ناحية الجبايش الكبير التابعة الى لواء العمارة وبعد ما انتقل والده في القرية المذكورة مع عائلته نازحًا الى النجف الاشرف ... (٢) هذا وقد توفي العلامة الفرطوسي عام / / ١٩

له ترجمة موجزة ومقاطع من شعره ذكرها الشيخ جعفر المحبوبة في كتابه ماضي النجف وحاضرها (١) وقد ذكرنا ما جاء عنه ما تقدمنا في ديوان الفرطوسي (٢) وكتابنا لا قبيلة الفضول اللامية (٣) وذكر تراجم جده وذكر الشيخ حسن الفرطوسي المعاصر للشيخ جعفر كاشف الغطاء، وذكرها الشيخ محمد حرز الدين في كتابه معارف الرجال (٥) وله ذكر في العديد من كتب التراجم ومعاجم الشعراء ... الخ ان الفرطوسي من الاسر العلمية الادبية التي قطنت النجف الاشرف نبغ فيها علماء وادباء وفضلاء، وكانوا لهم ذكر حسن وسمعة طيبة واثر بالغ الاهمية وكانوا ذوو صدق وورع وتقى، ولد في هذا الوسط العلمي الادبي العربي الفاضل ولد العلامة شاعرنا الفرطوسي فهو ربيب علم وادب وفضل وتقى ونشأ في هذا الوسط نشأة وترعرع في محيط النجف الاشرف ومعاهده كان تحصيله العلمي والادبي فهو حقيقة واحد من اولئك العباقرة الافذاذ الذين خرجتهم مدينة العلم وعاصمة الادب ومحاضرة الاسلام بجنب امام امير المؤمنين علي بن ابي طالب صلوات الله عليه. والمرحوم شاعرنا في الآفاق فهو كما قيل شاعر اهل البيت عليهم السلام وشاعر الجرح وشاعر الرثاء وشاعر العقيدة وشاعر الولاء وشاعر العروبة والشيخ الفرطوسي شعره جيد وعلاوة على ذلك وانسجام في ابيات قصائده دواوينه رحمه الله وما قلناه قول عنه ما يطابق الحال اوما لا يطابقه فقد اغنانا عن نصوص الله مرحومه الطاهرة عن الكثير من اقواله او ترجمته في الصفحات الاولى من ديوانه (٦) واليك سيدي القارئ الكريم مقتطفات منها.

(انا لا اتخير عرف الادب والتاريخ للكاتب ان يكتب مقاله عن نفسه فانه امر في موضوع يكتب فيه هو ترجمة حياته اذا كتب بصدق ...

١- ص٤٦ ج٤ ماضي النجف وحاضره للمحبوبة - ص٣٨ ج١ ديوان الفرطوسي ٢- ص٦٤ ج١ ماضي النجف ٣- ص٤٣ قبيلة الفضول اللامية - كاظم شند ٤- ص٥٠٠ ٥- ص٧٥ ج٤ معارف الرجال - حرز الدين ٦- ص١٢ - ص٣ ج١ - ديوان الفرطوسي

وإنا نقف أمام صورته الواقعية في لوحة تصويرية وطبع منها نفسه
في مرآة مجلوة من خلال الشاعر وألوان الريشة، وإن للكلمات فيها
ذاتية وألوانًا من الخواطر العرفية، وأسرار الشاعر التربية
لا يعرف عنها غيره قدر ما يعرفه هو عن نفسه، ولهذا آثرت أن أكتب
صفحة المقدمة بقلمي، وقدمتها موضوعًا عامًا يبحث عن الظروف
التي تحيط بالشاعر والمحيط الذي يعيش فيه ومدى تأثيرها على
شاعريته من حيث ضيق أفق الخيال وسعته، وعن لون الخيال
الذي يشتهيه بروعته فيهيم في الحب جنونه وفتنته
في جنة فنونه، وعن براعته وتفننه في تصوير الخواطر النفسية
وعرض الصور الاجتماعية في مسرح الخيال الواقعي لتقرأ عني
صورة ضمنية أخرى على سجل حياة الشاعر الأدبية.(١)
إن الفرطوسي يصور لنا الشاعر من خلال نفسه فيقول: إن الشاعر لسان جيله
ولا يقدر على تمثيله تمثيلًا صحيحًا على مسرح الحياة جاثيه من آلام وآمال
وخواطر ونزعات وطموح وعبقرية تحلق في سماء من حرية الفكر
بعيدة المدى رحبة الفضاء فتكشف عن كل مرئي جميعًا فيك من نورها
ولا تتوارى له شيء من خيالاته ملتف عليه أن يثق بحرية في وجوده ويندمج في
أمته عبقري موهوب وهو لا يتعدى بنبوغه ومواهبه حدودها
الضيقة بل سياج محكم من السدود والعقبات التي تحول دون مجرى
عواطفه وطغيان شعوره، وإن المواهب لتقتل في نفسه كما يقتل
المجاهد في ميدان الجهاد صابرًا محتسبًا.
والفرطوسي يصور عشق الشاعر للطبيعة في قطعة فنية رائعة فيقول: إن العشاق
كثيرون، وللجمال فنون، والشاعر من عشاق الطبيعة، وعشاقها بإدراكه أسرار
جمالها وعظمة جلالها وتجسيم صورها الرائعة في تصويره الشعري كأنها
ماثلة أمام عينيك يريك الزهرة فتستنشق نفحها وتلمس رقتها
والغصن فيميل بقده الأهيف عليك كأنك تهصره بيدك وتحنيه
بأناملك، والبلبل فيحيي أوتار قلبك بأغاريده الرقيقة ويطلق نغماته
في أنقى من صفاء الرقة، والجدول فيضج في سمعك خرير أمواجه
ويريك أمواج العاصفة فيطلع عليك هلالًا وجبانًا من عزوة
الجبان يتطاير الشرر من مقلتيه ويجلجل الرعد في شفتيه والسحاب

١- مقال في ديوان الفرطوسي.

فيقف الشاعر بتلك من الأهوال تشق صمت الريح وتصطرع بها الصواعق والرعود والعواصف لا عندك باطراقهما لتتموج جمال طلعته وجلال روعته والفرطوسي يحدثنا عن كيفية تصويره للخواطر فيقول لا صياغة للصور من الابداع والروعة في فن التصوير فإن عدسته الفنية لا تقدر على الكثير من التقاط الصور الحسية، أما الشاعر فهو مصور الخواطر النفسية الذي يلتقط الصور المعنوية من حياة المجتمع بريشة ذهنه المتوقد وخياله العبقري، وإن الانطباعات المتنوعة التي يعرضها في معمله الشعري ليست هي إلا تلك الصور الاجتماعية التي انتزعها من صميم المجتمع عندما تطلع على أحداثه فوقف على آماله وآلامه ونعيمه وشقائه وصوابه وخطأه، وإنك لتقرأ قصيدة الشاعر - العلم - أو - الفريق - العامل - اليتيم المريض - الطاهر - فتلمس بين الأسطر تلمس الشاعر مجهود العالم وحرفة الفريق وأتعاب العامل ودموع اليتيم وآلام المريض، وهكذا كلما تقرأ قصيدة من شعره تلمس صورة جديدة من صور المجتمع، فالشاعر مصور المجتمع ودواوينه صور اجتماعية، فهو مصلح بأهدافه ودواوينه ودروسه الأخلاقية فيها تصويراته الإصلاحية ونزعاته الوطنية...))

بعد تلك الصور الخلابة ينتقل شاعرنا الفرطوسي إلى موضوع لأجداده، فيقول: ((آل الفرطوسي قبيلة عربية تقطن في مناطق ما بين دجلة والفرات جنوب العراق وترجع في النسب إلى قبيلة (آل كل عزي) أو ينتمي بها ولا أعلم بالتحقيق أول هجرة جدنا الأكبر مؤسس الأسرة العلمية إلى النجف الأشرف، وقد ذكر العالم المحقق الشيخ محمد حرز الدين رحمه الله في كتابه الخطي (معارف الرجال) (١) عند ترجمته للعلامة جدنا الشيخ حسن صاحب كتاب (مرآة الفقه والتفاصيل) وكان من مشايخ إجازته في الاجتهاد ما نصه: (هو الشيخ حسن الفرطوسي نجل الشيخ عيسى نجل الشيخ حسن المعاصر للشيخ الكبير الشيخ جعفر كاشف الغطاء صاحب الدعوة) انتهى ويظهر من هذا أن هجرتنا كانت في القرن الثاني عشر للهجرة لأن وفاة الشيخ الكبير كاشف الغطاء عام ١٢٢٨هـ)).

ثم يحدثنا الفرطوسي عن تاريخ ولادته وقد تعلمنا بهذا في مطلع الشاعر فيقول عنها: ((نشأ شاعر على دين بين إقامة في أفراد الصرحي ... ومجموعة من الأصدقاء الأعزاء والأساتذة المحققين نشأة علمية

١ - معارف الرجال - حرز الدين

وتثقفت بثقافة دينية محضة غرست في نفسي بذور الصلاح في العقيدة والايمان فجذبتني عن عالم حقل الديوان.

اما ادوار ثقافتي المدرسية فيتحدث عنها قائلا (في السنة التاسعة من عمري بدأت اتعلم القراءة والكتابة على معلمي الرسوم الشرعية) وفي الثالثة عشر مات والدي رحمه الله وكنت ادرس في علم النحو وتكفلني بعنايته وعطفه الابوي في ذلك الحين عمي الشيخ علي رحمه الله فكان يجمع ما يفيض لوالدي من نتاج الارض الزراعي القليل ويدفعه لوالدتي للانفاق علينا وقد عنيت هذه الام الرؤوم الصالحة بتربيتي وتربية اشقائي عناية تامة وبذلت كل ما تقدر عليه من الجهود القيمة في سبيل تربيتي وتسهيل دراستي العلمية وكنا نعيش في حياة ضيقة شحيحة الموارد قليلة المصدر وفي الخامسة عشر لبست العمامة (التمام الديني) واصبحت اشعر بالمسؤولية في تنظيم حياة عائلتي التي يبلغ عددها خمسة افراد فاشتغلت كاملا بعض الشيء وكانت النفقة التي اتقدها من ريف العراق هي (ناحية الحر الكلي (؟)) حيث صرفت قطعة من الارض الزراعية احصل في نتاجها القليل حيث طلقنا بحاجة الموروثة من الاباء وفي هذه الدور بدأت دراستي العلمية تتقدم تقدما كبيرا متناسبا مع سني وما فرغت ادرس في «علم المنطق» و«علم المعاني» وما بعدها من (علم الفقه) واصبح نشاطي الادبي يتطلع للشهرة والطموح على تسلق الرتب التي كنت اجهل معالم حلية واحدة من اهوائها يحدوني من هوس الشباب في المباريات الادبية...»

وبعد ان يعرض الشاعر نماذج من نظمه الاول بعد هذه الدراسة العلمية يقول «ان حياة الدراسة العلمية في النجف الاشرف سلسلة من الازمات ومجموعة من العقد، ان الطالب الديني لا يجد ضمانا لحياته الاقتصادية التي تبنى على حياته العلمية من حيث التنظيم ومواصلة الدراسة ما يفي بالكرامة للطالب العربي العراقي لانها ثم تتقوم على دعايات من رؤساء الطوائف وزعماء الدين. اما زعماء العشائر فقد جرفتهم طائفة منهم تيارات من المدنية الغربية جاءت ضغط عليهم من الوان المغريات في مرحلة القائمة تبدلا جديدا قويا ومضارب السبع حياة المدن وقصور البذخ والترف وابعدهم تلك التقاليد المنفصلة عن اخلاقهم العربية الكريمة ونواميسهم الدينية المتوجه ونازعها فتحول الى اخرى تخوفت من نفوذ السلطة الدينية

في الجو الفكري عندما أخذت تتعثر في تقليص ذلك الظل وتقطيع تلك الصلة التي تربط الشباب برجال الدين ، فيتبع من ذلك ضنهم بأداء ما يجب عليهم اتباعه للمقدس من صدقات مالية وصلات مذهبية كانت تدر لها في سماها تلك الحياة ومعظم جدول ذلك تأثيرا اقتصاديا على حياة الطالب ورتبته ، اما رجال الدين فقد تكلوا حياة الطالب العراقي لتلك الصلة الفاترة ثقة منهم انها متينة الروابط محكمة الحلقات مع انها اوهى من بيت العنكبوت فعزفوا عن العناية بالطالب المهاجر ورعاية المهاجر فكرة سديدة لمحل صالح لبعده عن وطنه وشح موارد رزقه إلا ان ذلك الاعتماد وتلك الصلة التي تقتضيها الواقع لا تكون مبررا شرعيا لصرف العناية والاهتمام عن صنوه وأخيه الطالب العراقي الذي تتمثل فيه الاستعداد وتتوفر به القابليات من ذوق عربي وذكاء فطري وطبع ملكي عجيب ، وقد حرم من اكثر موارد تلك الحياة بما عدا النزر من اصابته لأجل يجب ان يكون مرعيا كالمهاجر لان الغاية واحدة (هي طلب العلم) او عدم الضمان للمعاش موجود في الطائفة الكبيرة من المشتغلين ، ولنفس هذا السبب اضطرت جملة كبيرة منهم بحكم الظروف القاسية طائفة من طلاب العلم الى الانتظام في سلك الوظائف الحكومية فاضطرت الى إهمال حياة الاكتساب ، وبلي بعضها بالاسفار المتوالية التي تشغله عن مواصلة دراسته او هاجر بعضهم الى المناطق القروية التي هاجر منها اجداده فأصبح لعبا بيد [illegible] ، هذا كله يؤدي الى عدم ضمان الحياة الاقتصادية في عصر تتطلبه ضمانها ، وكيف يمكن للطالب ان يواصل دراسته المفتقرة الى الاستقرار وصفاء الذهن وهو يجاهد في جهة [illegible] تنقل من الافكار ويذهب [illegible] من الاسفار في سبيل الحصول على موارد معاشه وما يتبع ذلك (للقرطوسي) ما ترانيه لولا شعور بعض الاخوان الاعزاء يندفعون لاخراج هذا النتاج وامثاله الى عالم النور من بين ما نشر المؤلفات المخطوطة المقبورة ونشر بعد جهد هذا النتاج الأدبي ، ولقد نعى على رجال الدين ضياع هذا الامل المنشود طائفة من الشباب المخلصين واصبح بهم جماعة من المصلحين واستنهضوا الهمم العالية في ادوار متعددة لتطبيق مناهج الاصلاح من الفشل وما في رسالة الرابع من النفس

(١) راجع [illegible] ج ديوان الشرقي .

الاخرى فلم تعد بد لتنظيم هذه التجارة البحرية واصلاح هذا النقص الواضح، وقد عالجت هذا الموضوع الخطير وندبت قادة العلم والاصلاح لتلافي هذا الوضع المؤلم في قصائد عديدة من شعري الفياض في حفلات حاشدة برجال الدين منها قصيدة عنوانها (قادة العلم) اصف بها تشتت حياة طلاب العلم وبؤسهم.

يا قادة العلم والاصلاح عندكم — والدين مجد عظيم كل ما انثلما
هذا الاناء وفيه الورى بعدكم — فكيف قبل غرستنا شتاتًا فما
تحد بالترب افواجًا قد انتشرت — ما منع النقل منها الدرس فظلما
وتستقي من سراب اليأس ظامئة — لا النفس فرحتها اشتاق علاجهما
وتكتسي الخلق البالي ملتحدها — من البين تستعين طريقة ظلما
لا تبتغي رغدًا من ظل ناعمة — من الحياة تدر الخير والنعما
ولا ترى من الباسق الطائشة — من اللذائذ اضحت تعد النعما
ولا قصورًا شامخة الفردوس بارقة — من النعيم تضم الحور والخدما
لكنها تبتغي قوتًا الى رمق — على الجهاد به تقوى وقد عدما

ولا اقصد من هذه الحرقة سوى القيام بما فرضه علي الواجب الديني من بيان هذه الحقيقة الناصعة لولاة الامر والقادرين من المحسنين مستنهضًا بها الهمم الجبارة مستفزًا بها العواطف الحساسة عن اتخاذ علاجة لصيانة هذا الكيان الاساسي ودرء هذا الخطر المحدق بحياة الهيئة العلمية.

ما صح من نشد الاصلاح نهضته — ان ليس تطمح بهذا البعض الحانا
ولست املى من صفي عواطفه — وللفضيلة ابطال وفرسان.))(٨)

لقد نقلنا هذه القصة التاريخية المهمة الخطرة بجزئياتها وتمامها بقلم العلامة ((الفرطوسي)) قبل طبع ديوانه بتمامه عام ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م، وهي في واقعها تقرير صادق في تحليل منطقي ودقيق واجمال وتفصيل موضح فيه رأيه في عامل واحد فقط من العوامل الكثيرة العديدة التي تعاني منها ((الحوزة العلمية)) في النجف الاشرف، وذلك العامل (المالي) او (الاقتصادي) او (المعاشي) مرض الماضي ومحقق انشغال طالب العلم بمواصلة درسه حتى التخرج ونحن انما سجلناها هنا على الرغم من عدم علاقته الوطيدة بموضوع كتابنا هذا سجلناه لخطورته واهميته

ولا تزال تتعاقب فصولاً حتى كتابة هذه السطور ونحن في ١٠/١٨/١٩٩٥م وما زال هذا العامل فما لأخرص والحروف)) العامة ويبقى كذلك الى أن تمدّ له يد الإصلاح، ونحن نأمل كما أمل شاعرنا علاء الهنا (العرموسي) أن عام ١٩٩٦ أن نرى تلك اليد المعجزة تهدم القديم النتن وتبني الجديد المشرق وتسير القافلة الى ما شاء الله والحمد لله رب العالمين.

وبعد أن اتحفنا العلامة العرموسي بتقريره القيم عن الجانب الاقتصادي للدراسة العلمية في النجف الأشرف ينعطف بنا الى دراسته هو فيقول:

((ومن خلال هذه الاجواء تتقلّب جهاد النفس وصلاح الايمان وتقضي لتكوين زاوية من طلاقة نفسي بذبالة ضئيلة من الدراسة العلمية.

العلوم التي درست فيها: علم النحو - الصرف - العروض - المعاني والبيان - المنطق - الاصول - الحديث - الفقه - الكلام - ودرست حلقات متعددة من طلاب العلم اكثر هذه العلوم، وتخصصت في تدريس علم المعاني والبيان، واشتغلت كثيراً في دراسة (كفاية الاصول) للمحقق الخراساني من استاذي الفاضل الشاعر الشيخ (مهدي الظالمي) رحمه الله، وفي دراسة (الرسائل) و(المكاسب) للشيخ الانصاري عن استاذي العلامة المحقق (باقر الاصفهاني) حفظه الله، وحضرت بحوث عالية خارجية في الفقه والاصول لعلماء محققين واستمددت من اكثرها، واخص بالذكر منها الحجة المحقق السيد (أبي القاسم الخوئي) في الاصول فانه منبع العلم الذي نهلت منه بقدر من وهبني منه بالحكمة وهبه الله من المعارف ما شاء أن يهبه لمثله من اوليائه الأبرار))

ثم ينتقل (العرموسي) الى ذكر آثاره فيقول: ((١- رسالة في شرح شواهد الآيات القرآنية الواردة في (مختصر علم المعاني والبيان) الى باب المسند إليه. ٢- رسالة في شواهد الشعر من (المختصر) مع ترجمة شعرائها لفتح اسرار البلاغة التي تحتوي عليها الى باب المسند إليه. ٣- شرح موجز لحاشية ملا عبد الله في علم المنطق. ٤- ارجوزة شعرية نظمت فيها الأشكال الاربعة وضابطها من (الحاشية). ٥- شرحاً مختصراً للجزء الاول من (كفاية الاصول). ٦- شرحاً مطولاً (للرسائل) للشيخ الأنصاري. ٧- رسالة كبيرة في باب الاستصحاب من الرسائل. ٨- شرحاً لمقدمة البيع من (المكاسب) للشيخ الانصاري، وهذه الآثار

الخطيئة هي نتاج متواضع ومبادئ من العلوم لدراسة العلمية حيثما اقتبسه من القابلية البسيطة ».

ثم يتقلنا القرطوسي العلامة الى شعره فقد تأخر عنوان « لون الألم في شعري » مصدا نفسها ما الرجوع الى الا ان للمحيط الذي يتسع وهي الأنات تحوطه ومتلاعنه مناظره والحياة التي يعيش فيها رغد نعيم او نكد جحيم والمكابدات التي تتعاطيها بلا الحوادث فيتلقاها بالثبات او يستلم للطائل والاتجاهات العاطفية التي تسمو بالنفس الى شواطئ رغباتها كل هذه العوامل لها أثرها الواقعي من توجيه آدب الشاعر وتكييفه لان الأدب موهبة من مواهب النفس والنفس تتأثر بهذه الدواعي فلا بد وان يطبع لونها على الادب ولقد تأثر شعري بصبغة من الأسى ولون من الألم حتى لكأن الطلق على نفسي لقب « الشاعر الحزين » ويعزى ذلك لأسباب : اساسيتها انا مظلمة من بيت قديم متداعي لا تجد الشمس فيه مدخلا سهلا لا شعاع ومتى ضاقت النفس من تسمح هذا القفص وطلبت التمتع بالفضاء الرحب والنسيم الطلق وجهت الى الوادي السلام » وهل وادا الوادي تجد قبور بالية ومناظر حزينة باكية تستعرض فيها امام ناظريك ذكريات تجر لك من القرون الغابرة طويت اجيالا بين صفحاتها وتبعث على نفسك امانات تتطلع الطارق بين ارجاء الاسكون ذلك الوادي الرهيب ووحشته وظلامه كما اني ارتاد في كل عام بعض المناطق القروية وهي طافحة بصور الفقر والبأساء مختنقة بمناظر الحزن والالم فتطبع القروية وهي طافحة بصور الفقر والبأساء محتشدة بمناظر الحزن والالم فتطبع في نفسي من هذه وتلك الوانا من الصور الكئيبة وتحز في قلبي مدى حزن الأنباء وحياتي وهي ضرب من التعقيد سلسلة متواصلة الحلقات من البؤس والشقاء وما مر علي عام من سني حياتي وانا في رغد وهناء تقرأ بعض صفحاتها في قصيدة « الشاعر » فقط

فانتك والياس هو لها ... ومنها الردى فيه قانيتع
حياة الجحيم على ما بها ... الى مثلها رغد ممتنع
حياة مزقتها الحادثات ... ويرثي لها الألم الموجع
محيت لقلبك يحرجها ... وفي كل آن له مصرع

٣ ـ وقفت على صحيفة الدهر اثناء احد النوادي صفيحة غطاء نفسي
برحابها ويبدو انها مجموعة كريمة من الزوار من بين شعراء وادباء
يراود اجفانه خيال من بعد امنه بصوع شقيقه "وجيه" وهو يجود
بنفسه جريحاً على مجزرة الطب القاسية اثر عملية اجريت على آخر
نفس من حياته وطوت آخر صفحة من شبابه بسبب غلط الفحص
الطبي وكان طالباً مجتهداً في الصف الخامس العلمي، ومن نرى على
جراره في التكية والالم يلوع ولديه "لا علي" في ملعب طفولته
وهو يبرح بين اترابه من صدمة مفاجئة اصابت صميم قلبه كل
غض غريض حتى تعدد بيد بريئة من احد لداته اللاعبين وانك
لتعرف سطوراً من هذه الكتابات لوعة نفسي حين تقرأ قصائده
العاطفية في باب المراثي: "عواطفي" "في رثاء مجيد" "الى ..." ...... الخ

٤ ـ رقة عاطفتي وحبه للادب الحزين شعراً ونثراً ولقد نظمت
رواية "بول وفرجيني" (للمنفلوطي) رواية شعرية تقع في ثمانين صفحة
وسميتها (الفضيلة) حين قرأتها حركت اوتار قلبي وتركت اثرها العميق
في قرارة نفسي.

ثم حدثنا الفرطوسي رحمه الله عن "طريقة نظمه للشعر" ثم يطلع علينا
بصور من ديوان شعره وقد فضلنا ان لا نطيل على القارئ الكريم فنذكرها
هنا لعدم حاجتنا اليها ولذلك اختصاراً للوقت والجهد ويستطيع الراغب
الرجوع الى الجزء الاول من ديوان الشاعر للاطلاع عليها. (١)

لقد قرأنا من ديوان الفرطوسي قصيدته الموسومة (عيد الغدير) وقد القاها
في جمعية الرابطة الادبية في عيد الغدير، وقد نظمت عام ١٣٧٠هـ
١٩٥٠م واخترنا منها لكونها ترجمة لعيد الغدير (الله العلي القدير) أن يمن
علينا ويجعلنا من انصار صاحبه الرسول (محمد) (ص) ومعاً في نفسه وخليفته
ووصيه (علي) (ع) في يوم ذلك اليوم التاريخي الاسلامي العظيم الذي
جعله الله سبحانه وتعالى من اهم اعيادنا الخالدة، وجعلنا الله كذلك ممن
شملتهم دعوة الرسول الكريم (ص) "اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر
من نصره واخذل من خذله" ... وهذه النية وهذه العقيدة تم اختيارنا
لتلك القصيدة العصماء التي نظمها الفرطوسي معتمداً على ما ذكره بان
يرجع النصوص القرآنية والاحاديث النبوية والوقائع التاريخية.

١ ـ ص ٢٨ ـ ص ٤٢ في ديوان الفرطوسي

ليقف بنفسه على الكثير من الحقائق التي عجز عنها المؤرخون والأدباء واللغويون والمحدثون اخفاءً للحق وانتصاراً للباطل، ولكن الحق واضحاً ساطعاً يعلو ولا يعلى عليه. وبعد هذه المقدمة الموجزة لاختيار القصيدة ننتقل الى القصيدة نفسها لنتعرف على معانيها وما تحمله من وراء القصد.

١- بالنور شقق فم القرآن فانبثقا ... فجر من الحق في دنيا الهدى ائتلقا
٢- فيض من القدس بالألطاف مندفع ... ونبع من حنان سال مندفقا
٣- وحي بليغ وفرقان بحكمته ... بين الحقائق والأوهام قد فرقا
٤- نور تطاول في الصحراء مؤتلقا ... فطاولت بعلاها الشهب والأفقا
٥- قد اطلعته على دنيا العقول هدى ... شمس الرسالة فاجتاحت به الغسقا
٦- فجر من الحق والقرآن مطلعه ... نص الإمامة فيه قد بدا شفقا(١)

في البيت الأول من المقطع المذكور يوضح الفرطوسي ان الله جل وعلا أنطق قرآنه الكريم بالحق فكان نور الفجر في دنيا الهداية سيبقى مؤتلقاً مدى الدهر، وفي البيت الثاني يصف ذلك النطق الإلهي المقدس بأنه فيض من القدس من اللطف الخير المدفوع ونبع الحنان الرباني الذي سال متدفقاً في الإسلام والمسلمين. ذلك الوحي البليغ والفرقان الحكيم الذي فرق بين الحقائق والأوهام وذلك هو النور الكبير الذي صعدت به صحراء « الغدير » فاعتلت على الشهب وأفق السماء، وذلك النور الذي طلعت به على المسلمين وعلى دنيا العقول هدى شمس الرسالة المحمدية المطهرة فاجتاحت بنوره ظلمة الباطل والأوهام. ان عيد الغدير هو فجر الحق الذي طلع من القرآن الكريم نص الإمامة. ولعله يشير الى الآية الكريمة (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين)(٢) وينتقل الفرطوسي الى المقطع الثاني

- ركب النبوة والصحراء حافلة ... فيه بأكرم ركب للعلى طرقا
- يطوي جلالاً ويطوي من شمائله ... بيارق النصر طياً كلما خفقا
- يطوي الهوينا وقد وافت طلائعه ... تؤم (يثرب) من (أم القرى) فرقا
- من قد أحاط به في سيره هاجرة ... لو مست الظل في أثنائها احترقا

١- ص٤٤ في ديوان الفرطوسي
٢- آية ٦٧/ ٥/ المائدة / القرآن الكريم

يعيش احداقه وخوالجه الشريفة حتى تراءى الحلم فيغمره صدقا (١)

وفي هذا المقطع وهو الثاني يحدثنا الفرطوسي (شاعر العقيدة) بأن الملوك المحيطة (بغدير خم) قد حفلت بالركب النبوي الكبير وهو أكرم ركب طرق الفيافي، ركب يحيط به الجلال ويفوح من شمائله الطيب، ثم يصف الشاعر سير ذلك الركب النبوي الكريم ويقول انه يحث الهوينا وقد وافى طلائعه للمدينة المنورة بعد ان غادر (مكة المكرمة) حيث ادى فريضة الحج وانتهت تلك الحجة هي آخر حجة قام بها الرسول الكريم (ص) لمكة المكرمة.

وبينما ركب النبي يواصل سيره الهادئ البطيء واذا به يتوقف وينزل في تلك الصحراء القاحلة وذلك الهجير المحرق، انه لامر هام حدا بالبريد الرسول الذي جعله يتوقف عن السير وارجاع المتقدم وانتظار المتأخر وهذا ما يحدثنا به الفرطوسي في المقطع الثالث من خريدته.

الوحي اتى لهفا وطاف به ... صوت من الحق في اجواز الطلقا

يا ايها المصطفى بلغ جموعهم ... نص الغدير ولا تخش الورى فرقا

فقام فيهم كما اوحى الاله له ... فبلغ خاطبا في نطقه لبقا

هذا علي امام الحق بعدكم ... وفي امامته القرآن قد نطقا. (٢)

• • •

لقد هبط الامين جبريل سلام الله عليه يبلغ الرسول الاعظم (ص) بان الله يقرئه السلام ويأمره بان يبلغ المسلمين في هذا الوقت الحار المحرق وتلك البقعة المقفرة القاحلة (غدير خم) يبلغهم بالامر الرباني الجليل والنص القرآني الكريم المتضمن تنصيب (علي بن ابي طالب) امير المؤمنين اماما للامة الاسلامية وخليفة للرسول من بعده ووليا لامورهم الدينية والدنيوية وعلى الرغم من اننا ذكرنا الآية القرآنية الكريمة سابقا ولكننا نعيدها هنا اتماما للفائدة ولاهميتها القصوى:

« يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس، ان الله لا يهدي القوم الكافرين. » (٢)

فقام الرسول (ص) خطيبا في ذلك الجمع الحاشد الذي بلغ عدد حسب بعض الروايات مائة وعشرون الفا، فقام سلام الله عليه وعلى آله منبه رافعا بيده يد علي حتى بان بياض ابطيهما فقال « يا ايها الناس من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره

١- ص ٤٤ ج ديوان الفرطوسي

٢- ص ٤٤ نفس المصدر ٢- آية ٦٧ / ٥ / المائدة / القرآن الكريم

وأفضل من فضله .. »(١) وبعد أن بلغ الرسول ما أنزل إليه من ربه واصل الركب النبوي سيره نحو المدينة المنورة .

وفي المقطع الرابع نرى القرطوسي واثقاً جامعاً بعيد الغدير والأمر الالهي والنص القرآني والحديث النبوي ، ونرى القرطوسي يخاطب ذلك العيد الاسلامي الكبير فيقول :

١٦. عيدُ الغدير وعيدُ الكريمِ من عظم — عيداً على كلِ عيدٍ فضلُهُ سبقا
١٧ عيدٌ به اصبحَ الاسلامُ مبتهجاً — واصبحَ الكفرُ محزوناً به قلقا
١٨ عيدٌ به علقت أرواحنا شغفاً — حتى تفتّحنا لها كبادنا علقا
١٩ عيدٌ بعقدِ الولا أضحت عقائدُنا — موصولةً بنظامٍ فيه قد علقا
٢٠ عيدٌ به انزلَ الباري بمحكمهِ — نصاً لتفضيلِ عليٍ مشرقٍ فتقا
٢١ اليوم اكملتُ فيه الرضي لكم — ديني وتممتُ عليكم نعمتي عدقا (٢)

• • •

في ذلك المقطع يكبر القرطوسي (عيد الغدير) وأن فضله قد علا وفضل كل عيد لأنه ابتهج الاسلام واحزن الكفر وأن أرواح المسلمين قد علقت به كونه عيدهم له لأن فيه عقد الولاء والبيعة لله وامر الرسول لخليفة الرسول علي بن ابي طالب عليهما السلام واصبح النظام الاسلامي بهذا الولاء وبتلك الامامة من الاشياء محكم البناء . وذلك العيد الذي انزل الله فيه القرآن الكريم الذي نص على امامة علي وفضل علي وسبق علي ، وفي آخر بيت من المقطع يشير القرطوسي الى الآية الكريمة التي نزلت على الرسول بعد ان بلغ امته بالنص الالهي الكريم بولاية علي أمير المؤمنين . « اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام ديناً . » (٢) وقد اجمعت المصادر الموثوقة المعتمدة ان هذه الآية هي آخر آية نزلت في القرآن الكريم وانها اعقبت البلاغ بنص الولاية لعلي امير المؤمنين في الآية (٦٧) من سورة المائدة ويلاحظ ان موقع كل آية من الآيتين المذكورتين لم يراعى فيه تاريخ النزول او التسلسل القرآني .

بعد ذلك ينقلنا القرطوسي الى مقطع آخر من قصيدته العصماء وهو المقطع الرابع فيقول :

٢٢. يوم السقيفة قد احدثت مبتدعاً — في الدين فتقاً لهذا اليوم مرتتقا
٢٣. الفحشاء قد الحقت ممتنعاً — في المسلمين فاضحى الجمع مفترقا

١ - الحديث مشهور ومستفيض ادلته لا تحصى - من كتاب الغدير للعلامة الاميني ، ج ، ص ١ ، ٢٠٦ ، في ديوان القرطوسي
٢ - آية ٣ / ٥ / المائدة / القرآن الكريم

٢٢٢ ـ سقيفة نقضت عذراً ضغناً متيناً — عقد الغدير وأخفت نوره حنقا

أضنت على سنة الهادي شريعته — في بدعة باسم الإسلام قد محقا

وأدركت في وصي المصطفى ثرة — كأنه لا يبعث الأشجان والأرقا

فقدمت لأصقاع النفل ما سبقا — وأخرت سابقاً في الفضل ما لحقا

فهل ترى نقض الإسلام عروتها — وحل منه عرى التوحيد والحلقا

بدرية أظهرت أضغان سنيته — إلى محمد منها الهجر والحمقا

وكيف يرجى الهدى منها وما عرفت — من محكم الذكر إلا الجهل والرهقا (١)

• • •

بعد أن قادنا الفرطوسي في مقاطعه الثلاث المتقدمة الذكر إلى أوامر الرسول الكريم (ص) في عيد الغدير وأوامر ما نزل من القرآن الكريم من نصوص تخص ولاية أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب. ينعطف الفرطوسي بقصيدته الحماسية بعد وفاة الرسول بقليل ليطلعنا على مجريات الأمور التي سارت معاكسة للأوامر الإلهية والنصوص القرآنية والأحاديث النبوية وما حدث في اليوم الأول من وفاة الرسول بل الرسول سلام الله عليه لم يدفن بعد والناس ((الأنصار)) يجتمعون في سقيفة بني ساعدة يتآمرون فيما بينهم وبعض ((المهاجرين)) واجتماعهم في السقيفة لم يقرر شيئاً سوى كلام وكلام بين هؤلاء وأولئك وفي جميعها تنطبق عليهم الآية الكريمة ((وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً وسيجزي الله الشاكرين)) (٢) والفرطوسي يتأمل أن جميع المتكلمين في سقيفة النبي محمد (ص) ونصوص القرآن الكريم والأوامر الإلهية بدليل اجتماع السقيفة ذلك الذي ليس له مبرر شرعي ديني قط والله قد أكمل دينه في القرآن الكريم وبلغ أمور الدين وهو نفس الرسول ولا زال جسده الشريف وهو المرجع الأعلى بعد الرسول هذا مضافاً إلى الحقد الدفين الذي أظهروه وحقد أعناقهم الذي أبدوه لوصي الرسول الأكرم الإمام لنفس الرسول الكريم الذي ما غادر أصحابه إلى الأنام وراحوا يتآمرون على دينه وشريعته وسنته ووليه وخليفته وعترته. وذلك كله مصداقاً للآية الكريمة الذكر. ومن هنا نرى الفرطوسي يقول ليوم السقيفة بأنه أحدث مبدعاً شقاقاً عظيماً للجنة وأحدث في صفوفهم شقاقاً بقي إلى هذا اليوم، وهذا هو

١ ـ ص٢٦ ج٢ ديوان الفرطوسي ٢ ـ آية ١٤٤ / سورة آل عمران / القرآن الكريم

الواقع الذي لا ينكره إلا ظالم او جاهل او معاند. ويقول القرطوسي لعن السقيفة
إن تلك السقيفة قد نتجت وولدت فتنًا كبيرة من اوساط المسلمين ومن هنا
كان تفرقهم جميعهم. ويقول القرطوسي ان تلك السقيفة نقضت عهدًا
يشفانا ثرا بالعقد» الذي ابرمه الله ورسوله في يوم الغدير» عهد
الولاية والإمرة للمؤمنين علي بن أبي طالب» عليه السلام الا عليه. فالسقيفة تلك
اخفت ذلك النور الساطع لخفقه حنقًا وحقدًا عليه. ان يوم السقيفة
أقبل على سنة الرسول وعلى شريعته في تلك البدعة الجاهلة فيوم السقيفة
هو يوم محق الإسلام. ان المجتمعين تحت سقيفة بني ساعدة أدركوا فرص
المصطفى محمد «ص» اي ادركوا مرض الرسول وسبقوه وتقدموا في الدين
وجاؤوا المتميزين في محاربة اعداء الدين. وتلك امور بعثت الاستياء
والانتقاد ومن هنا نجد اهل السقيفة قدموا المتأخرين في الفضل والسبق
وأخروا المتقدم. وتلك الشخصيات تمثل الاسلام ومحاربة وابطاله وهل
كان على غير التوحيد والإخاء والمودة والإسلام. ان تلك الاحقاد والآلام
لحقت شخص الرسول بالذات ولكنها ظهرت في شخص أقرب الناس إليه
شخص علي بن ابي طالب ابن عمه وزوج ابنته وابو سبطيه وخليفته و
وصيه. وكانت كامنة في الصدور منذ يوم بدر وحنين والأحزاب وغيرها
من معاركهم تيار التشفي لإخفاء ما في نفوسهم من قتال بكل وقاحة
وصلف والرسول يعاهدهم بسلام الله لأنه يهدي هؤلاء المنافقين
ما يخفون عن القرآن الكريم إلا الكره والحرب والإسلام لعقة على السنتهم
ما يلغوا فيه من حول العقيدة والسمو الروحي فقط.

ثم ينقلنا القرطوسي الى المقطع السادس من قصيدته العصماء فيقول:

آمنت بالحق عدلا لا يجمعنا — وهل يخفى على المخلوق من خلقا
هيئا على مكان القرآن يعوزه — قوتا ويطعمه من الله ان رزقا
يطويه النهار صيامًا وهو منتصب — وبالعبادة يطوي ليله أرقا
وكل أقطاره قرها في طبقه — من الشيء ويلمع بعض الطبقا
عين مؤرقة من الله ساهرة — للحق تلقى جفناها ما انطبقا
أنامل بعناق السيف مولعة — كما تشبثن على حب قد اعتنقا
ومهجة في جهاد الكفر دائبة — حتى جرت وهي في جراحه علقا
شيخ أطل على السبعين كوكبه — ولم يزل منه نور الحق منبثقا

٣٩ ما نال من متع الدنيا وزخرفها — إلا متاعاً زهيداً ينعش الرمقا
٤٠ شغل من الليف من كفيه يخصفها — حتى يسيل محياه وإن عرقا
٤١ ومشتمل من ثياب الصوف مرقعة — تبلى فيرقع منها كلما خلقا
٤٢ يبيت عقبى جانبيه يقلقه به — تخاله وهو قاع وظلم نفقا
٤٣ لا أشرق الصبح فيه حتى ترمقه — إلا ورجى ومعناً بالبكا خلقا (١)

• • •

في هذا المقطع السادس يعلن «الفرطوسي» إيمانه بالحق العادل وإنه لا يظلم الناس، وهل يظلم الناس الله الذي خلقهم كلا أو الف كلا؟! وكأن الفرطوسي يريد أن يقول إن العدل الإلهي إنما نصب عليًا خليفة للرسول لأنه عدل وسيرته ومسلكه لا يتفق قط مع ظلم الناس فكيف يحيف بالناس من كان يعود «الفقراء» وهو لم يصل على طعمه الخبز ويتصدق به الفقراء والفرطوسي يشير بذلك الى قول الله عز وجل في محكم كتابه «ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً» وهذه الآية في سورة «الإنسان» إنما نزلت واختصت في أهل البيت النبوي الشريف علي وفاطمة والحسن والحسين وقصتها مشهورة ويرويها المفسرون كافة من جميع الفرقاء دونما استثناء وهي من أمهات الأمور المتفق عليها، فإنما الإمام الحق أمير المؤمنين علي قضى عمره الشريف طاوياً نهاره في الصيام قربة الى الله تعالى وطاوياً ليله في العبادة تقرباً الى الله سبحانه وتعالى، وعندما يريد الإفطار من الصوم يقدم له طبق فيه قرصان من الشعير وقليل من الملح، ذلك الإمام الحق الذي أقامه الرسول في «غدير خم» خليفة له على أمته وبأمر من الباري جل وعلا نصه في القرآن الكريم أشهر من أن أتناوله وذلك هو الإمام الذي عزلته «سقيفة بني ساعدة» والرسول لم يدفن بعد فإنا لله وإنا اليه راجعون «لقد أبت قريش أن تكون النبوة والإمامة في بيت واحد» هكذا قال أحدهم وكأن القول قول قريش لا قول رسول الله ولا أمر الله ولا نص القرآن وكأن أمر الإمامة والإسلام أصبح كله منها إنما تدبره وتديره وترعاه قريش حسب أهوائها ومصالحها، أما ما قرره الله ورسوله ونزل فيه القرآن الكريم فلا قيمة له ولا اعتبار وهكذا يكون مصداقه قول الله تعالى «أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم...»

١- ج٢، ص٤٧ في ديوان الفرطوسي

ويمضي الشاعر للوصف في ابراز صور الزهد والتقى والايمان للإمام الأئمة ووارث علم النبوة فيقول: انه كثير البكاء من خوف الله سبحانه وتعالى من رهبته فقال:

هو البكاء في المحراب ليلاً ... هو الضحاك اذا اشتد الضراب

ويقال ان هذا البيت من قصيدة لعمرو بن العاص . اما القرطوسي فيصف علاقة الشامل للامام الجاهد بسيفه بانها علاقة عاشق على حبه فقد تعانقا اما نفسه الزكية الطاهرة الطيبة فقد التصقت بنص القرآن الكريم فهي دائمة مستمرة بلا انقطاع في مجاهدة النفس وهكذا بقيت حتى سالت في محراب صلاته سلام الله عليه في جامع الكوفة في ليلة التاسع عشر من شهر الصيام وهكذا يولد هذا الامام الرباني في بيت الله الحرام والكعبة المقدسة كرامة انفرد بها صلوات الله وحده الى يوم القيامة ويترعرع في حياته المطهرة في بيت الله ليقضي حياته مدافعاً عن الحق الا انه اخو رسول الله ووصيه بنص القرآن الكريم الذي نقله لنا الوحي (تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وانفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)(١).

ويمضي القرطوسي في تعداد مآثر سيد الكونين بعد الرسول فيقول انه الشخص الذي اشرف بجوهره الشريف ان يطل على البشرية علماً وما زال نور الحق يشرق من جميع جوانبه ومع هذا فهو لم ينل من متاع الدنيا وزخرفها الا ما يبقي الرمق لشدة زهده في الدنيا وهو القائل سلام الله عليه (يا دنيا غري غيري ....) ثم يمضي بعد السيد ما لا نعلمه من التقى لما لا يحصى أو أكثر من شأنها الكبرة اشتغالها وعدم استدلالها المادية المسكية من الصوت مثلاً الملحوظ بالزهد عندما تلتها اما بيته فانك تخاله نفقة مظلم من صغره وضيقه وليس فيه من متاع الدنيا الا رغيف وحصير بال قديم . ذلك خليفة الرسول الحق عاش صلوات الله عليه مظلوماً ورحل الى بارئه سلام الله شهيداً مظلوماً عاش في امته صادقاً لقول الرسول الكريم فيه (يا علي ما عرف الله الا انا وانت وما عرفني الا الله وانت وما عرفك الا الله وانا).

والآن الى المقطع السابع من قصيدة القرطوسي رضوان الله عليه هنا يعلي [illegible] بالزهد والنسك [illegible] عفة وتقى وهذه هي معاني التقى بها [illegible] تفاصيل علاقته

١ـ آية ٦١/ آل عمران/ القرآن الكريم . راجع مقالة المفسرين في هذه الآية . ان علياً سلام الله هو نفس الرسول

٤٦ فما ضحك إلا ابن هند الأقرع له ... ذكرى الحزين طوال الدهر ما افترقا
٤٧ وإنه دنياها الآمال محدقة ... والبشر يغدق من آفاقها غدقا
٤٨ فللرقيق مقاصير ممهدة ... من الحرير تضم الطيش والنزقا
٤٩ وللجواري وحسن الحور غرف ... بين الجنان وحوه تقضم الغلقا
٥٠ وللقيان مغانيها إذا انطلقت ... تهتز بالعزف جذلى ما دنا طلقا
٥١ وللخمور أباريق مشققة ... تطوف مصطحبا فيها ومغتبقا
٥٢ لكنها يتسب بالظلم فانتقضت ... وإذ عشى بناة الظلم فانسحقا
٥٣ هذا ابن هند ودنياه مزوقة ... وكان منها يكيل التيه والرهقا (١)

• • •

في هذا المقطع يبرز الشاعر صورة لمعاوية ابن أبي سفيان عاش في قصوره وقدمه وحشمه وحميره وملذاته والوان من يب نفسه وكان الشاعر يريد ان يعقد مقارنة بين امام الحق وامام الكفر وهنا نعلم فامام الحق يقتله الدنيا بعد استشهاده وبعد يدخل الآخرة وما اعد الله له من ثواب وجزاء وامام الكفر الذي عاش على الدنيا ما جمع آخرته بمتاع ودنياه في الدنيا بعد وفاته وليس له فيها الى الذكر القبيح وفي الآخرة سيلقى جهنم وبئس المصير. امام الحق تنزاحم العلماء والادباء والقادة والملوك وعوام الناس على ابواب ضريحه الطاهر لزيارته والتبرك بأعتابه والتقرب الى الله سبحانه بوسيلته اما امام الكفر فضريحه يعلوه التراب والازبال امد زيارته فانما يفعل ذلك للعبرة والوقوف على عواقب الامور ... الخ. والفرطوسي يقول قدمنا صورة لعلي وعيشه ومسكنه وطعامه وبالتالي تقدم صورا لمعاوية ثم تقارن بين الاثنين لنقف على الحقيقة التي قد يعجب لها تطمئن وتنشرح صدورنا. ثم يصل الى مبين الحق مقام الباطل باطلا الى يوم الحساب في العالم الآخر ثم بمعاوية نحو أنظار القلب. هنا علي وعشه ودنياه مشيدة بالزهد والنسك والعفة والتقى وهي أهم الذكر الحسن وتلك هي عقبى الدار للمتقين الصالحين فأين عاقبتك يا معاوية من عاقبته وأين ذكراك من ذكراه فانتصار لك تقرن بالخزي لم الخيانة والظلم والجور مجتمعات السقوط بالمروءة والمجد والعلو والتواضع وأين دنياك يا معاوية التي لا تستحق بالآكام وبالتصدق الحور ودنياه الباقية لكل الصالحة ميلا الى صدق الصابرين، ودنياك يا معاوية فلأنها الفقر لك وكذلك

(١) ص٤٧، ص٤٨ في ديوان الفرطوسي

وصنعت منها الملك، ومنها الخمر والطيش والنزق، وكلها تمشي على
الارض وعليها دنياك، فلك مجاري ومقتنيات ولذائذ وخمر
ومائدة ومزامير ولهو تليلك غناء وطرب ونهار صيد ولعب ولهو
وقد نسيت يا معاوية بأن الدنيا التي تبنى بالظلم تنتقض على أصحابها
وكل شيء يبنيه الظلم زائل ولن ينفع الظالم ما كنز وما اقتنى من ذهب وفضة
ومتاع رخيص مباح

اما في المقطع الثامن فالشاعر يظهر لنا صورة جديدة لم يتطرق اليها
سلف من المقاطع السابقة يقول:

فلست بتربة الدنيا معاوية ... من معشر بلية فيها قد احترقا
لكي تشاهد دنيا الحق مقبلة ... وباطل الظلم قد ولى وقد زهقا
هذا هو العدل أعظم به من أثر ... يفنى الزمان ويبقى بعد مؤتلقا
ضريح تود الدراري لو تكون له ... منارة ومجاريها له طرقا
وقبة تلثم الأفواه تربتها ... قبل الأكف لتركو طيبها عبقا
وقبة فوق شمس الحق قد عقدت ... فطاولت بعلاها الشمس والأفقا (١)

● ● ● ●

في ذلك المقطع يتمنى الشاعر ان يبعث ((معاوية بن ابي سفيان)) من ضريحه
في الشام الذي تعلوه القمامة، وكأنه قطعة من جهنم تحرق ذلك
الجثمان الخبيث الذي عطل مسيرة الاسلام فتأخر الى العقبات التاريخية
في طريق تقدم البشرية، ويرجو الشاعر من لو تبعث معاوية هو ليشاهد
دنيا علي ((دنيا الحق)) المقبلة على ما ظلت الدنيا من اهل الأرض
ليشاهد كيف احتضنت مرقد الامام الهمام امير المؤمنين علي بن ابي طالب
سلام الله عليه، وليشاهد باطله وعفن ظلمه دونا عليه وعن ضريحه، كل
ذلك ليعرف معاوية ان للعدل أثراً في الحياة الدنيا وان للباطل اثراً
كذلك وان اثر العدل هو الباقي وان الباطل هو الفاني، ذلك الضريح
الذي شيده على تود الدراري وهي الكواكب ان تكون له
منارة وتود كذلك مجاري الكواكب ان تكون طرقاً للضريح عليها
ضريح مبارك طاهر كأنه الكعبة تتزاحم حول ثانيته الافواه المسلمة ملثمة كل
لثمة التربة قبل ان تحملك الأكف على لمسه والتبرك به
عليه لتركو طيبها وتفوح عبيرها، ضريح علي وقبته تلك القبة الذهبية

١ - ص ٤٢٨ في ديوان الجواهري

التي ما برحت تناطح السماء وتتفاخر الشمس والقمر قد تحققت حقوق شمس الحق. ورحم الله الشاعر الشيخ عبد الباقي العمري واصفاً فيه الامام علي بقوله:

ذو صبية حقيقتها السماء عارفة ——— حل للاصبية الملك الجليل
هي ما ومعقولة غير تلك ——— النقطة الحقيقة التأويل

هنا يعني المقطع التاسع وهو الاخير من قصيدة الا الفرطوسي فإنه يوجه خطابه الى اخي الرسول ونفسه الى من قال فيه ابن ابي الحديد:

بين الدين ما استقام ولولا ——— حرب سياطهما استقام البناء

فالشيخ الفرطوسي ما ذا يقول:

٦٠ يا اخا الرسول ويا نفس النبي علا ——— من فيه قد يا اهل الركبان مستبقا
٦١ ويا خليفته حقاً ونا صره ——— ويا وزير اخاه حين قد خلقا
٦٢ أصبحت كهارون من موسى له خلقا ——— وكان قدماً الى الاسلام قد سبقا
٦٣ بوركت في بيعة من الحق احكمها ——— امين وحي بغير الحق ما نطقا
٦ خذها اليك ابا السبطين فاتنة ——— عذراء تنفح من طيب الولا عبقا
٦ ارجو النجاة غداً منكم اذا اضطربت ——— سفينتي من غوايات الهوى غرقا (١)

• • •

في هذا المقطع الاخير يخاطب الفرطوسي الامام علي سلام الله عليه فيقول له يا اخا الرسول ويا نفسه الذي يا اهل ركبان تغادي بحراً ويا خليفة الرسول الرباني الحق الذي نص من القرآن والحديث النبوي ويا من كان الرسول يستشيره في جميع المواقع والغزوات ولم يتخلف عن الغزوات الا غزوة واحدة فقط ويا من قال الرسول عنه ضربة علي يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين، ويا هارون امة محمد سلام الله عليه الذي قال الرسول مخاطباً في تلك الغزوة التي تخلف عنها يا علي انت مني كهارون من موسى الا انه لا نبي بعدي، ويا علي يا امير المؤمنين يا اول رجل آمن بالاسلام ورسالة محمد بعد محمد نفسه (ص) تلك القصيدة العذراء الناضحة بالطيب والمودة والولاء والعقيدة والايمان ارجو ان تنجيني يوم القيامة يوم تضطرب الامور بسبب غوايات الدنيا والذنوب ولا شك انك تكون يا علي تشفع عند الله في ذلك اليوم العصيب لتخرجني من الظلمات الى النور ومن الضلال الى الثواب، وبهذا المقطع تنتهي قصيدة الفرطوسي شاعر العقيدة والايمان العلامة العبقري الذي رحل الى عالمه الاخر حيث يناله كثيراً رحمة الله عليه.

١ – مشتقة من ديوان الفرطوسي.

حقيقة تاريخية هامة:

بعد الاطلاع على مقدمة الفردوس رحمه الله المتعلقة
لا بعيد القريب رأيت استغلال هذه المناسبة لإبراز حقيقة تاريخية هامة
أحسبان الذين سيقرؤونها قليلون ولكن الذين تغافلوا عنها كثيرون، وهذه
هي الحقيقة:

«إن المجتمعين في يوم السقيفة بعد وفاة الرسول محمد (ص) ما زال لم يدفن وآل
البيت النبوي مشغولين في جنازة الرسول وتغسيله وتكفينه وكذلك كبار
الصحابة وأهل الحل والعقد والشورى، إن أولئك الذين اجتمعوا في
سقيفة بني ساعدة يتحملون مسؤولية شرخ وحدة المسلمين وإجماعهم لأنهم
لا يرضون أن الخلافة - الولاية - الإلهية - وتخطوا النظر عن النصوص القرآنية
والأحاديث النبوية الشريفة الدالة عليها، وأداروا ظهورهم للخليفة الحق،
بل ناصبوه العداء والخصومة، بينما عقدوا الولاء وأعلنوا السمع والطاعة
للخلافة الدنيوية التي تمخضت عنها مؤامرة السقيفة، وقد أجبرت
كلمتهم طوعاً أو كرهاً وبعد سلسلة من المداولات والمساومات والمؤامرات
على تسمية الخليفة الدنيوي. وكان لذلك فريقان أو شرخ وكانت القلة لهذا
الفريق والسيطرة لأن أتباعه وجمهور الناس أصبحوا لا جريئاً أو لا طائفة.
أما الفريق الثاني فقد رفض ما تمخضت عنه السقيفة ورفض الخلافة
الدنيوية وأدار ظهره إلى الخليفة السقيفة واعتبر خلافته نقضاً صريحاً
وانتهاكاً للنصوص القرآنية الكريمة وعدم التقيد بالأحاديث
النبوية الشريفة، وقالوا إن شريعة السقيفة ابتعدت كثيراً عن شريعة
النبي محمد (ص) بل خالفتها وناقضتها. ومن هنا بقي هذا الفريق متمسكاً
بالخلافة الإلهية وصاحبها الشرعي الذي نصبه النبي بأمر الله تعالى وفق
ونصته النصوص القرآنية والأحاديث النبوية كما قدمنا، واتهموا الفريق
الأول بالزيغ والانحراف والانقلاب عن الإسلام وقالوا إنهم هم المعنيين
بالآية الكريمة «وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات
أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله
شيئاً وسيجزي الله الشاكرين» (١) وكان أصحاب هذا الرأي هم الفريق
المغلوب وقد نالهم ما نالهم من ظلم وتعسف واضطهاد من أصحاب الفريق
الأول الغالب، لأن الويل للمغلوب من الغالب، وقد أصبح هذا الفريق جمهور

١- آية ١٤٤/٣ سورة آل عمران / القرآن الكريم

الزمن حزنًا او ما نقته ا رحم الله ابا الحسن علي بن حماد العدوي العبدي
وهو من شعراء اهل البيت سلام الله عليهم في القرن الخامس الهجري
وقد لخص رأي الفريق الذي ينتسب له بقوله:

وما ذنبنا عند النواصب ويلهم — سوى اننا قوم بما شئتموا دنّا
فلما رفضنا رفضهم وعطاءهم — رُفضنا وعودينا وبالرفض نُبزنا
فإن كان هذا ذنبنا فتيقنوا — بأنا عليه ما انثنينا ولا نثنا

هذا الى اليوم تشعب جميع الفرق الاسلامية التي تجاوز عددها السبعين فرقة تشعبت من احدى الفرقتين المذكورتين. هذا والمؤرخون والعلماء يطلقون اسم «السنة» على اصحاب مدرسة «السقيفة» ويطلقون اسم «الشيعة» على اصحاب مدرسة «الغدير». ويجدر بنا ان ننبه القارئ الكريم الذي يريد الوقوف على الحقائق في امهات الكتب الاسلامية ان يراجع الموسوعة التاريخية الاسلامية البالغة الاهمية للسنيين و«الغدير» للمؤلف الحر الثقة حجة الاسلام والمسلمين العلامة الشيخ عبدالحسين الاميني النجفي رضوان الله عليه. تلك الموسوعة الموثقة بالادلة والبراهين والروايات النبوية الصحيحة.

هذا وان تلك الحقيقة التاريخية الهامة دفعتنا الى عقد العزم بعد الاتكال على الله سبحانه وتعالى لاعداد كتاب باسم «الخلافة بين الرفض والتشيع» آملين بعد الفراغ منه ان نضع الحقائق الناصعة وكما هي امام انظار الامة الاسلامية جمعاء ليستزيدوا علمًا ودراية من جهة ولتوجيه اللوم الى اولئك الذين يتسترون وراء اخفاء الحقائق لغاية في نفس يعقوب كما يقولون. ونقول لهم: انكم بعملكم الذي تخفون به الحقيقة عن انظار العامة انما تساهمون من حيث تشعرون او لا تشعرون بانكم تساهمون في توسيع ذلك الشرخ التاريخي الكبير الذي احدثته السقيفة في وحدة الامة الاسلامية. فإنا لله وإنا اليه راجعون، والحمد لله رب العالمين.

الاغراض التي تضمنتها قصيدة الفرطوسي :

فيما يلي نلخص الاغراض التي توخاها شاعرنا الفرطوسي من قصيدته العصماء الموسومة ((بعيد الغدير)) :

١ - اعلام المسلمين بان الله أوحى الى رسوله محمد (ص) ان ينصب عليا (ع) اماما ووليا للمسلمين وخليفة للرسول من بعده .
٢ - ان الباري سبحانه وتعالى شرّف اسمه الجليل بكتابه الكريم .
٣ - ان الرسول الكريم بلّغ الامة بالنص الرباني يوم غدير خم بعد عودته من مكة المكرمة الى المدينة المنورة .
٤ - لم يبق احد من الحجيج الذي قدر عدد بمائة وعشرون الف حسب بعض الروايات الا وسمع الكلام النص الرباني الذي بلغه الرسول الكريم .
٥ - بيان الأثر البالغ الذي تركه يوم الغدير في نفوس المسلمين ومظاهر الفرح والسرور والبهجة التي جعلتهم يتخذون منه عيدا يحتفلون فيه كل عام .
٦ - اكمال الدين واتمام النعمة على عموم المسلمين التي تكرم بها الباري عز وجل احياءً واكباراً لهذه المناسبة العظيمة .
٧ - انقلاب الناس على سنة الرسول عقد الولاية وعهد الخلافة الربانية تشبعة لمؤامرة السقيفة .
٨ - اظهار الحقد والضغينة لخليفة الرسول ووصيه واخاه ونفسه وقد كانت تلك الاحقاد والضغائن كامنة في نفوس المنافقين واظهرتهم عند بدء المعركة والاحزاب .
٩ - اظهار صفات الامام علي المتمثلة في التقى والعلم والورع والعدل والزهد والجهاد والشجاعة والحسب والنسب والسيف والرمح وغيرها .
١٠ - اظهار صفات معاوية بن ابي سفيان ورذائله المتمثلة بالانس والطرب والخمور والفجور والجواري والغلمان والذهب والفضة ... الخ
١١ - مقارنة بين رسائل علي وفقره وبيته المتواضع وما تحت الارض وقصر ... مقابل قصر دمشق ... الخ .
١٢ - وما اراد ان تكون قصيدته سببا للفوز بشفاعة امير المؤمنين يوم الحساب وامتحان النفوس ... اي يوم القيامة .

تلك حسب نظري اهم الاغراض التي توخاها شاعرنا الفرطوسي رحمه الله

من تهديده الطغاة ولابد لنا من التعليق على الغرضين واهداف عقيدة
القرطوسي رضوان الله عليه اتماما للفائدة .

١ - من الغرض الاول حرص القرطوسي ان يبين للمسلمين ان لا الخلافة «
ليست منصبا دنيويا» تتصرف به الناس حسب مصالحهم واهوائهم وانما
هو منصب خطير جدا تماما كالنبوة» فهو من المناصب الالهية التي يختص
الباري سبحانه وتعالى في مسؤولية واختصاص من يشاء من عباده الصالحين .
وهذه سنة ربانية عرفتها الاديان السماوية قبل الاسلام . لذا لا يحق ولا
يجوز للامة من الامر ان تعزل اماما او خليفة او وليا او تجحده وتختار
غيره ملكا بارادتها فهم ان الله اعلم حيث يجعل رسالته . والقرطوسي
افاد بتوجيه شراء فريدته الى تلك الحقائق وسنده النص القرآني
الذي انزله الله في شرعنا للتبعية «يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك
من ربك ... الآية» . فقد اوضح العلماء ان النبي سلام الله عليه لم ولن
يتصرف بهذا الامر تصرفا شخصيا تعسفيا او «ما ينطق عن الهوى ان هو الا وحي
يوحى» . فالغرض ولاية علي بن ابي طالب سلام الله عليه واثباتها لا حق
للمسلمين عامة بخلافته او تجميده علما ان عدم التعديه كفر صريح بالرحمن
لانه سنة نبوية شريفة ومحاربة الله وعدم العمل بكتابه فمن يتبع .

٢ - في هذا الغرض يوضح القرطوسي لقارئيه ان الله جل وعلا اذا نص
بكتابه الكريم على الامر الرباني لا ان الاشتراك معه لمعترض بان الله لم يذكر
في كتابه الكريم اسم ولاية علي سلام الله عليه في الآية «يا ايها الرسول بلغ ...»
فحقه علينا كل مسلم ومسلمة . اما الذي حرف مفهوم الآية الى عموم الرسالة
فمغالطة مفضوحة يدحضها تسلسل الآيات وتاريخ نزولها وموقع ان
الرسول تلقى تلك الآية الكريمة بعد حجة الوداع والرسالة مبلغة الى
عموم المسلمين ولا يعقل ان تكون الآية مختصة بعموم الرسالة واهم
انها متعلقة بامر خطير كان الرسول يتحرج من تبليغه للمسلمين لسبق علمه
سلام الله عليه ان المنافقين والحاقدين سوف يناهضونه
ومن هنا كان التهديد الالهي (وان لم تفعل فما بلغت رسالته) ومن
هنا كان النص الرباني «والله يعصمك من الناس ...» هذه الامور
تدحض اولئك المخرفين الذين ادعوا ان الآية لا تخص ولاية امير المؤمنين

علي بن أبي طالب سلام الله عليه، فويل للذين يحرفون كلام الله أو كلام الرسول ويبيعون بذلك ثمناً دنيوياً رخيصاً.

٢ - من هذا الطرح يلفت القرطوسي لقرائه أن الرسول قام بالفعل والقول والصدق والعقيدة بتبليغ «الأمر الألهي» الكريم فأوقف الركب وأمر بإرجاع المتقدمين وانتظار المتأخرين حتى تلك الصحراء المحرقة وذلك الطقس الجاف ورص على منبر صنع له من حدائج الإبل وقام عليه وإلى جنبه الإمام علي ورفع يده ويد علي حتى بان بياض إبطيهما فقال «أيها الناس من كنت مولاه فهذا علي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه، وانصر من نصره واخذل من خذله...» وهنا لم تبق لمعارض حجة بأن الرسول لم يبلغ النص الرباني القاضي بخلافة علي للرسول وولايته على المسلمين. هذا [illegible] وقد شهد بيعة الغدير مائة وعشرون ألف من الحجاج وعند عودتهم بلغوا أقوامهم وأهاليهم وأبناء مدنهم وعشائرهم بما قاله الرسول تطبيقاً لقوله «فليبلغ الحاضر منكم الغائب»

٤ - في هذا الهدف أو الطرح يلفت القرطوسي أن ذلك الحدث النبوي الشريف الذي سمعه مائة وعشرون ألفاً لا يمكن إخفاؤه على الإطلاق ولا يمكن إنكاره على الإطلاق فشهرته قد غنت بها الركبان وسجلتها الأشعار وسجل المؤرخون في أمهات كتبهم ورجال الحديث النبوي في أسانيدهم ومن هنا ومن هنا نجد الانتباه الى أن المنافقين قد توجهوا الى تحريف كلام الرسول وتحويله من صبغته الربانية الرسولية الى أهداف أخرى وضيعة لا تستحق كل ذلك الاهتمام الذي أبداه الرسول يوم الغدير وأوقف من أجله الركب وأسمع مائة وعشرون ألفاً تلك الكلمات. ومن هنا خاب ظنهم وفشل جهدهم فكانت كلمة الله هي العليا وكلمة الشيطان وحزبه هي السفلى.

٥ - في هذا الطرح يظهر لنا القرطوسي مظاهر ذلك العيد الإسلامي الشريف وما قام به المسلمون بحضور الرسول وبعد ذلك، ففي نفس ساعة التبليغ أمر الرسول «بخيمة» أجلس فيها إلى جنبه علي بن أبي طالب فلقد وأمر الناس بأن يهنئوه ويسلموا على علي بالولاية، فهلا تزاحم المسلمون على تلك الخيمة وكان في مقدمة القوم «عمر بن الخطاب» وأبو بكر بن

ابي قحافة» وقد قال عمر بعدها «بخ بخ لك اصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة». كان هذا بحضور الرسول، اما بعد ذلك فقد بقي الكثيرون من ابناء الامة الاسلامية يحتفلون «بعيد الغدير» وقد ادركت انا اواخر تلك الاحتفالات التي كانت تقام في النجف الاشرف وكان الخطباء والشعراء يتبارون على منبر الاحتفال للاشادة بعيد الغدير وبيان مآثر ومواقف الامام علي سلام الله عليه وكانت الدولة الفاطمية في مصر تحتفل سنويًا بعيد الغدير ايام توليها ارتباطا بالاعلان عن ولاية الامام علي سلام الله عليه وكان الملك فيصل بن الحسين ملك العراق قد اقر تتويجه ملكًا على العراق في يوم الغدير سنة ١٩٢١ ميلادية تبركًا به وقد صادف في ٢٣/٨/١٩٢١.

٦ – في هذا الغرض يلفت «الفرطوسي» انظار المسلمين الى عظمة يوم الغدير واهميته الكبرى لدى الباري سبحانه وتعالى وذلك اشارة الى الآية الكريمة «اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا» ولولا بركة ولاية الامام علي والتي بها اكملت الدين الاسلامي لما رضي الله سبحانه وتعالى لنا الاسلام دينا ولما اتم علينا نعمته فالحمد لله رب العالمين على اكمال الدين واتمام النعمة بولاية امير المؤمنين سلام الله عليه.

٧ – في هذا الغرض يلمح الفرطوسي اسفه وحرقته لانقلاب الناس على سنة الرسول في خلافة الامام علي ونبذهم ولايته امورهم الدينية والدنيوية وذلك بسبب ما تمخضت عنه «السقيفة» وما جرى بعدها وقد فصلنا القول في تلك الاحداث سابقًا فلا حاجة بنا لتكرارها في هذا الغرض.

٨ – اظهار العداء والحقد لخليفة الرسول الحق وملاحقة انصاره واتباعه وما كان لهم من ظلم وتعسف بسبب موقفهم الصلب في التحول عن سنة الرسول والنصوص القرآنية، وقد فصلنا القول في ذلك في الصفحات الماضية.

٩ – في هذا الغرض يعطي الفرطوسي صورًا لصفات الامام علي التي وهبها الله تعالى له وملكته وكونته ليكون اهلًا للولاية والخلافة وتحمل المسؤولية.

١٠ – في هذا الغرض يبرز الفرطوسي وشائج صفات ومواهب واهتمامات واهم اهداف احد خصوم الامام علي الذي اقبلت عليه الدنيا انه باع لها دينه وآخرته وذلك هو «معاوية بن ابي سفيان» حتى تضح لدى القارئ الكريم صورة واضحة عن ائمة الحق وصورة واضحة ايضًا عن ائمة الباطل ثم يحكم بمنطق الدين والعدل والمصالح العامة.

قائمة بمؤلفات كاظم محمد علي شكر - موسوعة النجف

١- النجف الاشرف رجال وافكار ومواقف - الجزء الاول
٢- " " " " " " الثاني
٣- الشكر في القرآن الكريم.
٤- الحقيقة النجفية الجزء الاول.
٥- " " " الثاني.
٦- " " " الثالث.
٧- المجالس النجفية " الاول.
٨- " " " الثاني.
٩- الارهاط العربية في النجف الغروية.
١٠- الاعلام عند العرب.
١١- الثورة الاسلامية العربية على الغرب
١٢- المعارك الادبية في النجف.
١٣- المناسبات والمناقضات النجفية.
١٤- تاريخ حركة الشيوعية والشركة.
١٥- المؤيد لكل أديب - معجم العروض.
١٦- قبيلة الفضول اللامية وتفرعاتها العشائرية - طبع سنة ١٩٧٥.
١٧- آل شكر جديد.
١٨- الوهابية، فكرة، حركة، دولة.
١٩- العلاقة بين الرفض والتشيع.
٢٠- التاريخ الشعري في الادب النجفي.
٢١- المعروف عن اسرار الحروف.
٢٢- الصناعات والمهن الشعبية في النجف الاشرف.
٢٣- الاحزاب العراقية في عهد الاحتلال البريطاني.
٢٤- المؤتلف والمختلف من ارهاط النجف.
٢٥- ديوان شعر كاظم شكر.
٢٦- اصل اللغة عند الانسان القديم.
٢٧- الاخبار المدفوعة في كتب الموسوعة.

١١ – بعد الاطلاع عن صور امام الحق وصور امام الباطل يعتقد الفرطوسي في هذا العرض مقارنة لا يلاحظ بين الأثنين لدى الناس عامة والمسلمين خاصة البون الواسع بين الطرفين والفرق الشاسع بين الامامين ثم يدركو بكل يقين لماذا تخلف الركب عن علي في الجادة الصحيحة ولماذا كان لكل من الامامين حزبا او فريقا وما عليه كل منهم ...... الخ.

١٢ – وفي هذا العرض وهو الاخير يبرز لنا الفرطوسي (عقيدته وايمانه وصدقه) وهو يطلب من الله سبحانه وتعالى ان يجعل عقيدته سببا مباشرا لشفاعة امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام يوم القيامة يوم الحيرة يوم اضطراب النفوس يوم العبور على الصراط المستقيم يوم يقال للنفوس هيهات للمتثاقلين فقط.

الحمد لله رب العالمين على ما عرفته وعرفته وهدايته لنا وصلى الله على محمد رسول الله وعلى علي ولي الله وعلى آل بيتهما الطاهرين.

كتبتم في النجف الاشرف مكان اللاجئ
في كتابته في ٥/١٢/١٩٨٩

انتهى الجزء الاول
ويليه الجزء الثاني
بإذن الله تعالى